من أدب الدّعوة الإسلاميّة

٤

ديوان

# أقباس

## في مِنهاجِ الدّعوةِ وتوجيهِ الدُّعاةِ

بيان وشعر

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١.

ديوان

# أقباس

في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علّمه البيان، العليّ الأعلى الذي أنزل القرآن، معجزاً بالحقّ والهدى والبيان والبرهان.

والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، من أعطاه الله أحكم أسلوب هادٍ، وأفصح لسان، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأهدى تبيان.

والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ومن اتّبعهم بإحسان.

وبعد: فقد كنت دعوت في كتابي: «مبادىء في الأدب والدعوة» إلى ضرورة استخدام الأدب في الدعوة إلى الله، باعتبار الأدب أحد وسائل التأثير الجمالي في النفس الإنسانية، وأحد وسائل الإعلام الرفيع، وباعتباره سلاحاً بيانيّاً فعّالاً في كثير من الأحيان، واقتداءً بالقرآن العظيم المعجز في بيانه، وبالرّسول الخاتم الذي كان أفصح العرب الذين كانوا أفصح الناس، وكان أعلاهم بياناً، وأقدرهم على التأثير بكلامه البليغ، في كلّ من أنصت إليه، أو استمع إلى حديثه، وتأسِّياً بسائر الأنبياء والمرسلين الذين كانوا أبلغ أقوامهم كلاماً، وأعلاهم بياناً وحُجَّةً وتأثيراً.

ولـمّا كان الشعر وجهاً من وجوه البيان الرفيع، جاء في الكلام المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحراً».

وعملاً بما دعوتُ إليه، واستخداماً لموهبة الشعر التي منحني الله منها طرفاً، فقد كنت أصدرت بتوفيق الله وعونه، ديوان «آمنت بالله» وديوان «ترنيمات إسلامية» في سنة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

وقد رأيت الحاجة ماسّة إلى تعريف الدّعاة بمنهاج الدعوة إلى الله، وإلى تقديم نماذج من الأساليب البيانية الشعرية في موضوعات الدعوة، فكتبتُ مجموعة من القصائد ضمّنتها ما اهتديت إليه من قواعد وأصول هذا المنهاج، وحركة السير فيه، اقتباساً من القرآن العظيم، ومن هدي الرسول الكريم في قوله وعمله وسيرته. وانتقيتُ ممّا كتبت من شعر في موضوعات الدعوة إلى الله مجموعة من القصائد اعتبرتها نماذج أدبية شعرية، مُلتَزِمة فيها أظنّ حدود قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، في مضامينها.

ولذلك قسمت هذا الديوان إلى قسمين:

□ القسم الأول: جمعت فيه قصائد كتبتها حول منهاج الدعوة إلى الله.

□ القسم الثاني: جمعت فيه قصائد كتبتها في موضوعات مختلفة من موضوعات الدعوة، ورأيت أنها مناسبة لتكون نماذج أدبية شعرية، ملتزمة منهاج الدعوة إلى الله، باعتبار مضامينها، أمّا تقويمها الأدبي فهو للنقاد وأهل الذوق الشعري وليس لي.

وقد جعلت هذا القسم مشتملاً على فصلين:

* الفصل الأول: قصائد كتبتها وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلاّمة المربّي الداعية المجاهد الشجاع الشيخ حسن حبنّكة الميداني، الذي كانت له جمعية باسم «جمعيّة التوجيه الإسلامي» وكان له معهد شرعي للذكور ومعهد شرعي للإناث باسم: «معهد التوجيه الإسلامي» رحمه الله عزّ وجلّ وأجزل مثوبته، وجعله في عليين مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* الفصل الثاني: قصائد كتبتها في ظروف مختلفة أو مناسبات استثارت إلى كتابتها.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع به، هدياً، وإرشاداً ولفت نظر، ويُمتع به ذوّاقَ جمالٍ أدبيّ يأخذ بيده تذوّق الجمال الأدبي إلى رؤية الحق والاقتناع بأنه حق، واتّباعه، وإلى رؤية الباطل، والاقتناع بأنه باطل، واجتنابه.

اللهمّ أعزّ دينك، وانصر أولياءك، واصلح أحوال المسلمين، واستعملنا في مراضيك، ووفقنا فيما تستعملنا فيه إلى أفضل عمل يرضيك عنّا، وتمنحنا به رضوانك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنّك سميع مجيب.

اللّهم سدّد خُطا الدُّعاة إلى سبيلك، حتى يلتزموا منهاج الدعوة الذي هديتَ إليه، ويجنوا ثمرات التزامه في الدنيا تأثيراً في عبادك، وتأليفاً لقلوبهم على دينك، وفي الآخرة ثواباً جزيلاً وأجراً عظيمًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة:
أواخر شهر جمادى الآخرة
سنة ١٤٠٥ هجرية

عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني

# القسم الأوّل

## قصــائــد
## كتبتها ونشرت طائفة منها
## حــول منهــاج الــدّعوة

# مقـــدّمة

للدعوة إلى الله منهاج ذو قواعد وأصول وحركة سير، هدى الله إليها في كتابه المجيد، وهدت إليها سنّة الرسول ﷺ، في القول والعمل والسيرة العطرة.

وعلى الدعاة إلى الله أن يتَّبعوا هذا المنهاج القويم ليجنوا ثمرات أعمالهم يانعاتٍ طيبات، وليغنموا ثواب الله وأجره العظيم في اتّباع منهاج الدعوة الذي رسمه لهم، وليحموا أنفسهم من إحباط العمل بمخالفته، ومن السؤال والحساب والمؤاخذة إذا سلكوا في دعوتهم إلى الله سُبُلاً منفرّة، واتخذوا أساليب غير حكيمة من شأنها أن تصدّ عن سبيل الله، وهم يحسبون أنهم يُحسنُون صنعاً.

وفي هذا القسم طائفة من القصائد أودعتها بأسلوب أدبـيّ ما ألهمني الله من قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، وقد اقتبستها من القرآن العظيم، وسنة الرسول الكريم ﷺ في قوله وعمله وسيرته، راجياً أن يستفيد منها الدعاة الذين يمارسون الدعوة، والدّارسون الذين يُعِدّون أنفسهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وإنيّ في بيان هذه الوصايا أنصح نفسي أوّلاً، فأبنائي الطلبة، ثم إخواني على طريق الدعوة إلى الله.

وإنيّ أعلم أن الحقّ لا مجاملة فيه ولا مداهنة، ولكن يعرض بأسلوب حكيم، دون تجريح ولا تشهير، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، إنّ ربـيّ على صراط مستقيم.

روى البخاري عن سهل بن سعد أنّ النبـي ﷺ قال لعلي بن أبـي طالب يوم خيبر بعد أن أعطاه الراية:

«انفُذْ على رِسْلك، حتىّ تنزل بساحتهم، ثمّ ادعُهم إلى الإسـلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجُلاً واحداً خير لك من أن يكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعم».

حُمْرُ النَّعم: أكرم أصناف الإبل عند العرب.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبـي رافع، أنّ النبـي ﷺ قال:

«لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[1].

---

(١) أشار السيوطي إلى أنه حديث حسن «في الجامع الصغير».

# ١

حمَّل الله المسلمين مسؤولية تبليغ دين الله للناس، وسيقدمهم يوم الدين للشهادة على الناس بأنهم قد بلَّغوهم دين الله لهم، ولذلك جعلهم الله عدولاً، أمَّةً وسطاً، فهم بمجموعهم معصومون عن الانحراف الكلّي عن دين الله، وعن التحريف والتغيير فيه.

فالرسول يوم القيامة شهيد على من بلّغ، والمسلمون في كل عصر شهداء على الناس بأنهم قد بلغوهم دين الله لهم، بمقتضى الخيرية والعدالة التي منحهم الله إياها.

دلّ على هذه الحقيقة قول الله عز وجل في سورة (البقرة٢):

﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيداً﴾ (الآية ١٤٣).

**وسطاً:** أي عدولاً.

**لتكونوا شهداء على الناس:** أي لتبلّغوا دين الله للناس كما بلَّغَ الرسول، ولتدعوا إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة كما دعا الرسول، فتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس بأنكم بلغتموهم الرسالة، وأديتم إليهم الأمانة، كما يكون الرسول ﷺ شهيداً على من بلّغه مشافهة أو مراسلةً في حياته.

وقول الله عزّ وجل في سورة (آل عمران ٣):

﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف، وتَنهَوْن عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾ (الآية ١١٠).

أي: كنتم إذ اجتباكم الله واختاركم واصطفاكم خير أمّةٍ أُخرجت

للناس، فالاجتباء للرسول بالنبوة والرسالة، والاجتباء لأمّة الإجابة المسلمين الذينِ آمنوا بمحمد ﷺ قد كان لحمل رسالته، يبلغون الناس جميعاً، ويدعون إلى سبيل ربهّم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقد أخرجهم الله من بين الناس لحمل هذه الوظيفة الرّبّانية، وأعطاهم الله هذه الخيرية، بعد أن بين لهم ما يجب أن يتّصفوا به، ليكونوا حقّاً خير أمّةٍ أُخرِجت للناس.

وفي هذه القصيدة بيان لوظيفة التبليغ، والدعوة إلى سبيل الله، التي حمّلها الله المسلمين باعتبارهم أمة الدعوة، وما يجب عليهم في ذلك من دأب وصبر مهما كانت النتائج، وهي بعنوان:

**«أمّة الدعوة»**

# أُمَّـةُ الـدَّعْوَة

أُمَّـةُ نَحْنُ عُـدُولٌ حِينَمـا نُـدْعَى شُهُـوداً
أَيُّهـا المُسْلِمُ فَانْـظُرْ مَا سَتُـدْلِي مِنْ شَهَادَةْ
بِاجْتِبَاء اللَّهِ مَنْ قَدْ أَسْلَمُوا صَانُوا الْعُهُـودَا
لِيَكُــونُـوا شُهَــدَاءَ الْحَقِّ إِذْ يَقْضِي مَعَـادَهْ
سَوْفَ تَأْتِي يَوْمَ عَرْضِ النَاسِ فِي الْحَشْرِ شَهِيداً
أَيُّهـا الْمُسْلِمُ فَاعْمَـلْ عَمَلاً تَـرْجُو حَصَـادَهْ
أَنْتَ يَـوْمَ الدِّينِ مَسْـؤُولٌ إذَا كُنْتَ رَشِيـداً
عَنْ دُعَاءِ النَّاسِ أَنْ يَسْعَوْا إلى دَارِ السَّعَادَةْ
إِنَّمـا التَّبْلِيـغُ فَــرْضٌ أَدِّهِ قَـوْلاً سَـدِيـدَا
دُونَ تَحْـرِيفٍ وَتَبْـدِيــلٍ وَنَقْصٍ أَوْ زِيـادَةْ
فَإِذَا اسْتُدْعِيتَ كَيْ تُسْأَلَ فِي الْحَشْرِ فَرِيدا
أَوَ قَدْ بَلَّغْتَ؟ أَوْ جَاهَـدْتَ في اللَّهِ جِهَادَهْ
هَلْ تَرَى أَنَّـكَ قَدْ بَلَّغْتَ. أَوْ كُنْتَ بَعِيـدا
لَمْ تُبَلِّغْ. لَمْ تَكُنْ تَدْعو إلى اللَّهِ عِبَـادَه؟
أَنْتَ إِنْ لَمْ تَـدْعُ خَلْقَ اللَّهِ لِلْحَقِّ رَشِيـدَا
سَوْف لا تُدْعى بِيَوْمِ الدّين مَعْ أَهْلِ الشَهَادَةْ

مكة المكرمة في ١٤٠٥/٦/٢٤ هجرية — (١٦ بيتاً)

# ٢

انتشرت أخطاء وأغاليط في أساليب الدعوة إلى الله، حتى صارت سجايا لكثير من المتصدّين للدعوة الإسلامية، وأساليب متبعـة، يقلّد فيها هؤلاء المتصدّون بعضهم بعضاً، وَيَحسبون أنهم يُحسنون فيها صنعاً، وأنهم يؤدون فيها جهاداً في سبيل الله حسناً، مع أنهم يخالفون فيها منهاج الإسـلام، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويسيئون للدعوة، وينفّرون كثيراً من الشباب عن الإسلام وهديه، وينصرون عصبيات وأنانيات حزبية لا يرضى عنها الله ولا رسوله.

وقد أقامت عمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى في أواخر العام الدراسي (١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هجرية) احتفالاً شاركتُ فيه بهذه القصيدة، تبصيراً وتوجيهاً حول منهاج الدعوة إلى الله، فيها توجيه ونقد، فالتوجيه شموع، والنقد دموع، والقلب يتحرّق، وهي بعنوان:

«شموع ودموع»

# شمــوع ودمــوع

فَخْــرُنَــا جَــامِعَــةٌ فِيهــا الْأَمَــلْ
أُمُّهــا أُمُّ السُّــهُــولِ والْقُــلَلْ

أُمُّهــا أُمُّ الْقُــرى فــي حَــرَمٍ
آمِــنٍ مُــنْــذُ قُــرُونِــهــا الْأُوَلْ

وَهَــلِ الْأَمْــصَــارُ إلَّا مُــدُنٌ
أُمُّها الْقَــرْيَــةُ يَــا مَنْ قَــدْ عَقَــلْ

بَــكَّــةٌ أُمُّ الْقُــرَى أَجْــمَــعِــهَــا
وَبِــهَــا أَوَّلُ بُــنْــيَــانٍ حَــصَــلْ

شَمْسُ خَيْرِ الرُّسْلِ مِنْهَا طَلَعَتْ
وَبِهَــا خَيْــرُ كِتَــابِ قَــدْ نَــزَلْ

○ ○ ○

فَخْــرُنَــا جَــامِعَــةٌ قَــدْ أُسِّــسَتْ
في رُبَــا التَّقْــوَى وَفِيهَــا تَكْتَمِــلْ

كُــلُّ كُــلِّيَّــاتِــهَــا دَاعِــيَــةٌ
لِــرِضَــى رَبِّ الْوَرى عَزَّ وَجَلْ

وَعلى البــاطِــلِ كُــلُّ حَــامِــلٌ
مِشْعَلَ الْحَقِّ وَسَيْفَ الْعَدْلِ سَلّ

إنّــمــا الــدَّعْــوَةُ أَبْــوَابٌ وَفِــي
كُــلِّ بــابٍ جَيْشُ إيمَــانٍ دَخَــلْ

مَــا تَــنَــافَتْ فِي جِهَــادٍ دَعْــوَةٌ
وَاخْتِصَــاصٌ فَــلِكُــلٍّ مُهــتَبَــلْ[1]

وَلِــكُــلٍّ عَــمَــلٌ يُــصْــلِحُــهُ
وَلَكَمْ قَــدْ دَخَــلا في مُــدَّخَــلْ

وَدُعَــاةُ الشَّــرِّ مَهْــمَــا ابْتَكَــرُوا
حِيَــلاً أبْــطَلَهــا الــدَّاعِي الْبَــطَلْ

○ ○ ○

إنَّــمــا الــدَّعْــوَةُ قَــوْلٌ وَعَــمَــلْ
فِي مَــزِيــجٍ كَحَلِيبٍ وَعَــسَــلْ

قُــدْوَةٌ صَــالِــحَــةٌ طَــيِّــبَــةٌ
لَمْ يُخَــالِفْ قَوْلَهَــا سُوءُ الْعَمَــلْ

هِــيَ قَــوْلٌ لَــيِّــنٌ مُــسْــتَــحْــسَــنٌ
يَلْمَسُ الْأَنْفُسَ لَمْسَــاتِ الْقُبَــلْ

---

(١) مُهْتَبَل: مُغْتَنَم. اهتبلَ الشيء اغتنمه، أخذه بسرعة.

مُـحْتَـواهُ دُرَرُ الْـعِلْمِ الَّـذِي يُعْجِبُ الْفِكْـرَ وَيَخْـلُو مِنْ خَـلَلْ
وَعِـظَاتٌ حَـسَنَـاتٌ غُـمِسَـتْ بِـالنَّـدَىٰ الْحُـلْوِ وَوَرْدِيّ الْأَمَـلْ
رُبَّـمـا تُـلْمِـحُ مِـنْ أَعْـطَافِهَـا بَعْضَ مَا يَقْذِفُ فِي النَّفْسِ الْوَجَلْ[1]
وَحِـوَارٌ مَـنْـطِقِـيٌّ بِـالَّـتِـي هِيَ خَيْـرٌ فِي احْتِجاجٍ وَجَـدَلْ

○ ○ ○

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ رَشْقـاً لِـلْوَرَى بِكَـلَامٍ مِثْـلِ أَحْجَـارِ الْجَبَـلْ
أَوْ كَـلامـاً مُـعْجِبـاً يَـنْـقُـضُـهُ مِنْ ذَوِيـهِ سُـوءُ فِعْـلٍ وَزَلَـلْ
فَـلِسَـانُ الْـفِـعْـلِ أَقْـوى أَثَـراً مِنْ لِسَـانٍ بِبَيَـانِ الْـقَـوْلِ دَلّ
مَـنْ يُـخَـالِـفْ فِـعْـلُهُ أَقْـوَالَـهُ شَـاعِـرٌ أَوْ تَـاجِـرٌ أَوْ مَـا عَقَـلْ

○ ○ ○

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ سَبّـاً مُـؤْذِيـاً وَانْـفِعَـالاً ثَـائِـراً لَا يُـحْتَـمَـلْ
أَوْ ظُنُـونـاً وَارْتِيـابـاً جَـاهِـلاً وَهُـرُوبـاً وانْـصِـرَافـاً بِـعَـجَـلْ
واتِّـهـامَـاتٍ وَذُعْـراً نَـافِـراً نُفْـرَةَ الْـوَحْشِ إذَا خَـافَ وَضَـلّ
أَوْ صِـرَاعـاً آثِـمـاً يَسْـعَى إلى مَغْنَمٍ مِنْ عَـاجِلِ الـدُّنْيَـا الْأَقَـلّ
أَوْ غُلُـوّاً وافْـتِـخَـاراً بِـالـتُّـقَـى أَوْ مُـبَـاهَـاةً وَمَـنّـاً بِـالْـعَـمَـلْ
وَاشْتِغَـالاً بِـالصَّـغِـيـرات الّـتي تَعْتَنِي بِـالشَّكْلِ لَا الْأَمْـرِ الْأَجَـلّ
أَوْ أَنَـانِـيَـاتِ نَـفْسٍ هَـمُّـهَـا أَنْ تَـرَى الْمَجْدَ لَهَـا دُونَ جَـدَلْ
أَوْ كَـلامـاً أَدَبِـيـاً فَـارِغـاً لَـيْسَ فِيهِ غَيْـرُ تَزْيِينِ الْـجُمَـلْ
أَوْ كَـلامـاً عَـاطِفِيّـاً هَـائِـجـاً تَـافِهَ الْمَعْنَى كَمَـا يَرْغُـو الْجَمَـلْ
أَوْ تَـهـاوِيـلَ وَدَجْـلاً خَـادِعـاً بِـتَـعَـاوِيـذَ وسِـحْـرٍ وَحِـيَـلْ
أَو تَـرَانِـيـمَ وَزُهْـداً كَـاذِبـاً وَأَفَـاعِـيـلَ تَـوَارَتْ بِـالْـخَـبَـلْ

---

(١) الوجل: الخوف.

أَوْ خُـرَافَـاتٍ تَـلَتْـهَـا بِـدَعُ    تَحْرِفُ الدِّينَ وَتُغْرِي وَتُـضِـلّ

○ ○ ○

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ كِبْراً مُحْبِـطاً    عَمَـلَ الـداعِي وَإِنْ فَـاقَ وَجَـلّ
رُبَّ دَاعٍ عُـجْبُـهُ يَـنْـفُـخُـهُ    وَلَـكَمْ عُـجْبٍ تَـمَـطَّى فَـقَـتَـلْ

○ ○ ○

لَـيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ سَبْقـاً لِـلَّذِي    فِيـهِ وَفْرُ الْمَـالِ أَوْ وَفْرُ الكَسَلْ

○ ○ ○

إنَّـمـا الـدَّعْـوَةُ فَـهْـمٌ ثَـاقِبٌ    لِكَـلَامِ اللَّهِ ذِي المعْنَى الْـجَلَلْ
واتِّـبـاعٌ لـرسُـولِ الـلَّهِ فِـي    كُـلِّ مَـا قَـالَ وَكُـلِّ مَـا فَعَـلْ
غَيْـرَ مَا كـانَتْ لَـهُ خَـالِصَـةً    خَصَّــهُ الـرَّحْمَنُ فِيـهَـا وَعَـدَلْ

○ ○ ○

إِنَّـمـا الـدعْـوَةُ كَـدْحٌ دائِـبٌ    فـي أَنَـاةٍ لَيْسَ يَـعْـرُوهَـا مَـلَلْ
رُوحُهـا الْحِكْمَةُ مَهْمَـا واجَهَتْ    مِنْ خُصُـومٍ وهْيَ صَبْـرٌ وأَمَـلْ
هِـيَ والْيَـأْسُ نَـهَـارٌ ودُجَـى    فَـإِذَا اللَّيْـلُ أَتَى الضَّـوْءُ ارتَحَلْ
كُـلَّمـا أَقْبَـلَ يَـأْسٌ مِنْ هُـنَـا    بِـدُجَـاهُ فَـعَـظِـيـمٌ مـا أَفَـلْ

○ ○ ○

إنّمـا الـدَّعْـوَةُ عَـطْفٌ صَـادِقٌ    وَحَـنَـانٌ وَعَـطَاءٌ وَمَـهَـلْ
إنَّـهـا بَـذْلٌ وَإِيـثَـارٌ وَكَـمْ    يُسْعِـدُ الْبَـاذِلَ فِيهـا مـا بَـذَلْ
وَتَـآخٍ مَـعَ مَـنْ يَـدْعُـو إلـى    مَنْهَـجِ اللَّهِ بِـرَأْيٍ مُحْتَـمَـلْ
إنَّـهـا جَـمْـعٌ وَتَـأْلِيـفٌ عَـلـى    سَاحَةِ الإِسلَامِ مِنْ غَيْرِ دَخَلْ
إنَّـهَـا صِـدْقٌ وإِخْـلَاصٌ لِـمَـنْ    هُـوَ يَجْـزِي وَحْـدَهُ عَـزَّ وَجَـلّ
لَا لِـدُنْـيا. أَوْ هَـوىً. أَوْ عُصْبَـةٍ    دُونَ أُخْـرى. أَوْ نِفَـاقٍ أَوْ خَـطَلْ

○ ○ ○

إنّ أَخْـلاَقَ الـرَّسُـولِ الْمُجْتَبى هِـيَ لـلدَّاعـي حُـلِيٌّ وَحُـلَلْ
بِـهُـداهُ أَيُّهَـا الـدَّاعِـي اقْـتَـدِهْ وابْتَغِ الأُخْـرى. وأَخْلِصْ في الْعَمَلْ
سِـرْ عـلى مِنْـهَـاجِـهِ مُـتَّئِـداً مُـطْمَئِنّاً ثُمَّ خُـذْ كَـأْسَ الْبَـطَلْ
وَلَـكَ النَّـعْمَـة يَـوْمَ الـدِّينِ فِي جَنَّـةِ الْخُـلْدِ. وَرِضْـوَانٌ أَجَـلّ

مكة المكرمة في ٢٩ رجب ١٤٠٣ هجرية (٥٥ بيتاً)

فكرة المعجزات وخوارق العادات، تستـولي على مسـاحة كبيـرة من تصورات ووجدانات دعاتنا وشبابنا الإسلاميين، مع أن حكمة الله قد قضت بأن لا ينزّلها أو يمدّ بها إلا بقدر، حتى لا يتكل المؤمنون عليها، فيتهاونوا باتخاذ كامل الأسباب، التي جعلها الله عز وجل من سننه التكوينية الدائمة، التي لا يخرقها إلا نادراً ولحكمة عظيمة.

والقاعدة التي هي الأصل: امتحان الناس ضمن نظام الأسباب. وقد نجم عن الغلط العظيم في هذا الأمر، تورّط الكثيرين بأعْـمَالٍ لم يتخذوا لها أسبابها، ظانين أن وعد الله غير مشروط باتخاذها، فلما فشلوا عتب من عتب منهم على ربه، وشكّ من يعبد الله على حرف، وتراشق المتورطون الاتهامات.

ومنشأ ذلك هو الغلط في فهم سنن الله السببية التي لا تُعَاند، وقصورُ الإدراك عن فهم دلالات النصوص المنزّلة، وعدم النظر إليها جميعاً نظرة متدبرة شاملة، والاكتفاء بالنظر إلى بعضها، وأخذ قاعدةٍ عامة شاملة منه.

وهذه القصيدة قد اشتملت على معالجة هذا الموضوع، كنت نشرتها في جريدة «الندوة» بعددها (٧٦٨٢) الصادر في يوم الثلاثاء ١٢ رمضان ١٤٠٤ هجرية، وهي بعنوان:

**«سنن الله لا تُعاند»**

# سُنَن الله لاَ تُعاند

مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّةِ اللَّهِ الحكيم جَفَا ... نَهْجَ الصَّوَابِ وَضَلَّ السَّعْيَ وَاقْتَرَفَا(١)
فَحَسْبُـهُ مِنْ عِقَـابِ اللَّهِ خَيْبَتُـهُ ... وَمَا بِهِ حَـلَّ مِنْ بُؤْسٍ وما أَسِفَـا
وَاللَّهُ يَغْمُـرُهُ فِي فَيْضِ رَحْمَـتِـهِ ... إِذَا هُـوَ اسْتَغْفَرَ الـرَّحْمٰنَ واعْتَرَفَـا

○ ○ ○

مَنْ صَـدَّ عَنْ سُنَنٍ لِـلَّهِ ثَـابِتَـةٍ ... وظَنَّ أَنْ سَيُصِيبُ النُّجْحَ مَا عَرفَا
فَـطَاعَـةُ اللَّهِ فِي إِعْـطَاءِ سُنَّتِـهِ ... مَا تَقْتَضِيهِ فَمَنْ لَمْ يَرْعَهَا جَنَفَا(٢)

○ ○ ○

قُولوا لِمَنْ يَبْتَغِي نَيْلَ النَّجَاحِ أَفِدْ ... مِنْ كُلِّ تَجْرِبَةٍ مَرَّت لِمَنْ سَلَفَا(٣)
فَكُـلُّ تَجْـرِبَـةٍ مَـرَّتْ بِهَـا عِـظَةٌ ... تُغْنِي السَّفِيهَ وَتُعْطِي ذَا الحِجَا تَرَفَا
مَنْ يَتَّبِعْ سُنَنَ الْبَارِي كَمَا قُدِرَتْ ... وَلَمْ يُعَانِدْ أَصَابَ الدِّينَ والْهَـدَفَا
وَكَانَ مِمَّنْ تُصِيبُ الْحَقَّ حِكْمَتُهُمْ ... وَكَانَ مِمَّنْ سَمَوْا بَيْنَ الْوَرَىٰ حَصَفَا(٤)
فَـرَأْيُهُ وسَبِيـلُ الرُّشْـدِ مَا افْتَـرَقَـا ... وسَعْيُـهُ وَبُلُوغُ الْقَصْدِ مَـا اخْتَلَفَـا
مَـا زَادَ فهماً وَلَكِنْ نَهْـجُ خِـطَّتِـهِ ... وَسُنَّـةُ اللَّهِ فِي أَكْـوَانِـه ائتَلَفَـا
وَكَمْ تَـرَىٰ عَبْقَـرِيَّـاً غَـرَّهُ أَمَـلٌ ... وَكَمْ تَـرَىٰ أَلْمَعِيّاً ضَـلَّ وانْجَـرَفَـا

○ ○ ○

(١) اقترف: يقال: اقترفَ الذنب إذا أتاه وفعله.
(٢) جنف: جار مائلاً عن الحق ومنهج الصواب.
(٣) أَفِـدْ: أي استفد.
(٤) الحصَف: جودة العقل، والحصيف جيد العقل المحكم لأمره.

لِلَّهِ فِي كُـلِّ شَيْءٍ سُنَّـةٌ قُـدِرَتْ          مَنْ حادَ عَنْ قَصْدِهَا عَنْ قَصْدِهِ انْعَطَفَا
إِنْ لم يَخِبْ خَيْبَةً للنَّفْسِ مُهْلِكَةً          أَضَـاعَ مِنْ سَفَـهٍ أثْمَـانَـهُ سَـرَفَـا
مَا كَانَ أغْنَاهُ عَنْ طَيْش وعَنْ سَفَهٍ          لَوْ سَارَ فِي سُنَّةِ الْبَارِي وما انْحَرفَا
لَا يَقْتُلُ الْوَحْشَ شَعْرٌ أَنْتَ نَاتِفُـهُ          مِنْ أنْفِـهِ فَدَعِ الْأَوْهَـامَ والْخَـرَفَـا

○ ○ ○

أَمَّا الّذِينَ طَغَوْا فِي أَرْضِنَا وَبَغَـوْا          فَحَسْبُنَا اللَّهُ ـ مَهْمَا أَسْرَفُوا ـ وَكَفَىٰ
وَاللَّهُ يَـأْمُـرُنَـا أَنْ نَـسْـتَعِـدَّ لَـهُـمْ
من مُـرْهبـات القـوى مـا دكَّ أو عصفـا
وَأَنْ نُـهَـيِّـءَ أَسْبَـابـاً مُـبَـيَّـنَـةً          فِي سُنَّـةِ اللَّهِ حَتَّىٰ نُدْرِكَ الْهَـدَفَا
ونَسْتَعِيـدَ بِفَضْـلِ اللَّهِ عِـزَّتَنَـا          والسَّبْقَ والْمَجْـدَ والإقْبَال والشَّـرَفَا

○ ○ ○

فَـإِنْ نَتُبْ وَنَعُـدْ مُسْتَغْفِـرِينَ لَـهُ          نَجِدْهُ ذَا رَحْمَةٍ كُبْرَىٰ عفَا وَشَفَىٰ

مكة المكرمة: غرة رجب ١٤٠٤ هجرية          (٢١ بيتاً)

# ٤

كثير من الدعاة لا يعرفون من أسباب الدعوة إلاّ الهيـاج الانفعالي، والخطابة الحماسيّة، والتهويل في الأمور، صغائر كانت أو كبائر، وسوق الناس جميعاً بعصاً واحدة، ولا يحسنون من الوعظ غير أسلوب الترهيب، ولا يرون الدعوة إلى الله إلا وعظاً.

مع أن سنن الله السببيّة كثيرة جدّاً، والوعظ أحد هذه الأسباب، ويسبق الوعظ التعليمُ والإقناع بالحقيقة. والناس أصناف وأنواع، ولكل صنف منهم سبب يلائمه ويؤثر فيه.

وهذه القصيدة تعالج منهاج السببيّة في الدعوة إلى الله. وقد سبق أن نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٧٧٦٦) يوم الاثنين (٢٩) من ذي الحجة (١٤٠٤ هـ) وهي بعنوان:

**«منهاج السببية في الدعوة إلى الله»**

# مِنهاج السببيّة في الدعوة إلى الله

يَا دَاعِيَ اللَّهِ أَتْبِعْ فِي الْهُدَىٰ سَبَباً وَاخْتَرْ لِكُلِّ بَعِيدٍ مَا بِهِ جُلِبَا
فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الرَّحْمٰنِ خُذْ سَبَباً لِنَفْسِ مَنْ تَرْتَجِي أَنْ يَقْبَلَ الطَّلَبَا

○ ○ ○

النَّاسُ فِي الْأَرْضِ أَصْنَافٌ وَكُلٌّ هَوىً فِيهِمْ لَهُ سَبَبٌ تَلْقَاهُ مُحْتَجِبَا
وَمِنْهُمُو عَبْدُ مَا يَهْوَىٰ فَفِكْرَتُهُ وَالْعَزْمُ وَالسَّعْيُ كُلٌّ قَدْ نَبَا وَكَبَا

○ ○ ○

لَا تَحْسَبِ الْحَقَّ يَكْفِي أَنْ تُطَالِبَهُمْ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَهْجاً وَمُطَّلَبَا
وَأَنْ تَقُولَ لهم: أَنْتُمْ عَلَىٰ خَطَأٍ وَالحقُّ عِنْدِي وَإِيمَانٌ بِهِ وَجَبَا
وَمَنْهَجُ الْخَيْرِ مَا أَوْضَحْتُ فِي كَلِمِي مَنْ سَارَ فيما سِوَاهُ ضَلَّ وَاغْتَرَبَا
وَتَاهَ فِي أَيِّ وَادٍ مُهْلِكٍ وَسَعَىٰ لِبُؤْسِهِ وَعَلَىٰ عِرْنِينِهِ انْقَلَبَا
فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَدْرِي فَوْقَ مُرْشِدِهِ مَعَالِمَ الْحَقِّ. لَكِنْ رَغْمَ ذَاكَ أَبَىٰ

○ ○ ○

فِي أَنْفُسِ النَّاسِ حَاجَاتٌ مُنَوَّعَةٌ وَيَنْتَقِي ذُو الْهُدَىٰ مِنْ طُعْمِها سَبَباً
أَقْسَىٰ الْوُحُوشِ لَهَا أَشْيَاءُ تُؤْنِسُها بِهَا تُرَوَّضُ حَتَّىٰ تُتْقِنَ اللَّعِبَا
فَتَسْتَجِيبُ لِمَا تُدْعَىٰ لَهُ رَغَباً عُمْراً وَحِيناً تَراهَا أَذْعَنَتْ رَهَبَا

○ ○ ○

مَنْ صَدَّهُ الكِبْرُ قَدْ تُدْنِيهِ تَكْرِمَةٌ وَمَنْ جَفَا لِهَوىً لَمْ يَجْفُ إِنْ رَغِبَا
وَكَمْ عَطَاءٍ لِذِي جَاهٍ بِأُمَّتِهِ بِهِ اهْتَدَىٰ قَوْمُهُ وَاسْتَتْبَعُوا جَلَبَا
وَرُبَّ نَاءٍ لَهُ فِي الْجَاهِ بَعْضُ هَوىً إِنْ تُعْطِهِ مِنْهُ وَافَىٰ مُقْبِلاً خَبَباً
وَكَانَ مَا نَالَهُ مِنْ جَاهِهِ سَبَباً لِرُشْدِهِ فَاهْتَدَىٰ لِلْحَقِّ وَاقْتَرَبَا

وَرُبَّ وَاصِبِ نَفْسٍ سَادَهُ طَمَعٌ    فَدَاوِهِ مِنْهُ حَتَّىٰ يَطْرَحَ الْوَصَبَا[1]
وَصَرِّفِ الْأَمْرَ فِي الْأَسْبَابِ إنْ خَفِيَتْ    عَلَيْكَ مُوصِلَةٌ واجْهَدْ بِهَا دَأَبَا

○ ○ ○

مَنْ يَتَّبِعْ مَنْهَجَ الْأَسْبَابِ مُعْتَمِداً    عَلَىٰ الْقَدِيرِ وَيَصْبِرْ يَسْتَفِدْ عَجَبَا
أَمَّا مَنِ اشْتَدَّ واسْتَعْصَىٰ على سَبَبٍ    مِنْ كُلِّ نَوْعٍ فَدَعْهُ يَصْطَلِي لَهَبَا
لَا تَتَّخِذْهُ عَدُوّاً ظَاهِراً أَبَداً    حَتَّىٰ يَكُونَ عَدُوّاً عَادِياً حَرِبَا[2]
فَإِنْ عَدَا فَاتَّخِذْ ما شِئْتَ مِنْ سَبَبٍ    لِرَدِّ شَوْكَتِهِ فِي نَحْرِهِ قُضُبَا[3]
فَإِنْ تَجِدْهُ اسْتَكَانَتْ نَفْسُهُ رَهَباً    فَاسْتَدْنِهِ وَتَلَطَّفْ لِلْهُدَىٰ رَغَبَا

○ ○ ○

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَعْصَابٌ تَشُدُّ بِهَا    مَا أَنْتَ تَرْجُو فَخُذْ مِنْ حِيلَةٍ عَصَبَا
مَنْ خَانَهُ حَوْلُهُ صَانَتْهُ حِيلَتُهُ    وَمَنْ سَعَىٰ بَاحِثاً لَمْ يَعْدَمِ السَّبَبَا
الْكَيْدُ يَصْنَعُهُ ذُو قُوَّةٍ فَطِنٌ    وَالْمَكْرُ يَمْشِي مَعَ الْأَسْبَابِ مُحْتَجِبَا
فَاجْمَعْ لِكَيْدِكَ مَكْراً ضِدَّ أَهْلِهِمَا    وَزِدْ عَلَيْهِمْ عَسَىٰ أَنْ تَبْلُغَ الطَّلَبَا
بِسُنَّةِ اللَّهِ فِي الْأَسْبَابِ أَجْمَعِهَا    لَتَبْلُغَنْ طَلَباً. أَوْ تَدْفَعَنْ عَطَبَا

○ ○ ○

هٰذِي أَسَالِيبُ رُسْلِ اللَّهِ أَجْمَعِهِمْ    مَنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهَا لَمْ يَلْقَ مَا طَلَبَا
أَجْرِ الْمَحَارِيثَ فِي أَرْضٍ يَقُومُ بِهَا    زَرْعٌ وَلَا تُجْرِهَا فِي الْمَوْجِ مُرْتَقِبَا
وَقَدِّمِ النُّورَ تَهْدِي فِيهِ ذا بَصَرٍ    وَخُذْ بِكَفٍّ كَفِيفٍ لَانَ وانْجَذَبَا
واطْلُبْ رِضَىٰ اللَّهِ فِي الْإِرْشَادِ واخْشَ إِذَا    طَلَبْتَ دُنْيَا بِهِ أَنْ تَجْنِيَ النَّصَبَا

**تركيا ــ شوك شدرة ــ في ١٧ شوال ١٤٠٤ هجرية**    **(٣٢ بيتاً)**

---

(١) الوصب: المرض، والواصب المريض.
(٢) حَرِباً: الحَرب الغضبان المندفع للمحاربة.
(٣) قُضباً: جمع قضيب، وهو نوع من السيوف.

# ٥

التدرج إحدى سنن الله السببيّة، في نظامه التكويني، وإحدى سنن الله التشريعيّة، في تنزيل شريعته لعباده، وهو إحدى سنن الاجتماع البشري التي تخضع لها الظاهرات الاجتماعيّة، بمقتضى سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فالتعليم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، والتربية يجب أن تسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، وكذلك التوجيه الديني والدعوة إلى الله.

وتكوين الجماعات والأمم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً.

وهكذا كلُّ بناء أو إنشاء مادّي أو معنوي، يجب أن يسير وفق هذه السُّنة، لأنّها سنة الله التي جعل كُلّ مُكوّناتِه خاضعةً لها؛ وتركُ سنة التدرج، وابتغاء الطفرة معاندة لسنة الله، وتجاوز لحدودها، وسبب من أسباب الفشل الذي يصاب به العاملون.

وقد عالجت هذه القصيدة سنة التدرج في الدعوة إلى الله، وهي بعنوان:

**«سنة التدرج في الدعوة إلى الله»**

## سنة التدرج في الدعوة إلى الله

نَاشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَرْكَبَ الْعَجَلَا وَأَنْ تَكُونَ رَشِيداً تَتَّقِي الزَّلَلَا
يَا دَاعِياً لِسَبِيلِ اللَّهِ كُنْ فَطِناً واجْعَلْ هُدَاكَ كِتَابَ اللَّهِ والرُّسُلَا
سِرْ بِالتَّدَرُّجِ فِيمَا أَنْتَ تُنْشِئُهُ تَكُنْ رَشِيداً وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْأَمَلَا

○ ○ ○

اللَّهُ رَبٌّ. وَنَهْجُ الرَّبِّ تَنْشِئَةٌ عَلَىٰ التَّدَرُّجِ. إِنْ قَوْلاً. وَإِنْ عَمَلَا
الْخَلْقُ يُنْشِئُهُ فِي سُنَّةٍ قُدِرَتْ فَرَاقِبِ الْخَلْقَ تَشْهَدْ مُتْقَناً جَلَلَا
قُمِ اشْهَدِ النَّبْتَ. والْأَحْيَاءَ أَجْمَعَهَا والسُّحْبَ. والطِّينَ. وَالْأَلْمَاسَ والْجَبَلَا
وَبَاطِنَ الْأَرْضِ. والْأَفْلَاكَ أَجْمَعَهَا وَكُلَّ شَيْءٍ عَلِمْنَاهُ. دَنَا وعَلَا

○ ○ ○

هَلْ لِلْفُجَاءَةِ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلٌ مَنْ ذَا يُقَدِّمُ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلَا؟
مَا تَلْقَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ سُبْحَانَ مَنْ رَتَّبَ الْأَسْبَابَ والْعِلَلَا
واللَّهُ أَنْزَلَ آيَاتٍ مُنَجَّمَةً مُسَلْسَلَاتِ الْهُدَىٰ. فاسْتَقْرِ مَا نَزَلَا
فَكَانَتِ الْأُمَّةُ الْمُثْلَى بِجُمْلَتِهَا مِنْ أَسْفَلِ الْجَمْعِ حَتَّى تَبْلُغَ الْقُلَلَا[1]

○ ○ ○

فَبِالتَّدَرُّجِ تَقْفُو نَهْجَ خَالِقِنَا فَتَبْلُغُ الْمُرْتَجَىٰ. أَو تَتَّقِي الْخَطَلا[2]
لَا يُرْفَعُ السَّقْفُ مَا لَمْ يُبْنَ حَامِلُهُ وَلَا بِنَاءَ لِمَنْ لَمْ يُرْسِ مَا حَمَلَا

---

(١) القُلل: جمع قُلَّة، وهي قِمةُ الجبل، وأعلى الرأس.

(٢) الخطل: الخفة والسرعة. والكلام الفاسد الكثير. وخطل السهم ذهابه يميناً وشمالاً بعيداً عن هدفه بسبب السرعة وعدم الأناة.

لَا تَبْنِ إلَّا إذَا أَسَّسْتَ رَاسِخَـةً مِنَ الْقـواعِـدِ واسْتَكْمَلْتَهَـا عَمـلَا

○ ○ ○

وَجَاهِلٍ يَبْتَنِي صَرْحاً عَلَىٰ جُرُفٍ هَـلَّا حَمَىٰ جُهْدَهُ لـو أَنَّـهُ عَقـلَا
فَكَمْ تَسَامَىٰ بِنَاءٌ في شَـوَاهِقِـهِ فَانْهَارَ مِنْ أُسِّهِ مِنْ بَعْدِ ما اكْتَمَلَا

○ ○ ○

أُسُّ الْأَسَاسِ لِصَرْحِ الدِّينِ مُعْتَقَدٌ فِي الْفِكْرِ وَالْقَلْب. لَا تَبْلُو بِهِ خَلَلَا[1]
عُنْـوانُـهُ حِينَ يَسْتَـوْفِي عَنَـاصِـرَهُ أَدَقُّ لَفْظٍ مُحِيطٍ يَمْنَعُ الدَّخـلَا[2]
أَلَسْتَ تُبْصِرُ فِي «الْإيمانِ» جَوْهَرَ مَا تَـرجُو الْعَقَـائِدُ مِمَّـا قَلَّ أَوْ جَـزُلَا
عُمْقُ الْفُؤَادِ سَلِيمِ الطَّيِّ مَوْطِنُهُ وَبِـالْحَيَـاةِ يُمِـدُّ الْقَـوْلَ والْعَمَـلَا
مَضْمُونُهُ فِي مَجَـال الْفِكْرِ مَعْـرِفَةٌ مِنَ الْيَقِينِ الَّذِي فِي الْغَيْب قَدْ دَخَلَا
وهْـوَ اعْتِـرافٌ إرَادِيٌّ إذَا قَبِـلَتْ بِـهِ الْإِرَادَةُ سُلْطَانـاً حَـلَا وَعَـلَا
مُـوَجِّهاً. آمِـراً بـالْعَـدْلِ. مُنْبَعِثـاً لِلْخَيْرِ مَهْمَا يَجِدْ لِلْخَيْرِ مُدَّخَلَا[3]
مِنْ جَوْهَرِ الْحَقِّ قَدْ صِيغَتْ أَعِنَّتُهُ بِهَا يُكَفْكِفُ عَنْ أَصْحَابِهِ الزَّلَـلَا
الْعِلْمُ بِـالْحَقِّ والْإِيمَـانُ يَتْـبَعُـهُ أَسَاسُ دِينِكَ. فَابْنِ الدِّينَ مُكْتَمِلَا
مَهْمَا اسْتَقَرَّ لَكَ الْإيمَانُ فَابْنِ عَلَىٰ أَسَاسِهِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ. ثُمَّ عَلَىٰ...
ثُمَّ ارْقَ شَيْئاً فَشَيْئاً صَاعِداً دَرَجـاً مِنَ الْبِنَاءِ رَصِيناً. واحْـذَرِ الْعَجَلَا
فَكَمْ عَجُولٍ كَبَا مِنْ ضَعْفِ رُؤْيَتِهِ وَذِي أَنَاةٍ أَصَابَ الـرُّشْدَ وَالْأَمَـلَا

○ ○ ○

مَنْ صَحَّ إيمَانُـهُ أَضْحَى تَصَرُّفُـهُ أَشَدَّ حِرصاً عَلَىٰ مَا بَـرَّ أَوْ عَدَلَا
وَكَـانَ مَـرْكَبُـهُ فِي بَحْـرِ فِتْنَتِـهِ تَقْوىٰ الْمُهَيْمِنِ مَهْمَا حَلَّ وارْتَحَلَا
قَـدْ شَدَّهُ لِنِهَـايَاتِ الْهُـدَىٰ طَمَـعٌ وَصَدَّهُ الْخَوْفُ عَنْ مَهْوَاهُ فَاعْتَـدَلَا

---

(١) لا تَبْلُو به خَلَلا: أي لا تكشف به خَلَلا بعد امتحانه واختباره.
(٢) الدَّخَل: فَسادَ الدَّاخل، ويُطلق على الغدر والمكر والخديعة والعيب غير الظاهر.
(٣) مُدَّخَلا: مَكَاناً يُدْخَلُ مِنْهُ وَلَوْ بِكُلْفَة. أو هو مصدر ميمي من ادّخل على وزن (افتعل).

لِمْ لَا. وَإِيمَانُهُ يُـرْجِي رَجَاهُ إِلَىٰ … جَنَّاتِ خُلْدٍ. بِهَا السَّعْدُ الذي اكْتَمَلا؟
لِمْ لَا. وَإِيمَـانُـهُ بِـاللَّهِ يَمْنَحُـهُ … فَيْضا مِنَ الْجُودِ مَهْمَا طَبْعُهُ بَخِلا؟
بِهِ النَّفِيسَانِ مِنْ نَفْسٍ وَمَا مَلَكَتْ … قَدْ يُبْذَلانِ. لِيَرْضَىٰ ذُو نَدىً وَعُلا
لِمْ لَا. وَإِيمَـانُـهُ بِـاللَّهِ يُلْجِمُـهُ … عَنِ الْمَزَلَّات. إِنْ حُبّاً. وَإِنْ وَجَلا؟
فَـالْحُبُّ يُخْجِلُهُ حِينـاً. وَيُـطْمِعُـهُ … وَالْخَوْفُ يَرْدَعُهُ أَنْ يَرْكَبَ الْخَطَلا
لِمْ لَا. وَإِيمَانُهُ يُعْطِيهِ كُـلَّ رِضىً … عَنِ الْقَضَاءِ. فَيَلْقَاهُ بِـ «حَيَّ هَلَا»؟
أَمَا يَرَىٰ أَنَّ مَـا قَدْ بَـاتَ يَكْرَهُـهُ … قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ مُسْعِداً جَلَلاً؟
وَأَنَّ مَـا بَـاتَ مِنْ دُنْيَـاهُ يَعْشَقُـهُ … لَـرُبَّمَـا كَـانَ شَـرّاً فِتْنَـةً وَبَـلا؟
فَفِي الْمَسَرَّاتِ حُسْنُ الشُّكْرِ مِنْهُ تَلَا … وَفِي الْمَكَارِهِ حُسْنُ الصَّبْرِ مِنْهُ حَلا

○ ○ ○

أَقْبَاسُ مِنْ مَعْدِنِ الْإِيمَانِ أَقْدَحُهَـا … شِعْراً. وَأَنْثُرُهَا فِي سَمْعِ مَنْ عَقَلا

تركيا ــ شوك شدرة في ١٣ شوال ١٤٠٤ هجرية … (٤١ بيتاً)

# ٦

روى الإمام مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ الله تعالى رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي رواية: «إنّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كلّه».

وروى مسلم عنها أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال لها:

«عليكِ بالرّفقِ، وَإيّاكِ والعنف والفحش، فإنّ الرفق لا يكون في شيءٍ إلّا زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلّا شانه».

وروى مسلم عن جرير بن عبدالله البجلي، أنّ النبـي ﷺ قال:

«من يُـحرَمِ الرّفق يُـحرَمِ الخير كلّه».

أي: يحرم خير العمل الذي استخدم فيه العنف، وانعدم فيه الرِّفق، وذلك لأن أسلوب العنف أسلوب لا يأتي بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ في دعوته، وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر رفيقاً، ولم يكن عنيفاً، وكذلك كان أنبياء الله ورسله، وبذلك ملكوا القلوب بالمحبّة، ولَمْ يُطوِّعوا الرّقاب بالإرهاب، إلّا من ظلم وطغى فإنّه يناله العقاب جزاءً وفاقاً.

ويحلو لبعض الدعاة إلى الله استخدام وسيلة العنف، ومواجهة الناس بالعصا، ووجه منقبض، ولفظ فظ، لأنهم لم يتدرَّبوا على خُلُق الرفق بالناس،

وحسن مؤانستهم ومعاشرتهم، والتودُّد لهم، وامتلاك قلوبهم بالبشر والمحبّة، فينفر الناس منهم، ومن دعوتهم، ومن نصائحهم، ومن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. والعنف أسلوب مدخول بسوء خلق وجفاء طبع، إنْ لم يكن دافعه الكبر والعجب بالنفس.

ويزيد الأمر سوءاً حينما يكون هؤلاء جهلة بالدين، يهرفون بما لا يعرفون، ويُفْتُون بما لم يأذن به الله، ويُقدّمون عن الدين صورة سيئة في أقوالهم وأعمالهم.

وهذه القصيدة تعالج منهج الرفق في الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي بعنوان:

**«الرفق في الدعوة إلى الله»**

## الرفق في الدعوة إلى الله

مَنْهَجُ الرِّفْقِ مَنْهَجُ الرُّسُلِ يَا دُعَاةً لِأَقْوَمِ السُّبُلِ

○ ○ ○

أَوَّلُ الْأَمْرِ دَعْوَةٌ رَفَلَتْ[1] وَتَهَادَتْ[2] بِأَبْدَعِ الْحُلَلِ
فِكْرَةٌ حَقٌّ تُزَيِّنُهَا حِكْمَةٌ كَالْمَاءِ والْعَسَلِ
فِكْرَةٌ فِيهَا أَدِلَّتُهَا حُلْوَةٌ فِي السَّمْعِ والْمُقَلِ[3]
حُلْوَةٌ فِي الْفِكْرِ مَا لَمَسَتْ مِنْهُ إِدْراكاً بِلَا ثِقَلِ

○ ○ ○

ثُمَّ تَأْتِي بَعْدُ مَوْعِظَةٌ بَرِئَتْ مِنْ سَيِّىءِ الْعِلَلِ
حَسُنَتْ فِي النَّفْسِ رِقَّتُهَا وازْدَهَتْ بِالنَّاعِمِ الْخَضِلِ[4]
تَلْمَسُ الْأَطْمَاعَ آوِنَةً وَتَهُزُّ الْقَلْبَ مِنْ وَجَلِ
ويُلِينُ الطَّبْعَ سَلْسَلُهَا بِجَمِيلِ الْقَوْلِ والْعَمَلِ
كَمْ تَرَىٰ عَاصِيَةً طَاوَعَتْ لِلَطِيفٍ لَيِّنٍ سَلْسَلِ

○ ○ ○

وَمَنِ اسْتَعْصَىٰ عَلَىٰ حِكْمَةٍ وَعَلَىٰ الْمَوْعِظَةِ الْأَمْثَلِ
فَيُدَاوَىٰ بِالْجِدَالِ الَّذِي يُقْنِعُ بِالْأَجْلَىٰ وَبِالْأَعْقَلِ

---

(١) رَفَلتِ المرأة: جرت ذيل ثوبها وتبخترت.
(٢) تهادت المرأة: تمايلت في مشيتها.
(٣) المقل: جمع مُقْلَة، وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.
(٤) الْخَضِل: الرطب النديّ الذي يرتشف نداه.

لَا يُمَـارَىٰ. بَـلْ يُـدَارَىٰ بِمَـا يَـزْدَانُ بِـالْأَحْسَنِ والْأَفْـضَـلِ

○ ○ ○

فَـوْقَ هَـذا كُـلِّهِ أُسْـوَةٌ تَـأْسِـرُ بِـالْأَكْـرَمِ والْأَجْـمَـلِ
الصَّـبْـرُ مِـنْ أَوَّلِ أَخْـلَاقِـهَـا فَـالْعَفْـوُ والصَّفْـحُ عَـنِ الْأَرْذَلِ

○ ○ ○

هَـذَا هُـوَ الـرِّفْقُ فِـأَمْسِـكْ بِـهِ وَحَـاذِرِ الْـعُـنْـفَ وَلَا تَـجْـهَـلِ
وَتَـابِـعِ الْجَهْـدَ بِحُلْوِ الـرَّجَـا واسْتَخْـدِمِ الْبَـذْلَ وَلَا تَبْـخَـلِ

○ ○ ○

أَمَّـا مَنِ اسْتَعْصَىٰ فَلَمْ يَسْتَجِبْ فَـدَعْـهُ لِـلَّهِ الْحَكِيـمِ الْـعَلِيّ
لَا تَشْغَـلِ الْعُمْـرَ بِـهِ وانْتَقِـلْ لِـغَيْـرِ مُسْتَعْصٍ وَلَا تَـعْـجَـلِ
جَاهِدْ بِمَنْ تَـرْجُو لَـدَيْـهِ الْهُـدَىٰ وَبِـالْعَنِيـدِ الصُّـلْبِ لَا تَحْـفِـلِ
عُـمْـرُكَ مَـحْـدُودٌ فَـأَدْرِكْ بِـهِ بَعْضَ الْأَمَـانِي وانْتَهِـزْ واعْقِـلِ
ثُـمَّ عَـلَىٰ الـلَّهِ تَـوَكَّـلْ إِذَا جِئْتَ مِنَ الْأَسْبَـابِ بِـالْأَكْمَـلِ
لَنْ يَعْـدَمَ الْـمَـرْءُ نَجَـاحـاً إِذَا سَـارَ عَلَىٰ النَّهْـجِ وَلَمْ يَعْـدِلِ
مَـنْ يَبْـتَـغِ الـلَّهَ وَرِضْـوَانَـهُ فِي سَعْيِـهِ يَغْـمُـرْهُ بِـالْأَجْـزَلِ
بِشَـرْطِ أَنْ يَـلْزَمَ فِـي سَـعْـيِـهِ حُـدُودَ مَـا بَيَّنَ فِـي الْمُـنْـزَلِ
أَمَّـا مَـنِ اخْـتَـارَ بِـآرَائِـهِ غَـيْـرَ سَبِيـلِ اللَّهِ فَلْيَـفْـشَـلِ

تركيا ــ شوك شدرة ــ في ١٤ شوال ١٤٠٤ هجرية (٢٦ بيتاً)

# ٧

خاطب الله الذين آمنوا بقوله في سورة (الأحزاب ٣٣):

﴿لقد كان لكم في رسولِ الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الآية ٢١).

وخاطبهم بقوله عزّ وجلَّ في سورة (الممتحنة ٦٠):

﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذْ قالوا لقومهم: إِنّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبدُون من دون الله. كَفَرْنَا بِكم. وَبَدَا بَيْنَنَا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده، إلاّ قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لَك وَمَا أَمْلِكُ لَكَ من الله من شيء. ربَّنا عليكَ تَوكّلْنَا وإليكَ أنبنا وإليك المصير * ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا. واغفر لنا. ربَّنا، إنّكَ أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الحميد﴾ (الآيات ٤ ــ ٦).

وأنّبَ اللّهُ عُلَماءَ بَني إسرائيل ودُعاتهم بقوله عزّ وجلّ في سورة (البقرة ٢):

﴿أتأمُرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتابَ أفلا تعقلون؟﴾ (الآية ٤٤)

فالمفروض في الداعي إلى الله أن يكون في أعماله وأخلاقه قُدوةً حسنة.

ولذلك جعل الله أنبياءه ورسله أسوة حسنة كاملة بالعصمة، مع أنهم قد كانوا أسوة حسنة بمقتضى الاصطفاء.

حتى الرسول محمد ﷺ قد أمره الله بأن يقتدي بهُدَىٰ الرُّسل الذين جاءوا من قبله، فقال له في سورة (الأنعام ٦):

﴿أولئك الذين هدىٰ الله، فبهداهُم اقتدِه. قل: لَا أسألكم عليه أجراً. إنْ هو إلّا ذكرى لِلْعَالَمِين﴾ (الآية ٩٠).

فالداعي إلى الله مسؤول عن الاقتداء بالرسول ﷺ، ليكون هو قدوة حسنة لمن يدعوهم.

أمّا أن يأمر بالتقوى ويكون من أهل المعاصي الظاهرة، ويأمر بالبرّ ويكون من أبعد الناس عن أفعال البرّ، ويأمر بالخلق الحسن ويكون سَيّىء الأخلاق فإنّ دعوته تكون مهنة غير مؤثرة في نفوس من يدعوهم.

وكذلك أُمَّة الدعوة، يجب أن تكون قدوة حسنة فيها تدعو الناس إليه.

وليس كذلك كثير من المتصدين للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وليس كذلك واقع حال الأمة الإسلامية المفروض فيها أن تكون أُمّة الدعوة، لذلك كان حال المسلمين لا يشجع الشعوب غير المسلمة على الدخول في الإسلام، مع أنّ واجب المسلمين أن يكونوا شهداء لله على الناس في التبليغ، وفي تقديم القدوة الحسنة لهم.

وهذه القصيدة تعالج القدوة الحسنة التي يجب أن يتحلّىٰ بها الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر.

نُشِرت في جريدة الندوة بتاريخ ٦ محرم ١٤٠٥ هجرية وهي بعنوان:

**«القدوة الحسنة»**

## القدوة الحسنة

أَيُّهـا الـدّاعي اسْتَقِمْ. ولْتَكُنْ ... قُـدْوَةً لِـلنَّـاسِ مُـسْـتَـحْـسَـنَـهْ

فَـإِذَا كُـنْـتَ لَـهُـمْ أُسْـوَةً ... كُـلُّ فِـعْـلٍ تَنْـتَـقِـي أَحْـسَـنَـهْ

فَـمَـجْـلِسٌ يُغْـنِـيـكَ عَـنْ دَعْـوَةٍ ... فِـي كَـلَامٍ أَشْـهُـراً أَوْ سَـنَـهْ

وَمَـثَـلٌ حَـيٌّ لَـهُ جَـاذِبٌ ... يَفْـعَـلُ مَـا لَا تَفْـعَـلُ الْأَلْـسِـنَـهْ

أَفْعَـالُـهُ السَّـوْسَـنُ فِي رَوْضِـهِ ... مَنْ مَـرَّ فِيـهِ يَقْتَـطِفْ سَـوْسَنَـهْ

يُـثِـيـرُ فِـي النَّـاظِـرِ إِعْـجَـابَـهُ ... فَيَشْتَهِي تَقْلِيـدَ مـا اسْتَحْسَنَـهْ

وَرُبَّـمـا تَـدْفَـعُـهُ غِـبْـطَـةٌ ... وَرُبَّـمـا تَـأْسِـرُهُ مُـحْـسِـنَـهْ

لِـذَا اصْـطَفَـى اللَّهُ لَـنَـا رُسْلَهُ ... حَتَّى يَكُـونُـوا «أُسْـوَةً حَسَـنَـه»

تركيا، شوك شدرة، في ١٥ شوال ١٤٠٤ هجرية ... (٨ أبيات)

# ٨

خاطب الله رسوله محمّداً ﷺ بقوله عزّ وجلَّ في سورة (النحل ١٦):

﴿ادْعُ إلى سبيل رَبّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (الآية ١٢٥).

ويلحق بالرسول في هذا الخطاب الدعاة من أمّته إلى سبيل الله.

والحكمة في الدعوة تقتضي معالجة كلّ مدعوّ بما يلائمه، وبالوسيلة الأكثر تأثيراً على نفسه، ممّا هو مأذون به شرعاً.

ومعرفة الوسيلة التي تقتضيها الحكمة، تستلزم معرفة طبائع الناس، وخصائص الأفراد والجماعات والأقوام والشعوب، وتستوجب دراسات نفسية نظرية وميدانية، واختبارات تجريبية.

فالداعي الحكيم يؤلف الله عليه القلوب، ويجمع عليه النفوس، ويصلح به مفسدين، ويهدي به ضالين، «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».

أمّا المحروم من الحكمة، فضرره في الدعوة إلى سبيل الله أكثر من نفعه، وربّما كان منفّراً، وفتّاناً عَنْ دين الله.

والناس أصناف شتى، فلكل شعب صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الشعوب الأخرى، ولكل فرد صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الأفراد الآخرين.

ومع اختلاف طبائع الشعوب والأفراد، يمكن تصنيف الناس في أصناف،

ويمكن بالتأمل والاختبار والتجربة وملاحظة النتائج، وسبر تجربة الوسائل، التعرّف على الوسائل الأكثر نفعاً في معالجة كلّ صنف.

على أنّ الحكيم يجب أن يكون دائم الملاحظة، سريع التكيُّف، لمعالجة الأفراد من الصنف الواحد، بموجب فروقهم الفردية، واختيار الوسيلة الأكثر نفعاً وتأثيراً.

ولا يتحقق ذلك إلّا بالتعلّـم والتدريب الطويل، مع ضرورة وجود أصل الاستعداد الفطري، فبعض الناس من العسير عليه أن يقهر طبعه ويكون حكيمًا، وهذا من الخير له أن لا يتصدى لدعوة ذات نطاق واسع.

وقد عالجت هذه القصيدة توجيه الداعي لأن يكون حكيماً في دعوته، وهي بعنوان:

**«الداعي الحكيم»**

# الداعي الحكيم

يَـا دَاعِياً بَعْضُ مَنْ تَـدْعُو تُقَرِّبُهُ  وَسِيـلَةٌ. وَسِـوَاهُ قَـدْ تُـبَـعِّـدُهُ
تَـظُنُّ أَنَّـكَ تَهْـدِيـهِ وَتُصْلِحُـهُ  لَكِنَّ أُسْلُوبَـكَ الْمَأْفُـونَ يُفْسِدُه[1]

○ ○ ○

لَا تَحْسَبِ النَّـاسَ أَمْثَـالاً مُـطَبَّقَـةً  عِـلَاجُ إِصْلَاحِهِمْ أَمْـرٌ تُحَـدِّدُهُ
وَمَـا أَفَـادَكَ حِينـاً خِلْتَـهُ سَبَبـاً  يُفِيـدُ فِي كُلِّ أَمْـرٍ أَنْتَ تَقْصِـدُهُ
فَـإِنْ أَهَنْتَ وَأَكْـرَمْتَ امْـرَءاً فَغَـدا  لَدَيْكَ طِبْقَ الَّـذِي تَرْجُـو وتَرْصُدُهُ
فَـلَا تَقُلْ: هُـوَ ذَا أَرْجَىٰ وَسَائِلِنَا  فَأَنْتَ لِلنَّاسِ كُلِّ النَّاسِ تُرْصِدُهُ[2]
لَكَمْ فَتًى إِنْ رَأَىٰ أَدْنَىٰ الْإِهَانَةِ لَمْ  يَصْبِرْ عَلَيْكَ. وَلَوْ أَقْبَلْتَ تَرْفِدُهُ[3]

○ ○ ○

طَبَـائِعُ النَّـاسِ أَنْـوَاعٌ مُقَسَّمَـةٌ  وَكُـلُّ قِسْمٍ لَـهُ هَـدْيٌ يُسَـدِّدُهُ
إِنَّ الْحَكِيمَ يَرَىٰ الْأَسْبَابَ أَجْمَعَهَا  فَيَصْـطَفِي مَا بِـهِ يُصْطَادُ مَقْصِـدُهُ

○ ○ ○

أَمَا الْعَصَا فَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهَا حُجُباً  تُخَـالُ مِنْهَـا لِمَنْ يُـرْجَىٰ تَـوَدُّدُهُ
لَا تَـطْلُبِ الْوُدَّ بِـالْإِرْهَـابِ تُعْلِنُـهُ  الْوُدُّ كَالطَّيْرِ خَوْفُ الْقَنْصِ يُشْرِدُهُ[4]
رَأَيْتُ فِي النَّاسِ مَنْ بِالْعَقْلِ تُقْنِعُهُ  وَيَـنْـتَـهِي بِـبَـيَـانَـاتٍ تَـرَدُّدُهُ

---

(١) المأفون: فَاسد الرأي.
(٢) تُرْصِدُه: تُعِدُّه، يُقَالُ: أَرْصَد له كذا إِذَا أعدَّه له.
(٣) تَرْفِده: تعطيه وتمنحه.
(٤) يُشْرِده: يطرده وينفِّره، مثل يُشَرِّده بالتضعيف.

حَصَافَةُ الْفِكْرِ تُغْنِيهِ فَتَجْذِبُهُ ... لِلْحَقّ. وَالنَّاسُ بِالإِنْصَافِ تَحْمَدُهُ

وَبَعْضُهُمْ بَابُهُ فِي رُكْنِ مَطْمَعِهِ ... مُفَتَّحٌ لاِقْتِنَاصِ النَّفْعِ مُوصَدُهُ(1)

فَابْذُلْ لَهُ يَنْفَتِحْ مِنْ بَابِ مَطْمَعِهِ ... وَادْخُلْ إِلَيْهِ لَعَلَّ الْجُودَ يُرْشِدُهُ

وَرُبَّ صُلْبٍ يَدُ التَّرْهِيبِ تَعْطِفُهُ ... فَيَغْتَدِي مِثْلَ ذِي لِينٍ تَشَدُّدُهُ

○ ○ ○

فَكُنْ حَكِيماً وَضَعْ لِلشَّيْءِ مُصْلِحَهُ ... فَحِكْمَةُ الْمَرْءِ أَسْمَىٰ مَا يُمَجِّدُهُ

مَنْ يُؤْتَ حِكْمَتَهُ نَالَ النَّجَاحَ بِهَا ... حَصَادُهَا خَيْرُ مَا يَجْنِي وَيَحْصُدُهُ

وَكُلُّ ذِي عَبْقَرِيَّاتٍ مُمَيَّزَةٍ ... وَعَامِلٍ كَادِحٍ فِي النَّاسِ يَحْسُدُهُ

الْعَزْمُ والْحِكْمَةُ الْمَرْجُوُّ طَائِرُهَا ... مِلاَكُ قَصْدِكَ. والرَّحْمٰنُ يُوجِدُهُ

**مكة المكرمة، في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية** **(٢٠ بيتاً)**

(١) مُوصَدُه: أي مُغلقه، يقال: أوصد الباب إذا أطبقه وأغلقه.

# ٩

يتصوّر بعض أصحاب النظر السطحيّ القريب أنّ الدّاعي إلى الله، إذا لم يظفر ظفراً مَادّيّاً ضدّ الطغاة البغاة في الأرض، كان مهزوماً، ولم يحقّق الله له مطلوبه.

مع أنّ الحقيقة التي يراها أهل البصيرة، وتنكشف للنّاسِ جميعاً بعد حين، أنّ مبادىء الطغاة هي التي تنهزم في نفوس الجماهير، ومبادىء الدعاة المضطهدين، أو الذين استشهدوا في سبيل دعوتهم هي التي تنتصر في نفوس الجماهير، وتكون لها الغلبة والسلطان.

وتتساقط عروش الطغاة بعد حين، وتنتشر دعوة الدعاة الذين اضطهدوا أو استشهدوا، وتكون هي المستولية على عروش القلوب والنفوس.

والدعاة إلى سبيل الله يجب أن يكون همُّهم انتصار الدعوة، لا انتصار أنفسهم وجنودهم على جبابرة الأرض.

فإن جعلوا هذا هدفهم الأسمى كانوا مخلصين في دعوتهم حقّاً، وهداهم هذا إلى التزام منهج الله، وأخذ الأمور كلّها بالحكمة.

ثم إذا علم الله بحكمته أنه إذا نصرهم نصراً مادّيّاً على عدوّهم أقاموا دينه حقّاً، نصرهم النصر المادّي الذي يحبّون، وجعل لهم التمكين في الأرض، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم.

أمّا إذا علم أنهم ليسوا أهلاً لذلك، فإنه يحجب عنهم النصر الماديّ الذي يحبون، ويقضي بانتصار دينه ولو بعد حين، وبإظهاره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وهذه القصيدة تصحح مفاهيم بعض الدعاة الذين يظنون أن استشهاد الدعاة هزيمة للدعوة، وتبين أنّ انتصار الدعوة ولو بعد حين أعظم وأجلّ من انتصار الداعي انتصاراً ماديّاً، وهي بعنوان:

**«انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي»**

# انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي

يَـا دَاعِيَ اللَّهِ للدَّاعِيـنَ أَسْبَـابُ ... وَدُونَ أَنْفُسِ كُـلِّ النَّاسِ أَبْـوَابُ
مِنْهَا الرَّفِيقُ الّـذِي هَانَتْ مَفَـاتِحُهُ ... وَبَعْضُهَـا دُونَـهُ شَـوْكٌ وَحُجَّـابُ

○ ○ ○

نَفْسٌ كَبَيْتٍ. وَنَفْسٌ قَـرْيَةٌ وَحِمىً ... أَوْ قَلْعَةٌ سَمَقَتْ. مِنْ دُونِهَا غَابُ
وَبَعْضُهَـا مُـدُنٌ تَـاهَ الْغَـرِيبُ بِهَـا ... وَبَعْضُهَـا وَاحَةٌ. والنَّـاسُ أَضْرَابُ

○ ○ ○

فَإِنْ تُرِدْ دَعْـوَةً فَاجْمَـعْ لَهَا عُـدَداً ... مِنْ كُلِّ صِنْفٍ. وَلَا تُقْعِدْكَ أَتْعَابُ
وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ كَالْحِصْنِ مُمْتَنِعـاً ... فَـاحْتَلْ إليـهِ. ولِلْمُحْتَالِ أَسْبَـابُ

○ ○ ○

إِنْ تَلْتَزِمْ بِهُدَىٰ رَبِّ الْأَنَـامِ تَجِدْ ... نَصْـراً. وَلَا يَنْفَـعُ الْكُفَّـارَ أَرْبَـابُ
يُمْدِدْكَ رَبُّكَ بِـالْعَوْنِ الْخَفِيِّ وَإِنْ ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ. وَبَعْضُ الْعَوْنِ إِرْهَابُ
النَّصْـرُ يَأْتِي لِمَـا تَدْعُـو إِلَيْهِ وَإِنْ ... كُنْتَ الشَّهِيدَ. وَإِنْ يَصْلِبْكَ غَلَّابُ
فَرُبَّ دَاعٍ شَهِيدُ الْحَقِّ. حِينَ قَضَى ... قَـامَتْ لَهُ دَوْلَـةٌ. وانْقَـادَ مُـرْتَـابُ

○ ○ ○

وَدَوْلَـةٍ مُذْ هَـوَتْ طَارَتْ مَـذَاهِبُهَا ... فَمَا لَهَـا فِي بَقَايَا الْغُنْمِ أَسْلَابُ

○ ○ ○

تَـدْبِيرُ رَبِّـكَ بِاللُّطفِ الْخَفِيِّ لَـهُ ... سُـرَاهُ سِـرّاً. وَلِـلْآثَـارِ إِعْـرَابُ(١)

---

(١) إعراب: إبانة وإظهار.

وَرُبَّما جَاءَتِ الْأَمْدَادُ ظَاهِرَةً ... وَشَدَّ أَزْرَكَ أَنْصَارٌ وَأَصْحَابُ

○ ○ ○

فَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالْحُبِّ الْعَظِيمِ وَلَا ... تَيْأَسْ وَتَأْسَ. فَلِلرَّحْمٰنِ أَحْبَابُ

هُمُو أَشَدُّ بَلَاءً فِي تَرَحُّلِهِمْ ... لَكِنَّهُمْ أَسْعَدُ الرَّاضِينَ إِنْ آبُوا

وَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَلَا ... تَعْجَلْ وَتُوهِنْكَ مِنْ ذِي الْعَضِّ أَنْيَابُ

وَاطْلُبْ أُجُورَكَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِدَةً ... فَلِلدُّنَى وَمَتَاعِ الْأَرْضِ طُلَّابُ

○ ○ ○

هٰذِي مَعَالِمُ للدَّاعِينَ أَقْبِسُهَا ... مِمَّنْ هُمُو أُسْوَةٌ لِلنَّاسِ أَقْطَابُ

الرُّسْلُ والصَّحْبُ. ثُمَّ الْمُقْتَدُونَ بِهِمْ ... وَكُلُّ مَنْ نَهْرُهُ فِي الدَّهْرِ مُنْسَابُ

**مكة المكرمة، في ٢١ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية** **(١٩ بيتاً)**

# ١٠

من قواعد الدعوة إلى سبيل الله توجيه العناية، للمقبل طالب الهداية، وعدم إيثار المعرضين المستكبرين في الأرض بالاهتمام، طمعاً بانضمام قوتهم إلى الإسلام، وانتصاره بهم، فالمقبل طالب الهداية ولو كان فقيراً أو ضعيفاً هو إنسان له حقّ السبق في مجال التزكية، فلا يجوز الاستهانة بحقه هذا، وإيثار غيره عليه، لا سيما حينما يكون غيره معرضاً مستكبراً. والمقبل طالب الهداية غنيمة يجب الإسراع بصيدها وتجنيدها، ولم يصل حتى قطع شوطاً طويلاً. وهو أيضاً مقبل باندفاع ذاتي، فهو أحرى أن يكون ظهيراً نصيراً، وقوّة ثابتة راسخة، وجندياً صادقاً من جنود الإسلام.

هذه القاعدة قد دلّت عليها قصة عبدالله بن أم مكتوم مع رسول الله ﷺ.

روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعبّاس بن عبدالمطلب، وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويحرص على أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له: عبدالله ابن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبدالله يستقرىء النبيّ ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علّمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثمّ خفق برأسه، ثم أنزل الله:

﴿عبس وتولىّ. أن جاءه الأعمى. وما يُدريك لعلّه يزّكى. أو يذّكّرُ فَتنتفعَهُ الذكرى﴾.

فلمّاً نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلّمه، وقال له: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لك حاجة في شيء؟». انتهى.

وكان يقول له إذا جاء إليه: «مرحباً بمن عاتبني به ربـي». واستخلفه على المدينة مرتين، في غزوتين غزاهما.

وهذه القصيدة تعالج هذه القاعدة، وهي بعنوان:

**«من قواعد الدعوة توجيه العناية لطالب الهداية»**

# من قواعد الدعوة

## توجيه العناية لطالب الهداية

هَدْيُ رَبِّ الْوَرَى لِأَكْرَمِ بَرٍّ … خُذْهُ يَا دَعِياً لِخَيْرٍ وَبِرِّ

عَلَّمَ اللَّهُ: أَنَّ مَنْ جَاءَ يَسْعَىٰ … يَتَزَكَّىٰ. فَهْوَ الْجَدِيرُ بِبِشْرِ

فَتَحَ الْقَلْبَ لِلْهُدَىٰ فَتَصَيَّدْ … قَلْبَهُ مُؤْنِساً بِعِلْمٍ وَذِكْرِ

لَا تَظُنَّ الْغَنِيَّ أَحْرَىٰ وَأَوْلَىٰ … مِنْهُ بِالْهَدْيِ. تَرْتَجِي شَدَّ أَزْرِ

هَؤُلَاءِ الْأَعْلَوْنَ إِنْ لَمْ يَلِينُوا … مِنْ قُلُوبٍ. ظَلُّوا بِنَزْعَةِ كِبْرِ

إِنْ أَجَابُوا مِنْ بَعْدِ جَهْدٍ جَهِيدٍ … فَسَيَبْقَوْنَ بَيْنَ مَدٍّ وَجَزْرِ

بَيْدَ أَنَّ الْعُشَّاقَ لِلْحَقِّ مَهْمَا … ضَعُفُوا فِي الْوَرَى فَهُمْ أَهْلُ نَصْرِ

هُمْ بِنَاءُ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ أَرْضٍ … وَجُنُودُ الدُّعَاةِ فِي كُلِّ عَصْرِ

وَإِذَا مَا تَكَاثَرُوا وَتَلَاقَوْا … عَظُمُوا فِي عُيُونِ قَادَةِ كُفْرِ

فَتَرَىٰ الْجَاحِدَ الْمُحَارِبَ بِالْأَمْسِ وَلِيّاً يُطِيعُ مِنْ غَيْرِ قَسْرِ

وَإِذَا لَمْ يُطِعْ وَظَلَّ عَنِيداً … فَسَيَأْوِي لِمَلْجَإٍ أَوْ لِجُحْرِ

يَتَوَارَىٰ كَيْلَا يُصَادِمَ جَيْشاً … صَارَ ذَا قُوَّةٍ وَبَأْسٍ وَقَهْرِ

○ ○ ○

قَائِدُ الْفَيْلَقِ الْعَرَمْرَمِ فِي «الْأَحْزَابِ» وَافَىٰ فِي «الْفَتْحِ» طَالِبَ سِتْرِ[1]

مُسْلِمَاً رَاضِياً بِحِفْظٍ وَأَمْنٍ … وَسَعِيداً إِذْ نَالَ لَفْظَةَ فَخْرِ

○ ○ ○

(١) هو أبو سفيان بن حرب.

فَتَعَلَّمْ صَيْدَ الْقُلُوبِ بِرِفْقٍ وَتَلَطَّفْ فِي كُلِّ نَهْيٍ وَأَمْرِ
مَنْ يُجِبْ دَعْوَةَ الْهُدَىٰ بِارْتِيَاحٍ فَتَصَيَّدْهُ واحْتَضِنْهُ بِحِجْرِ
وَإِذَا مَا أَبَىٰ عَلَيْكَ زَعِيمٌ فَتَرَبَّصْ بِهِ. بِرِفْقٍ وَحِذْرِ
لَا تُوَاجِهْهُ بِالْعَدَاوَةِ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ بِكَيْدٍ وَمَكْرِ

○ ○ ○

عِلْمُ رَبِّي وَهَدْيُهُ خَيْرُ هَدْيٍ فَاتَّبِعْهُ تَفُزْ بِأَعْظَمِ أَجْرِ
كُلُّ رَأْيٍ سِوَاهُ ظَنٌّ ضَعِيفٌ يَتَهَاوَىٰ لَدَيْكَ مِنْ بَعْدِ خُبْرِ[1]

**مكة المكرمة في ٢٠ ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية** **(٢٠ بيتاً)**

(١) الخُبْر: بضم الخاء وسكون الباء الاختبار والتجربة. والعلم المستند إلى ذلك.

# ١١

انحرافات وأخطاء كثيرة، فقد المسلمون بسببها مركز القيادة والسيادة، داخل معظم بلدانهم، حتى قفز إلى هذا المركز أعداؤهم وأعداء دينهم.

وطريق العودة إلى مركز القيادة والسيادة طويل، وله نظام سببيّ لا بدّ من الأخذ به لتحقيق الهدف المنشود، فاللّه عزّ وجل قد نظم كونه وفق قوانين الأسباب والمسبَّبات، ومن ذلك الظاهرات الاجتماعية، وثمرات الأعمال الإنسانية.

وهذه القصيدة قد تعرّضت لبيانٍ شعري حول الانحرافات والأخطاء التي كانت الأسباب التي فقد بها المسلمون مركز القيادة والسيادة، وحول طريق العودة. وقد وضعت لها عنوان: «**معالم على طريق العودة**»

وأشير إلى أنّي حذفت هنا المقطع الأوّل منها، عسىٰ أن أنشره في مناسبة ملائمة له، فالغرض هنا بيان منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

# معالم على طريق العودة

يَـا أُمَّـةَ الْحَقِّ والإِيمَـانِ والـرَّشَـدِ أَمَا كَفَتْكِ عِـظَاتُ الْحَاضِـرِ النَّكِدِ
تَـرَكْتِ مِنْهَـاجَ دِينِ اللَّهِ مُعْـرِضَـةً فَمَسَّكِ الضَّنْكُ في ذُلٍّ وَفِي بَدَدِ

○ ○ ○

أَنْتِ الَّتِي كُنْتِ أَبْطَنْتِ[1] الْعُدَاةَ وَقَدْ نَسِيتِ أَنَّ عُدُوَّ الْأَمْسِ حَرْبُ غَدِ
مُنَافِقُ الْيَوْمِ . قَـدْ تُغْرِيـكِ بَسْمَتُهُ لَكِنَّهـا بَسْمَـةٌ تُنْبِيـكِ عَنْ حَسَـدِ
تُنْبِيكِ عَنْ حَشْدِ حِقْدٍ في الْفُؤَادِ لَهُ مِنْ زُورِ قَوْلٍ وَفِعْلٍ مَكْرُ مُحْتَشِدِ

○ ○ ○

لَمَّـا تَتَوَّجْتِ بِـالْإِسْلَامِ مَـا فَتِئَتْ نُجُومُ عِزِّكِ تَرْقَى الدَّهْرَ فِي صُعُد[2]
جَحَافِلُ الْحَقِّ تَعْـدُو مِنْكِ فَـاتِحَةً فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ فَتْحَ الْفِكْرِ والْعُدَدِ[3]
لَدَيْكِ نُورَانِ: نُورُ الْهَدْيِ يَصْحَبُهُ نُورٌ مِنَ الْبَأْسِ يَفْرِي مُظْلِمَ الزَّرَدِ[4]

○ ○ ○

وَمُذْ تَهَاوَنْتِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ غَـدَا إِشْـرَاقُ مَجْدِكِ يَهْـوِي غَيْـرَ مُتَّقِـدِ
وَقَامَ فِي أَرْضِكِ الْبَاغُونَ يَصْحَبُهُمْ قَتْـلٌ. وَمَكْرٌ. وَإِيثَـارٌ لِكـلِّ رَدِي
وَحَبْلُهُمْ فِي دِيَـارِ الْكُفْـرِ مُنْعَقِـدٌ وَظَهْرُهُمْ فِي دِيَارِ الْكُفْرِ ذُو سَنَدِ

○ ○ ○

---

(١) أبطنت العداة: أي جعلتهم بطانة لك. تقول: أبطنتُ الرجلَ إذا جعلته من خواصك، وصاحب سرّك.

(٢) صُعُد: جمع صُعود، وهي الطريق الصاعدة.

(٣) الجحافل: الجيوش. العُدَد: جمع عُدة، وهي الأسلحة.

(٤) الزَّرد: حلقات الدرع.

أَمَّــا مَعَــادُكِ لِلْعَـلْيَــاءِ مُشْــرِقَــةً فَــرَهْنُ سَعْيٍ بِدِينِ اللَّهِ مُنْعَقِـدِ
مُـقَيَّــدٍ بِـصِــرَاطِ اللَّهِ لَـيْسَ لَـهُ هَوىً يَمِيلُ بِمَنْحَـاهُ عَنِ الْجِدَدِ[1]

○ ○ ○

لَا يَـرْفَـعُ الصَّـرْحَ أَفْـرَادٌ مُبَعْثَـرَةٌ حَتَّىٰ يَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ ذَوِي عَدَدِ
كُفْءَ النُّهوضِ بِرَفْعِ الصَّرْحِ تَجْمَعُهُمْ قِيَادَةٌ تَمْزِجُ الإِخْلَاصَ بِالرَّشَدِ
مَـا هَمُّهَـا طَلَبُ الـدُّنْيَا وَزِينَتِهَـا وَلَا الْعُلُوُّ وَنَيْلُ الْمَجْـدِ فِي الْبَلَدِ

○ ○ ○

مَلَامِحُ الضَّوْءِ لَاحَتْ فِي السَّمَاءِ فَهَلْ هَذَا الَّذِي لَاحَ نُـورٌ مُؤْذِنٌ بِغَـدِ؟
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ وَكُـلُّ آتٍ يُبِيحُ الـظَّنَّ لِلرَّصَـدِ[2]
وَاللَّهُ عَلَّمَـنَـا أَنْ لَا يَـدُومَ أَسىً وَلَا تَـدُومَ شَـدِيـدَاتٌ عَلَىٰ أَحَـدِ
وَنَـظْرَةُ الْمَـرْءِ لِـلْأَسْبَـابِ تَجْعَلُهُ يَـظُنُّ مَا سَـوْفَ يَأْتِي ظَنَّ مُعْتَقِـدِ
ثُمَّ الْحَـوَادِثُ تَـأْتِي وَفْقَ خِبْـرَتِـهِ وَسُنَّـةُ اللَّهِ فِيهَـا خَيْـرُ مُسْتَنَـدِ
وَمَنْ يُجَاهِدْ بِأَسْبَابِ الْحَـوادِثِ لَا يَعْدَمْ نَتَائِجَهـا فِي الْغَيِّ والرَّشَـدِ

○ ○ ○

يَـا طَـالِبـاً قِمَمَـا أَتْبِـعْ لَهَـا سَبَـاً يَكْفِي لِتَبْلُغَهَـا مَـعْ صَبْـرِ مُجْتَهِـدِ
مَنْ عَاشَ بِالْوَهْمِ يَرْجُو نَيْلَ طِلْبَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَسْبَابِهـا أَفْضَىٰ إِلَىٰ كَمَدِ
وَضَيَّعَ الْعُمْرَ فِي أَحْلَامِ صَحْوَتِـهِ وَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ فَيْضِ الْحُزْنِ والنَّكَدِ

○ ○ ○

لِلْحَيِّ حَظٌّ مِنَ الـدُّنْيـا سَيَبْلُغُـهُ بِكَسْبِـهِ وَقَضَـاءِ الْـوَاحِـدِ الصَّمَـدِ
أَمَّا النَّصِيبُ مِـنَ الْأُخْرَىٰ فَمُرْتَبِطٌ بِسَعْيِـهِ. وَبِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْمَـدَدِ

---

(١) الْجِدَد: المستوي من الأَرْض التي ليس فيها رمل ولا اختلاف. والطريق المستوية التي لا حَدَب فيها ولا وُعُوثة.
(٢) الرصد: المترصدون.

يَا طَالِباً مَنْزِلَ الْفِرْدَوْسِ خُذْ سَبباً ... إِلَيْـهِ مِنْ مُـرْضِيَـاتِ اللَّهِ واجْتَهِـدِ
لَا تَقْتَصِدْ فِي سِبَاقِ الْخَيْرِ مُتَّكِلاً ... مَنَـازِلُ السَّبْقِ لَا تَسْعَىٰ لِمُقْتَصِـدِ

○ ○ ○

مَنْ لَمْ يُرِدْ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ نَهْجَ هُدىً ... فِي عَيْشِهِ. ظَلَّ فِيمَا ضَلَّ مِنْ جُدَدِ[1]
كُـلُّ ابْـنِ آدَمَ مَـوْدُوعٌ أَمَـانَتَـهُ ... يَخْتَارُ مَا شَاءَ فِيهَا غَيْرَ ذِي صَفَدِ[2]
لَكِنَّـهُ يَـوْمَ يَـأْتِي لِلْحِسَـابِ يَـرَىٰ ... كَشْفَ الْحِسَابِ دَقِيقَ الْحَصْرِ والْعَدَدِ
مَا طَارَ مِنْ طَـائِرِ الأَعْمَـالِ يَلْزَمُهُ ... حَتَّىٰ يُدَانَ. لُزُومَ الـظِّلِّ لِلْجَسَدِ
مَـا ظَنُّـهُ هَيِّنـاً يَـوْمَ الْبَـلَاءِ وَلَمْ ... يُهِمَّـهُ أَمْـرُهُ يَـوْمَ الْجَـزَا يَجِـدِ
وَلَا تَضَـامُنَ بَيْنَ النَّـاسِ يَـوْمَئِذٍ ... كُـلٌّ يُحَاسَبُ فَـرْداً غَيْـرَ مُعْتَضِـدِ
وَكُـلُّ مُتَّبِـعٍ فِي الإِثْمِ مُـنْفَـرِدٌ ... يَوْمَ الْحِسَابِ. فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
مَنْ ضَـلَّ مُتَّبِعاً فَهْـوَ الْمُرِيـدُ وَقَدْ ... دَعَاهُ دَاعِي الْهُدَىٰ حِينـاً وَلَمْ يُرِدِ

○ ○ ○

وَمَـنْ يَكُـنْ هَمُّـهُ إِنْقَـاذَ أُمَّـتِهِ ... فَصَـدْرُ أَسْبَـابِـهِ تَـأْلِيفُ مُتَّحِـدِ
صَـرحُ الْجَمَاعَةِ تَبْنِيهِ الْجَمَاعَةُ فِي ... تَعَـاوُنٍ صَـادِقٍ. لَا جَهْـدُ مُنْفَـرِدِ
قَـدْ يَعْمَلُ الْفَـرْدُ فِي تَبْصِيرِ أُمَّتِـهِ ... وَفِي قِيَـادَتِهَـا سَعْيَـاً إِلى صُعُـدِ
لَكِنَّـهُ لَـيْسَ يَبْـنِي وَحْـدَهُ أَبَـدَاً ... أَمْجَـادَهَـا دُونَ أَجْنَـادٍ يَـدٍ بِيَـدِ
لَمْ تَصْنَعِ الْمُعْجِزَاتُ النَّاسَ بَلْ كَشَفَتْ ... صِرَاطَهُمْ. فَمَنِ اسْتَهْدَىٰ الصِّرَاطَ هُدِي
عصاً لموسَىٰ لَهَا فِي الْبَحْرِ آيَتُهَا ... وَفِي الْحِجَارَةِ. لَا فِي كَافِرٍ جَحِدِ
وَنَفْخُ عِيسَىٰ أَحَالَ الطِّينَ طَيْرَ رُبَا[3] ... لَكِنَّـهُ لَمْ يُحَـوِّلْ سُـوءَ مُعْتَقَـدِ

○ ○ ○

---

(١) الْجُدَد: الطرق والسبل.
(٢) الصَّفد: القيد.
(٣) رُبَا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.

يَا بَانِيَ الصَّرْحِ جَمِّعْ مُـؤْمِنِينَ، لَهُمْ ... جِـدٌّ وَصَبْـرٌ. وَتَـابِـعْ سَيْــرَ مُتَّئِـدِ
واطْلُبْ رِضَا اللَّـهِ فِيما أَنْتَ تُنشِئُهُ ... والْزَمْ أَوَامِرَهُ. واخْذَرْ مِنَ الصَّيَدِ[1]
أَمَّـا الْمُنَافِقُ فَـاحْـذَرْ مَكْـرَهُ أَبَـداً ... فَـإِنَّهُ إن يُصَـادِفْ فُـرْصَـةً يَصِـدِ
هٰـذِي نَصَائِـحُ إنْ طَبَّقْتَهَـا فَعَسَىٰ ... أَنْ يَكْمَلُ الصَّرْحُ فِي أَحْقَابِهِ الْجُـدُدِ
مَا وَقْتُ عُمْرِكَ مِقْدَارُ التَّمَامِ فَخُذْ ... مِنْ عُمْرِ آتٍ مِنَ الأَحْفَادِ وَالْـوَلَدِ

**تركيا ــ شوك شدرة في ٢٧ شوال ١٤٠٤ هجرية** **(٤٩ بيتاً)**

---

(١) الصَّيَد: الكبر والعجب بالنفس.

# ١٢

يغفُل بعض الدّعاة عن واجبهم في الدعوة، وهو التبليغ والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، ويظنون أنّ من مهماتهم تحويل النّاس عن الكفر إلى الإيمان، وعن اتّباع الباطل إلى اتّباع الحقّ، وعن سلوك سبيل الشرّ إلى سلوك سبيل الخير، وهذا أمر لم يجعله الله من مهمّات رسله، ولم يكلّفهم إيّاه، ولم يختره لنفسه، بعد أن قضت حكمته بأن يجعل الناس مختارين، ممتحنين في ظروف الحياة الدنيا، لا مجبورين، ولا مُكْرَهين.

والنصوص القرآنية أكدّت لرسول الله هذه الحقيقة في سبعة عشر نصّاً في آيات مكية ومدنية.

ويضيق صدر بعض الدّعاة إذا لم يستجب لهم إلا قليل مع أن ثوابهم عند الله عظيم.

وفي هذه القصيدة بيان لمهمة الدعاة، وأنّ وظيفتهم التبليغ، والهداية، والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، والصبر في معالجة الناس، وعدم أخذ الناس بالإكراه والإجبار، وهي بعنوان:

**«مهمّة الداعي إلى الله»**

# «مُهمّة الدّاعي إلى الله»

أَيُّهـا الـدَّاعِي إلىٰ الله ادَّكِـرْ ... أَنْتَ حَمَّـالُ بَيَـانٍ لِلْبَـشَـرْ
لَيْسَ مِنْ شَـأْنِـكَ إكْـرَاهُ الْـوَرَىٰ ... إنَّمـا يَكْفِيـكَ تَـوْجِيـهُ النُّـذُرْ
لَا تَقُلْ: جَاهَدْتُ فِي النَّاسِ فَلَمْ ... يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ سِوَى بِضْعِ نَفَرْ
كَـمْ نَـبِيٍّ حَـظُّهُ مِـنْ قَـوْمِـهِ ... أَنْجُمٌ مِثْـلُ الثُّـرَيَّـا دُونَ عَشْـرْ
إنْ هَدَىٰ الرَّحْمٰنُ شَخْصاً واحداً ... بِـكَ خَيْـرٌ لَـكَ مِنْ بَحْـرِ دُرَرْ
وَهْـوَ خَيْـرٌ لَـكَ عِنْدَ اللَّـهِ مِنْ ... مَـا بَـدا للشَّمْسِ أَوْ نُـورِ الْقَمَـرْ
فَـابْذُلِ الْجَهْـدَ بِإخْـلَاصٍ وَلَا ... تَـأْسَ مَـا عَـانَدَ جَافٍ أَوْ هَجَـرْ
إنما الْأَجْرُ عَلَىٰ الْجَـهْـدِ فَـلا ... يَنْقُصُ الْأَجْـرُ إذَا الْجَمْعُ كَفَـرْ

○ ○ ○

عَـمَـلُ الـدَّاعِيـنَ تَبْلِيـغٌ لِـمَـا ... جَـاءَ مِنْ حَقٍّ وَهَـدْيٍ فِي السُّـوَرْ
ولِهَـدْيِ الْمُـصْـطَفَىٰ مِـنْ رَبِّـهِ ... خَيْـرِ خَلْقِ اللَّـهِ دَاعِينَـا الْأَغَـرّ
ثُـمَّ تَـذْكِيـرٌ وَنُـصْـحٌ بِـالَّـتِي ... تَعْـطِفُ الْأَنْفُسَ حتَّى تُسْتَجَـرّ
وَعِـظَاتٌ صَـالِـحَـاتٌ شُحِـنَـتْ ... بِحِسَـانٍ مِـنْ نَفِيسَـاتِ الْعِبَـرْ
وَرَفِـيقٌ مِـنْ جِـدَالٍ بِـالَّـتِي ... هِيَ خَيْـرٌ وهْـيَ أَسْمَىٰ وَأَبَـرّ
أَنْتَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تُجْبِـرَ مَـنْ ... رَفَضَ الـدَّعْـوَةَ مِنْ بَعْـدِ النُّـذُرْ
كُـلُّ مَـسْـؤُولٍ دَرَى وَاجِـبَـهُ ... هُـوَ بَيْنَ الْكُفْـرِ والإيمـانِ حُـرّ
فَـإذَا اخْـتَـارَ سَبِيـلَ الْغَيِّ فَلْـ ... يَـتَـحَـمَّـلْ وِزْرَهُ إذْ لَا وَزَرْ(١)

○ ○ ○

---

(١) الْوَزَر: المَلْجأ.

إنَّ نُوحاً قَدْ دَعَا النَّاسَ زُهَا ... أَلْفِ عَامٍ فِي قَطِيعٍ كَالْبَقَرْ
بِنَهَارٍ. وَبِلَيْلٍ قَدْ دَعَا ... وَأَسَرَّ الْقَوْلَ حِيناً وَجَهَرْ
فَإِذَا جُودِلَ أَوْفَىٰ جَدَلاً ... فِي رَفِيقِ الْقَوْلِ. فِي أَسْمَىٰ الْفِكَرْ
ثُمَّ إنَّ اللَّهَ قَدْ أَيْأَسَهُ ... فَدَعَاهُ لاِنْتِصَارٍ فَانْتَصَرْ
أَرْسَلَ الطُّوفَانَ لِلْكُفَّارِ إذْ ... صَانَ مَنْ آمَنَ فِي ذَاتِ دُسُرْ

○ ○ ○

أَيُّهَا الدَّاعِي ادْعُ لِلَّهِ عَلَى ... وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي واصْطَبِرْ
وَإِذَا طَالَ بِكَ الْأَمْرُ وَلَمْ ... يَسْتَجِبْ إلَّا قَلِيلٌ فَانْتَظِرْ
حَسْبُكَ اللَّهُ فَمَا أَنْتَ بِذِي ... سَطْوَةٍ يَمْلِكُ سُلْطَانَ الْقَدَرْ
أَنْتَ دَاعٍ لِمَنِ اخْتَارَ هُدىً ... واتَّقَىٰ اللَّهَ وَأَصْغَىٰ وَادَّكَرْ
مَنْ يُطِعْ. مَنْ جَاءَ مُخْتَاراً عَلَى ... وَاضِحٍ مِنْ دِينِهِ. لَا مَنْ قُسِرْ
هٰذِهِ حِكْمَةُ رَبِّي فِي الْوَرَىٰ ... لَوْ أَرَادَ الْجَبْرَ فِي الدِّينِ جَبَرْ
حِكْمَةُ اللَّهِ امْتِحَانٌ فَلْيُرِدْ ... مَنْ يَشَا مَا شَاء مِنْ خَيْرٍ وشَرّ
ثُمَّ يَجْزِي اللَّهُ فِي دَارِ الْجَزَا ... بِنَعِيمٍ. أَوْ عَذَابٍ فِي سَقَرْ

مكة المكرمة: في ١٤٠٥/٦/٢٤ هجرية ... (٢٩ بيتاً)

# القسم الثاني

## قصـــائـــد
## كتبتها في موضوعات مختلفة
## من موضوعات الدعوة

وفيه فصلان:

□ الفصل الأول: قصائد كتبتها وألقيتها بدمشق في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلاّمة المربّي الشيخ حسن حبنّكة الميداني، رحمه الله عز وجل وأجزَلَ مثوبته.

□ الفصل الثاني: قصائد كتبتها في ظروف مختلفة.

# الفصل الأوّل

قصائد كتبتها في موضوعات من موضوعات الدعوة، وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلاّمة المـرَبي المجاهد الشيخ حسن حبنّكة الميداني، رحمه الله عزّ وجلّ وأجزَلَ مثوبته.

# مقـدمـة

كان أبـي رحمه الله يقيم احتفالاتٍ توجيهية، يقدّم فيها النموذج النافع الصالح، الخالي من البدع، يجدد فيها ذكريات أيام الرسول ﷺ.

وكانت هذه الاحتفالات التوجيهية تشتمل على خطابات، ومحاضرات، ومواعظ، وقصائد شعرية، ومدائح نبوية، تتضمن بيان محـاسن الإسلام، وأخلاق الرسول ﷺ وصفوة أصحابه رضوان الله عليهم، وعرض صورٍ رائعات من أيام المسلمين الأولى وبطولاتهم، ومعالجة مشكلات قائمة معاصرة، والتنبيه على انحرافات المسلمين المعاصرين عن صراط الإسلام، وبيان أنها السبب في تمزقهم وضعفهم وتسلّط أعدائهم عليهم، وكانت لهذه الاحتفالات آثار نافعة جداً في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجميع شباب المسلمين على الخير.

وكان أبـي رحمه الله يحرص على أن يدفع طلابه وتلاميذه وأبناءه للمشاركة في إحياء هذه الاحتفالات بخطاباتهم المرتجلة أو المكتوبة، ويدفع من لديه منهم موهبة شعرية أن يقدّم قصيدة شعرية من نظمه، وكنت واحداً من هؤلاء.

وكان عضد أبـي الأيمن في الإعداد والتدبير عمي الشيخ صادق حبنّكة الميداني، والشيخ حسين خطاب.

وكان أبـي في أول أمره مع طلابه يكتب لهم الخطب والكلمات، وينظم أو ينتقي في الأكثر لهم القصائد الجيدة، ويدرّبهم على إلقائها، ثم يأمرهم بإلقائها

في الاحتفالات، تدريباً لهم على مواجهة الجماهير، ومخاطبتهم ونصحهم بجرأة وحكمة وأدب.

ثم كان يوجّه لهم النقد بعد الاحتفالات، فلا يدع كبيراً ولا صغيراً منهم دون أن يتابعه بالنقد، وكان لا يسامح بأيّ لحن في العربية، أو أيّ خطأ في آية أو حديث، وكان يحاسب على الأداء، وطريقة مخاطبة الناس بما يفهمون، وبالأسلوب الحكيم المؤثر غير المنفّر، فإذا اشتد الخطيب في غير محلّ الشدّة نبّهه، وإذا أطال من غير داعٍ للإطالة عاتبه، وإذا قدّم فكرة غير صحيحة صححها له، وهكذا إلى سائر وجوه النقد، ولكن دون تثبيط للهمة، فتخرج بذلك عدد من طلابه الخطباء.

وكان من عادتي في كثير من هذه الاحتفالات إلقاء قصيدة، وكنت في الغالب أنظمها لها خصّيصىٰ، وأتعرّض فيها إشارةً أو تصريحاً لأحداث قائمة.

وفي هذا القسم طائفة من هذه القصائد.

# ١٣

خرج المستعمر الفرنسي من سورية، وجاء حكم وطني، واجتمع المجلس النيابـي الوطني وأراد وضع دستور للبلاد، وطالب علماء المسلمين بأن يكون دين الدولة الإسلام.

وقام جدلٌ في هذه الأثناء حول وضع الأقليات غير المسلمة في البلاد، وحول اقتباس قانون البلاد من القوانين المدنية الأوروبية.

وكان الاستعمار الفرنسي قد احتال على البلاد فألغى مادة: «دين الدولة الإسلام» ووضع بدلها مادة: «دين رئيس الدولة الإسلام».

وكان أكثر أعضاء المجلس النيابـي المنتخبين من خريجي المدرسة العلمانية الأوروبية، والمتأثرين بالغزو الفكري الوافد.

وفي هذه الأثناء انطلق خطباء المساجد المثقفون، يطالبون الحكومة وأعضاء المجلس النيابـي، بوضع مادة «دين الدولة الإسلام» في الدستور، وكان لأبـي رحمه الله خطابات نارية حول هذا الموضوع، كما بثّ طلابه في المساجد يطالبون بذلك ويحرّكون جماهير المسلمين للضغط على الحكومة والمجلس النيابـي، لوضع هذه المادة في دستور الدولة.

وكثر الأخذ والرّدّ، وقرّرت الحكومة الوطنية عدم الالتفات إلى هـذا الطلب، وإيقاف كلّ تحرّك في هـذا الشأن، ووجّهت أنصـارها لإسكـات الأصوات المطالبة.

وفي هذه الأثناء أملى والدي الشيخ حسن رحمه الله تعالى في يوم جمعة على طلابه خطبةً نارية، وكلفهم أن يتوزعوا على المساجد الكبيرة في دمشق، ويلقوها

عقب صلاة الجمعة، تحريكاً لجماهير المسلمين، حتى يضغطوا على الحكومة والمجلس النيابـي، لوضع مادة: «دين الدولة الإسلام» في الدستور.

وفي احتفالٍ توجيهي كبير أقامه أبـي رحمه الله في حي الميدان بدمشق، شرح فيه خطباء الحفل من طلابه مطلب جماهير المسلمين، وضرورة وضع مادة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور، وكان من الخطباء: «الشيخ حسين خطاب ـ شيخ قراء الشام فيما بعد» و«الشيخ كريم راجح» وآخرون، وكنت أحد هؤلاء الخطباء فيه، وقد ألقيتُ فيه هذه القصيدة، وهي بعنوان:

**«الشمس والإسلام جديدان دائمًا»**

والقصيدة هنا معدّلة ومنقحة.

# الشمس والإسلام جديدان دائمًا

لِلرَّسُولِ الْمُخْتَارِ فَيْضُ جَنَانِي    فَلَقَدْ عَيَّ فِي الْبَيَانِ لِسَانِي
إِنّ ذِكْرَىٰ شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ    سِفْرُ هَدْيٍ إِلَىٰ بَنِي الْإِنْسَانِ
ذِكْرَيَاتُ التَّارِيخِ تَجْدِيدُ مَاضٍ    كُلَّمَا مَرَّ حَاضِرٌ مِنْ زَمَانِ
مِيزَةُ الذِّكْرَيَاتِ جَمْعُكَ فِيهَا    مَاضِيَاتِ الآنَاتِ فِي كُلِّ آنِ
فَلِذِكْرَىٰ شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ    نَفَحَاتٌ تَفِيضُ مِنْ إِيمَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ الْهُدَىٰ لِكُلِّ تَقِيٍّ    لَا لِأُنْسٍ بِمُتْقَنَاتِ الْأَغَانِي
هِيَ ذِكْرَىٰ الْخُلُودِ فِي عَالَمِ الْمَجْدِ وَذِكْرَىٰ الأَبْطَالِ والشُّجْعَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ لِلتَّضْحِيَاتِ ولِلصَّبْرِ وَذِكْرَىٰ الْإِخَاءِ والْإِحْسَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ حَضَارَةٍ عَمَّتِ الكَوْنَ وَذِكْرَىٰ النِّظَامِ والْإِتْقَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ دِينٍ تَنَزَّلَ وَحياً    لِرَسُولِ الْهُدَىٰ مِنَ الدَّيَّانِ
عَرَفَ النَّاسُ فِيهِ أَنّ كِيَانَ الْحَقِّ فِي الْحُكْمِ ثَلَّ كُلَّ كِيَانِ

○ ○ ○

مَوْلِدُ الشَّمْسِ لِلأَنَامِ بَيَانٌ    فِي الْحَضَارَاتِ فَاقَ كُلَّ بَيَانِ
كَانَ هَدْياً لِيَقْظَةٍ وَنُهُوضٍ    من خَبَالٍ فِي عَالَمٍ وَسْنَانِ
ذِكْرَيَاتٌ مِنْهُ أَضَاءَتْ شُعُورِي    وَعَرَانِي مِنْ سِرِّهَا مَا عَرَانِي
هَتَفَتْ بِي وَلَمْ تَكُنْ هَتَفَتْ بِي    صَامِتَاتٌ حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانِ
هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِي الْجَمَادَ يُنَادِي؟    هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِي نِدَاءَ الزَّمَانِ؟
أَوَ مَا وَشْوَشَ النَّسِيمُ وَدَوَّىٰ الرِّيحُ بَيْنَ الْهِضَابِ والْأَغْصَانِ؟
أَوَ لَمْ يَكْتُبِ الشُّعَاعُ عَلَىٰ الْكَوْ    نِ سُطُورَ الْهُدَىٰ بِكُلِّ لِسَانِ؟

أَوَ لَمْ تَفْهَمُـوا حَـدِيثـاً طَـوِيـلاً   بَيْنَ طَرْفَيْنِ فِي النُّجُومِ الرَّوَانِي؟

أَوَ مَـا رَدَّدَ الْـحَـمَـامُ عَـلَىٰ الْـغُـصْـنِ نَـشِـيـداً مُـؤَثِّـرَ الْأَلْـحَـانِ؟

إنَّهـا أَفْصَـحَتْ بِـمَعْـنَىٰ بَـلِيـغٍ   نَـافِـذٍ لِـلْقُـلُوبِ والْأَذْهَـانِ

أَيُّهـا الْمُسْلِمُـونَ: حِينَ هَجَـرْتُمْ   دِينَ هَـذَا الـرَّسُـولِ مِنْ عَـدْنَـانِ

قَـذَفَتْكُمْ أَيْـدِي الشَّتَـاتِ وَأَلْقَتْ   كُـلَّ شِـلْوٍ مِنْكُمْ بِشَـرِّ مَكَـانِ

لَنْ تَنَالُوا الذُّرَىٰ ذُرَىٰ الْمَجْدِ حَتَّى   تُجْمِعُـوا أَمْـرَكُمْ عَـلَىٰ الْقُـرْآنِ

لَنْ تُعِيدُوا الْمَجْـدَ الْعَظِيم وَأَنْتُمْ   فِـي مَعَـاصِـي أَوَامِـرِ الـدَّيَّـانِ

لَـنْ تَعُـودُوا إِلَـى ذُرَاكُـم وأَنْـتُـمْ   قَـدْ هَجَـرْتُمْ خَـلَائِقَ الشُّجْعَـانِ

إِنَّ لِلْمَجْـدِ فِي الْـوَرَىٰ صَهَـوَاتٍ   صَـانَها اللَّـهُ عَنْ رُكُـوبِ الْجَبَـانِ

○ ○ ○

أَيْنَ مِنَّـا أَخْـلَاقُنَـا وَالْمَـزَايَـا؟!   أين مِنَّـا فَـضَـائِـلُ الْإِيمَـانِ؟!

قَـدْ هَجَرْنَـا عَوَامِـلَ الْمَجْـدِ فِينَـا   وانْـخَـدَعْنَـا مَـنِ الْحَيَـاةِ بِفَـانِ

واسْتَخَفَّتْ نُفُـوسُنَـا بِـالْمَعَـالِـي   وانْـشَـغَـلْنَـا بِـلَذَّةِ الْأَبْـدَانِ

وَطَـرَحْـنَـا قَـيَـادَنَـا لِـهَـوَانَـا   وَرَضِينَـا مِنَ الْهَـوَىٰ بِـالْهَـوَانِ

مَـنْ يُـسَـلِّمْ قِـيَـادَهُ لِـهَـوَاهُ   أَسْـلَمَتْـهُ الْأَهْـوَاءُ لِـلشَّـيْـطَانِ

○ ○ ○

قَـدْ نَبَـذْنَـا مَـا كَـانَ سِـرَّ قُـوَانَـا   فَحُـرِمْنَـا مِنْ عِصْمَـةِ الـرَّحْمَنِ

مَـا عَصَيْنَـا الـرَّحمنَ إلَّا دَهَتْنَـا   عَـادِيَـاتُ الْأَعْـدَاءِ بِـالْخُسْـرانِ

○ ○ ○

مَـا لِقَلْبِي إِذَا تَـذَكَّـرَ مَـجْـداً   وَارِفَ الـظِّلِّ جَدَّ في الْخفقَانِ؟

يَـوْمَ كُنَّا نَقُـولُ فِي الشَّـرْقِ قَـوْلاً   فَتَـرَىٰ الْغَـرْبَ خَـرَّ لِـلْأَذْقَـانِ

يَوْمَ كُنَّا السَّادَاتِ فِي كُلِّ أَرْضٍ   لَا نُـبَـالِي طَـوَارِىءَ الْـمَـلَوَانِ[١]

---

(١) الملوان: الليل والنهار.

قَـدْ مَلَكْنَـا وَمَـا مَلَكْنَـا بِبَغْيٍ وَحَـكَـمْـنَـا بِـرَحْـمَـةٍ وَحَـنَـانِ
وَفَـتَحْـنَـا دُنْيَـا ظَـلاَمٍ وَخَـوْفٍ بِسِـلاَحَيْـنِ مِنْ هُـدىً وَأَمَـانِ

○ ○ ○

مَـا لِعَيْـنَـيَّ كُلَّمَـا مَـرَّ حُلْمٌ بَـاسِمُ الثَّغْـرِ جَـادَتَـا بِـالْجُمَـانِ؟
فَـاقِـدُ الْمَجْـدِ حَـالِمٌ بِمَعَـادٍ هُـوَ نَـهْبُ الآمَـالَ والأَشْـجَـانِ

○ ○ ○

وَطَنِي أَنْتَ أَنْفُسٌ طَـاهِـرَاتٌ وَقُـلُوبٌ كَـبِـيـرَةُ الْـعِـرْفَـانِ
وَطَـنِـي أَنْـتَ أُمَّـةٌ وَحَّـدَتْـهَـا يَـدُ رَبِّي مِنْ سَـالِفِ الأَزْمَـانِ
وَطَـنِـي أَنْـتَ قُـوَّةٌ وَثَـبَـاتٌ وَعُـقُـولٌ عَـظِيمَـةُ الـرُّجْـحَـانِ
وَطَـنِـي أَنْـتَ عِـزَّةٌ وَإِبَـاءٌ أَنْتَ حِصْـنٌ مُـمَـنَّـعُ الْبُـنْـيَـانِ
أَنْتَ دِيـنٌ وَأَنْـتَ دُنْـيَـا رَخَـاءٍ أَنْتَ حُكْمٌ بِـالْعَـدْلِ والإِحْسَـانِ
لَـكَ سُـلْطَانُ عِـزَّةٍ وَكَـمَـالٍ فَاقَ فِي الأَرْضِ كُلَّ ذِي سُلْطَانِ

○ ○ ○

وَطَـنِي لاَ أَرَاكَ حَـوْلِـي وَإِنِّي لَـمْ أُغَـادِرْ أَرْضِي لأَيِّ مَكَـانِ
نَحْنُ فِي أَرْضِنَـا غَـرِيبُـونَ أَشْفِقْ بِغَـرِيبٍ فِي أَرْضِـهِ كَمْ يُعَـانِي
أَوْجَـعُ الْغُـرْبَتَيْنِ مَـا نَحْنُ فِيـهِ وَعَـلَيْنَـا الـضِّـدَّانِ يَجْـتَـمِـعَـانِ

○ ○ ○

قَدْ غَزَتْنَا الأَفْكَارُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَقَـبِـلْنَـا زُيُـوفَـهَـا بِـافْـتِـتَـانِ
وَجَعَلْنَـا الـتَّـقْـلِـيـدَ خُـطَّةَ رُشْـدٍ وَهْيَ فِي النَّاسِ خُطَّةُ الْعُمْيَانِ
كَيْفَ نَجْـرِي وَرَاءَ كُلِّ جَـدِيـدٍ دُونَ فَـحْصٍ وَدُونَـمـا تِـبْـيَـانِ
أَوَ لَـوْ قَـادَنَـا إِلَى تَهْلُكَـاتٍ؟! أَوَ لَـوْ قَـادَنَـا إِلَى النِّيـرَانِ؟!
واتِّبَـاعُ الْجَـدِيـدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَبَبُ الْخَسْفِ أَوْ سَبِيـلُ الْهَوَانِ
رُبَّ أَمْـرٍ مِـنَ الْقَـدِيـمِ عَـظِيمٌ صَـانَـهُ عَـن بـلىً جِـدَّتَـانِ

هَـا هِيَ الشَّمْسُ كَـوْكَبٌ قَـدُمَ الْعَـهْـدُ عَلَيْـهِ فَـأَبْـدِلُـوهُ بِثَـانِ
إِنَّ دِيـنَ الإِسْـلَامِ دِيـنٌ قَـدِيـمٌ وَجَـدِيـدٌ مَـا جُـدِّدَ الْـمَـلَوَانِ

○ ○ ○

أَيُّهَـا الْمُسْلِمُـونَ شُـدُّوا عُـرَاكُمْ وَأَعِـيـدُوا الـرَّشَـادَ لِـلرُّبَّـانِ
واسْتَعِيـدُوا هُـدَاكُمُـوا واسْتَمِـدُّوا نَصَّ دُسْتُـورِكُـمْ مِـنَ الْـقُـرْآنِ
مَـا لَكُمْ مُـسْعِـدٌ وَلَا لِسِـوَاكُمْ غَـيْـرُ دِينِ الإِسْـلَامِ والتِّبْيَـانِ
أَيْنَ مَـا نَـظَّمَ الْـوَرَىٰ بِهَـواهُمْ مِـنْ نِـظَامِ الْمُـهَيْمِنِ الـدَّيَّـانِ
إِنَّـهُ الْـفَـاطِـرُ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ بِـالَّـذِي فِيـهِ مُسْعِـدُ الإِنسَـانِ
خَـالِقُ الكَـوْنِ وَالْحَيَـاةِ جَمِيعـاً وَخَبِيـرُ الـنُّفُـوسِ فِي الأَزْمَـانِ

○ ○ ○

صَاحَ فِي النَّاسِ صائِحُونَ وَأَحْقِرْ بِنِـدَاءٍ نَـادَىٰ إِلَىٰ الْـخُـسْـرَانِ
طَعَنُـوا الـدِّينَ فِي الصَّمِيم فَقَـالُـوا: الـدِّينُ شَيْءٌ وَالْحُكْمُ شَيْءٌ ثَـانِ
رَكِبُـوا مَـرْكَبَ الْهَـوَىٰ فَتَمَـادَوْا وتَـصَـدَّوْا بِـالْـبَغْـي والْـعُـدْوَانِ
إِنْ يَكُـونُـوا فِينَـا عَمِينَ فَقَـدِّمْ لَهُـمُـو رَحْمَـةً عَصَـا الْعُمْـيَـانِ
أَوْ يَكُـونُوا عَنْ دِينِهِمْ قَدْ تَعامَـوْا فَـاتَّخِـذْهَـا لَهُمْ عَصَا الْعِصْيَـانِ
قَـلَّدُوا الْغَـرْبَ وَهْـوَ أَنْـصَـرُ لِلْبَـاطِـلِ مِـنْـهُـمْ لِلْحَقِّ وَالْبُـرْهَـانِ
دَوْلَـةٌ دِينُـهَـا عَلَىٰ سَنَنِ الْكُفْـرِ سَتُـمْـنَـىٰ بِـإِمْـرَةِ الـشَّـيْـطَانِ

○ ○ ○

يَـا بُنَـاةَ الأَمْجَـادِ هَـلَّا بُعِثْتُمْ لِتُعِـيـدُوا الـثَّـبَـاتَ لِـلأَرْكَـانِ
هَيَّـا قُـومُـوا وَصَيِّرُوا كُـلَّ شَيْءٍ قُـوَّةً لِلْوَغَىٰ وَبَـأْسِ الـطِّعَـانِ
أَنْتُـمـو قُـدْتُـمـو الْجُيُـوشَ أَعَـاصِيـرَ فَـطَارَتْ زَوَابِـعُ الْـفُـرْسَـانِ
فَـدَمُ الْـكُـفْـرِ كَـالسَّـحَـابَـةِ مَـطْلُولٌ بِـبَـرْقَـيْ مُـهَـنَّـدٍ وَيَـمَـانِي

○ ○ ○

لَيْتَ هَـذَا الـزَّمَانَ كَـرَّ رُجُـوعـاً   فَـرَأَيْنَـا الإِسْـلَامَ دِينَ الأَمَـانِ
وَرَأَيْنَـاهُ حَـاكِـمـاً عَـبْـقَـرِيّـاً   بِـهُـدىً نُـورُهُ مِـنَ الْـفُـرْقَـانِ

○ ○ ○

إِنَّ دِيـنَ الإِسْـلَامِ دِينٌ عَـظِـيمٌ   جُـمِّـعَـتْ فِـيـهِ زُبْـدَةُ الأَدْيَـانِ
فَـارْفَعُـوا رَأْسَكُمْ بِـهِ فِي الْبَـرَايَـا   وَأَعِـزُّوهُ بِـالْـقَـنَـا والـسِّـنَـانِ

دمشق في ١٨/٣/١٣٦٩ هجرية   (٧٩ بيتاً)

# ١٤

ظروف هذه القصيدة كظُروف سابقتها «الشمس والإسـلام جديـدان دائمًا».

فقد نظمت وألقيت بعدها وفي الظرف نفسه، ظـرف مطالبـة علماء المسلمين في سورية الحكومة والمجلس النيابـيّ الوطني بوضع مادّة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور.

وقد ألقيتها في احتفـال توجيهي كبـير، بحـيّ الميدان، ثم في عـدة احتفالات أخرى.

وهي هنا معدّلة ومنقحة بعض الشيء، وهي بعنوان:

**«دين دولتنا الإسلام»**

# دين دولتنا الإسلام

نَغَمَاتٌ لَهَا الدُّنَى أَصْدَاءُ    رَدَّدَتْهَا الْأَمْلَاكُ فَالْأَنْبِيَاءُ
هِيَ فِي بَاطِنِ الْحَيَاةِ حَيَاةٌ    وَهْيَ فِي بَاطِنِ الضِّيَاءِ ضِيَاءُ
صَاغَهَا اللَّهُ شَمْسَ دِينٍ وَهَدْيٍ    فَهْيَ فِينَا الرِّسَالَةُ الْبَيْضَاءُ
أَشْرَقَتْ فِي الْيَتِيمِ خَيْرِ الْبَرَايَا    وَمِنَ الْيُتْمِ دُرَّةٌ حَسْنَاءُ
وَمِنَ الْيُتْمِ رَاحِمٌ عَبْقَرِيٌّ    جَبَلٌ دُونَ سَفْحِهِ الرُّحَمَاءُ
وَمِنَ الْيُتْمِ قَائِدٌ أَلْمَعِيٌّ    قَدْ تَهَاوَىٰ مِنْ دُونِهِ الْعُظَمَاءُ
وَمِنَ الْيُتْمِ سَيِّدٌ قَدْ تَسَاوَىٰ    عِنْدَهُ الْأَعْجَمِيُّ وَالْفُصَحَاءُ
قَدْ تَسَاوَى لَدَيْهِ فِي أَيِّ حَقٍّ    أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ وَالْبُعَدَاءُ
لَوْ جَنَتْ بِنْتُهُ الْحَبِيبَةُ مَا كَا    نَ لَهَا مِيزَةٌ وَلَا إِعْفَاءُ
هَكَذَا الْعَدْلُ وَالنِّظَامُ فَمَاذَا    مِثْلُ هَذَا قَدْ نَظَّمَ الْحُكَمَاءُ؟

○ ○ ○

يَا حَبِيبِي عَلَيْكَ مِنْ فَيْضِ رَبِّي    صَلَوَاتٌ مُبَارَكَاتٌ وِضَاءُ
أَوَ لَمْ يَأْتِكَ الْيَهُودِيُّ يَسْتَقْضِيكَ مَا لَمْ يَحِنْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ
شَدَّ مِنْ صَدْرِكَ الرَّحِيبِ وَنَادَىٰ    بِمَقَالٍ عُنْوَانُهُ الافْتِرَاءُ
لَمْ يَكُنْ مِنْكَ يَا رَسُولُ سِوَىٰ الصَّفْحِ. وَإِلَّا تَفَضُّلٌ وَسَخَاءُ
هَكَذَا اللِّينُ وَالسَّمَاحَةُ فِي شِرْ    عَةِ طَهَ فَلْيَعْلَمِ الْجُهَلَاءُ

○ ○ ○

قَدْ حَبَاكَ الرَّحْمٰنُ خُلْقاً عَظِيماً    دُهِشَتْ مِنْ كَمَالِهِ الْعُقَلَاءُ
إِنْ يُجَزِّئْهُ رَبُّنَا فِي الْبَرَايَا    كَانَ مِنْهُ الْأَخْيَارُ وَالْحُلَمَاءُ

أنتَ بـِـاللَّهِ قَــدْ صَنعْـتَ بُــدُوراً    حَسَدَتْ أرْضَنَــا عَلَيْهَــا السَّمَــاءُ
هُــمْ صِـحَــابٌ وَخِـيــرَةٌ وَدُعَــاةٌ    وَتُــقَــاةٌ وَقَــادَةٌ حُـنَـفَــاءُ
صَنعُـوا دَوْلَـةً بِهَـا الْعَـدْلُ والشُّـو    رَىٰ وَفِـيهَــا الْأَمِـيــرُ والْخُـلَفَــاءُ
حِينَمَــا تَصْلُحُ النُّفُــوسُ وَتَحْـمِي    قَــادَةَ الشَّعْـبِ شِــرْعَــةٌ بَيْـضَــاءُ
يَصْلُحُ الْحُكْمُ. والْأَسَـامِي سَـوَاءٌ    فَــالْمُسَمَّىٰ الْمَـرْجُــوُّ لَا الْأَسْمَـاءُ
أَسَّـسُــوا دَوْلَــةً هِـيَ الـدَّوْحَـةُ الكُـبْـرَىٰ وَمِـنْـهَــا الْأَنْــوَارُ والْأَنْــوَاءُ
سَــاقُهَــا امْتَـدَّ فِي الْحِـجَــازِ وَكُــلُّ الْأَرْضِ مِنْ مَــدِّ ظِـلِّهَــا أَفْيَــاءُ

○ ○ ○

أنْتَ يَـا ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صِرْتَ بِـالْإِسْلَامِ بَــدْراً تَعْنُو لَــهُ الْعَلْيَـاءُ
أَوَمَــا كُنْتَ أكْثَرَ النَّــاسِ بُـؤْسـاً    وَلَــدَيْـكَ الْإِمَــارَةُ الْقَعْسَــاءُ؟!(١)
أَوَمَــا قَــدْ وَهَبْتَ نَــوْمَـكَ لِلْبَــا    ئِسِ حَتَّى ارْتَمَتْ بِـكَ الْبَـأْسَــاءُ
رُبَّـمَــا يُـحْــزِنُ الْكَــرِيـمَ وَيُـضْـنِـيــهِ كَــرِيـمَــانِ عَــدْلُــهُ والْــوَفَــاءُ
دِيــنُــهُ قَــدْ حَبَــاهُ رِقَّــةَ قَــلْبٍ    مَــعَ عَـزْمٍ دَانَتْ لَــهُ الْأَقْـوِيَــاءُ
أَوَلَمْ يَشْفِ سَيْفُـكَ الْحُـرُّ قَــوْمـاً    صَــرَعَـتْـهُـمْ ضَــلَالَــةٌ عَـمْـيَــاءُ
لَيْسَ يَخْفَىٰ الْهُـدَىٰ ولكنْ نُفُـوسٌ    طِــبُّ أَدْوَائِـهــا قَــنــاً سَــمْــرَاءُ
دَاءُ بَعْضِ النُّفُوسِ ضَرْبَـةُ سَيْفٍ    ونُـفُــوسٌ لَـهَــا الـسُّـيُــوفُ دَوَاءُ

○ ○ ○

دَارَ فِينَــا الـزَّمَــانُ دَوْرَةَ سُـــوءٍ    فَــإِذَا الْـعَـيْــنُ كُــلُّهَــا أَقْــذَاءُ
جَثَمَتْ فَــوْقَنَــا الْحَــوَالِــكُ حَتَّىٰ    قِيــلَ: لَا شَــكَّ نَكْـبَــةٌ سَــوْدَاءُ
خُــلُقٌ ضَــائِــعٌ وَدِيــنٌ جَــرِيــحٌ    وَبِــلَادٌ حَــزِيــنَــةٌ أَشْــلَاءُ
نَلْمَسُ الْمَجْــدَ فِي ظَـلَامٍ كَثِيفٍ    لَمْسَ أَوْهَــامِ شِعْـرِهَــا الشُّعَـراءُ
مَــزَّقَتْنَا الْأَهْــوَاءُ كَـالثَّـوْبِ لَمَّــا    عَـصَـفَـتْــهُ عَــوَاصِـفُ هَــوْجَــاءُ

---

١) الْقَعْساء: ذات العزّ الثابت.

هَـا هُنَا عُصْبَـةٌ وَذَلِكَ حِـزْبٌ جَـمَـعَتْـهُ الْأَوَاصِـرُ الـشَّـنْـعَـاءُ
إِنَّ هٰـذِي الْأَحْـزَابَ تَفْتِـكُ فِينَـا وَمِـنَ الْـفَـتْـكِ فُـرْقَـةٌ وَعِـدَاءُ
إِنَّ شَـرَّ الْأَحْـزَابِ شَـرٌّ عَـظِيمٌ فَـهْـيَ دَاءٌ. وَنَـكْـبَـةٌ. وَبَـلَاءُ
وَسَبِيـلُ الْأَعْـدَاءِ سَهْـلٌ إِلَيْـهَـا وَلَـكَمْ يَـخْـتَـفِي بِـهَـا الْأَعْـدَاءُ
مُنْتَمِي الْحِـزْبِ حِزْبُـهُ كُـلُّ شَيْءٍ وَسِـوَىٰ حِـزْبِـهِ وَرَاءٌ وَرَاءُ
هُـوَ لِلْحِـزْبِ سَيْفُـهُ الْمُتَصَـدِّي أَو رَكُـوبٌ ذَلِـيـلَةٌ بَـلْـهَـاءُ
مَبْـدَأُ الْحِـزْبِ بِالنُّفُـوسِ يُفَـدَّىٰ وَعُـرَىٰ الـدِّينِ مَـا لَهَـا أَوْلِيَـاءُ
يَـا لِهَذَا الْعَجِيبِ مِنْ أَمْـرِ قَـوْمِي عَجَبـاً كَمْ تَفِيضُ مِنْـهُ الـدِّمَـاءُ

○ ○ ○

يَـا خَـلِيلِي أَمِـدَّنِـي بِـدِمَـاءٍ فَـيْضُ عَـيْنَـيَّ نَـبْـعَـةٌ حَـمْـرَاءُ
زَعَـمُـوا الـدِّينَ لِـلْعِبَـادَةِ لَا لِـلنُّـظْـمِ وَهْـيَ الْـجَـهَـالَـةُ الْـجَـهْـلَاءُ
لَـوْ كَفَـاهُمْ أَنْ يَجْهَلُوا لَكَفَـوْنَـا مَـا ادَّعَـوْهُ بِـأَنَّـهُـمْ عُـلَـمَـاءُ
قِيـلَ: إِنَّ الْعَمَىٰ يُضِـلُّ. فَقُلْنَـا أَوْ تُـضِـلُّ الْبَـصِـيـرَةُ الْـحَـوْلَاءُ
مَنْ تُـرَىٰ نَـظَّمَ الْمَعَـايِشَ لَمَّـا عَظُمَ الْجَهْلُ فِي الْوَرَىٰ وَالْعِدَاءُ؟
مَنْ تُـرَىٰ طَهَّـرَ النُّفُـوسَ اللَّوَاتِي أَفْسَـدَتْهَـا الْقَبَـائِـحُ الـنَّـكْـرَاءُ؟
مَـنْ تُـرَىٰ أَلَّفَ الـقُلُوبَ عَـلَىٰ الْحُـبِّ وَكَـانَـتْ شَـتَّىٰ بِـهَـا الْأَهْـوَاءُ؟

○ ○ ○

زَعَـمَ النَّـاسُ أَنَّـهُـمْ خَـوَّفُـونَـا حِينَ قَـالُـوا: رَجْعِيَّـةٌ حَـمْـقَـاءُ
نُـصِبَ الْـفَـخُّ لِـلطُّيُـورِ وَنَـادَوْا هَـا هُنَـا رَوْضَـةُ النَّـدَىٰ الْغَنَّـاءُ
بَعَثُـوا الْمُغْـرِيَـاتِ فِي كُـلِّ أُفْقٍ وَمِنَ الـطَّيْـرِ عَـرْشُـهُ الْعَـلْيَـاءُ
فَـإِذَا بَـعْـضُـهَـا تَـرَاجَـعَ لِـلْأُفْـقِ وَقِـسْـمٌ قَـدْ قَـادَهُ الْإِغْـرَاءُ
قَـدَّمَتْـهُ سَفَـاهَـةُ الـرَّأْيِ صَيْـداً عُـدَّةُ الصَّيْـدِ خُـدْعَـةٌ وَدَهَـاءُ
أَفَكَـانَ الـرَّجْعِيُّ أَفْضَـلَ رَأْيـاً أَمْ أُنَـاسٌ دَهَـتْهُـمُـو الـدَّهْيَـاءُ
أَنَـا أَرْضَىٰ الـرُّجُـوعَ فَلْيَشْتُمُـونِي بِـرُجُـوعٍ فِيـهِ الْهُـدَىٰ وَالْعَـلَاءُ

لَا دَهَـانِـي تَـقَـدُّمُ لِـهَـلَاكٍ   بَـلْ حَـمَـتْنِي رَجْعِيَّـةٌ وَإِبَـاءُ
بِئْسَ رَأْيـاً ذَاكَ الـتَّقَـدُّمُ فِـينَـا   ولَنِعْـمَتْ رُجْـعَىٰ هِـيَ اسْتِعْـلَاءُ

○ ○ ○

نَفِـدَ الصَّـبْـرُ بَيْـدَ أَنِّـيَ أَرْضَىٰ   قِلَّةَ الصَّبْـرِ حِينَ يَحْلُو الْمَـضَـاءُ
إِنَّ صَـبْـراً عَلَىٰ الْـهَـوَانِ مَلِيًّـا   لَـسَـبِيـلٌ يَـخْـتَـارُهُ الْـجُـبَـنَـاءُ
فَـقُـلِ الْـحَقَّ مَـا يَـضُـرُّكَ أَنْ تَـسْـتَـكَّ مِـنْـهُ مَـسَـامِـعٌ بَـلْـهَـاءُ
وَامْلَإِ الْكَـوْنَ بِـالنِّـدَاءِ فَمَـا لَمْ   تَعِـهِ الْأَرْضُ قَـدْ وَعَتْـهُ السَّمَـاءُ
إِنَّ فِـينَـا لَأَنـفُـسـاً تَـتَـسَـامَىٰ   فَيَجُـوزُ الـدُّنَىٰ بِهَـا اسْـتَشْـرَاءُ
إِنَّـنَـا أُمَّـةُ الْجِـهَـادِ لِيَـرْضَىٰ   رَبُّـنَـا اللَّهُ. هَـمُّـنَـا الْـعَـلْيَـاءُ
أَيُّهَـا الْمُسْلِمُـونَ هُبُّـوا بِعَـزْمٍ   بِجَهَـادٍ مَـا دُونَـهُ اسْـتِخْـذَاءُ
إِنَّ هٰـذِي أَمَـانَـةَ الـدِّينِ فِيكُمْ   أَفَـأَنْـتُـمْ حُـمَـاتُـهُ الْأُمَـنَـاءُ؟
أَوَلَـيْسَ الْـقُـرْآنُ أَقْـوَمَ قِـيـلاً   وَنِـظَامـاً مِـمَّـا يُـرَىٰ وَيُـشَـاءُ
إِنْ أَرَادُوا فِـينَـا رَشَـاداً وَعَـدْلاً   وَرَخَـاءً فَبِـالْكِتَـابِ اسْتَضَـاءُوا
أَوْ أَرَادُوا فِينَـا انْحِلَالاً وَفَـوْضَىٰ   فَلَنَـا فِي حَيَـاتِنَـا مَـا نَـشَـاءُ
نَـأْخُـذُ الْـمَـالَ عَـنْـوَةً وَنُـرِيقُ الـدَّمَ ظُـلْـمـاً. وَهٰـكَـذَا الْأَقْـوِيَـاءُ
أَنَـا أَوْ أَنْـتَ لَـيْسَ يَـضْـبِطُ نَـفْـسَـيْـنَـا نِـظَامٌ تَـخْـتَـارُهُ الْأَهْـوَاءُ
إِنَّـمَـا يَـضْـبِطُ الْـعَـوَالِـمَ دِيـنٌ   فِـيـهِ لِـلنَّـفْسِ رَهْـبَـةٌ وَرَجَـاءُ

○ ○ ○

أَعْلِنُـوهَـا: «فَـدِينُ دَوْلَتِنَـا الْإِسْـلَامُ» يَـا قَـوْمِ لَـيْسَ عَنْـهُ الْـتِـوَاءُ
إِنَّ هٰـذِي جَـزِيـرَةَ الْـعُـرْبِ عَـصْـمَـاءُ. وَفِيـهَـا شَـرِيعَـةٌ عَـصْـمَـاءُ
فَـلْيَكِـدْ كَـيْـدَهُ الْعَـدُوُّ سَيَبْـقَىٰ   بِـحِمَىٰ اللَّهِ أَمْـنُـنَـا وَالـرَّخَـاءُ

دمشق، في ١٥/٤/١٣٦٩ هجرية   (٧٨ بيتاً)

# ١٥

في قلّة من المدارس الشرعية، وضعفٍ في الدراسات الدينية، وخلوّ المدارس الحكومية الرسميّة من الدراسة الدينية، بتأثير الاستعمار الفرنسي لسورية، بدأ والدي رحمه الله يؤسس مدرسته الشرعية الخاصّة منذ بداية شبابه، وكانت في أول أمرها حلقات من طلاب العلم، الذين لهم أعمال يتكسبون منها، أو لهم مِهَنٌ وصناعات يتعلمونها على أربابها من الصناع عُمّالاً تحت أيديهم، كعَادة جيل ذلك العهد.

وكانت هذه الحلقات تُحدَّد لها أوقات الصباح والمساء، قبل أن يذهب المنتظمون فيها إلى أعمالهم، وبعد أن يرجعوا منها، كوقت ما بعد صلاة الفجر إلى الضحى، ووقت ما بين العشاءين، ووقت ما بعد العشاء.

وكان مركز نشاط أبي رحمه الله جامع منجك في حي الميدان من أحياء دمشق، حيث سَكَنُ عائلتِهِ، وقد اتخذ له في هذا الجامع غرفة للتعلّم والتعليم والإقامة، كعادة معظم أهل العلم وطلابه المتفرغين له، إذْ كانت لهم غرف في المساجد التي تجاور مساكنهم، أو تقع في أحْيائهم.

ثم رغب بعض طلاب هذه الحلقات في الانقطاع عن عمله في كسب المال ليتفرّغ لدراسة علوم الدين واللغة العربية، وما يرتبط بها من علوم، فكان من أوائلهم عمي شقيق أبي الشيخ صادق حبنكة الميداني الذي لم يلتحق أصلاً بعمل تكسّبي، ثم الشيخ حسين خطاب «شيخ قراء الشام فيما بعد» وقد كان صانع دولات نحاسية، فحفظ كتاب الله وهو عامل في هذه الصناعة، ودون الرابعة عشرة من عمره، ومنهم الشيخ نعيم شقير، والشيخ خيرو ياسين، والشيخ

محمد الفرا، ثم الشيخ محمد خير العلبي، والشيخ مصطفى سعيد الخن (دكتور في الشريعة من الأزهر فيما بعد)، وتتابع بعدهم الطلاب المتفرغون للدراسة.

فترك هؤلاء أعمالهم أو لم يكن لهم أعمال أصلاً، ولزموا الجامع، ليواظبوا على حضور الدروس النهارية على الشيخ، ثم رأوا أنّ نومهم في بيوتهم قد يفوت عليهم حضور دروس الصباح والمساء والليل، فصاروا ينامون في الجامع مثل أهل الصفة.

فسعىٰ الوالد رحمه الله لبناءِ غرف لهم على أروقة الجامع من الخشب واللّبن والطين.

فمدّ بعض المحسنين يد المساعدة، فاشتُريتِ الْأَخشاب وبعض وسائل البناء البدائية، وحضر بعض العمال الذين يحضرون دروس الموعظة العامة ودروس الصباح والمساء، فساهموا في أعمال البناء بأجور يسيرة، وهم فقراء، وكان جدّي والد أبي رحمهما الله تعالى له همة عالية، وممارسات في أعمال البناء، وله تقوىٰ ورغبة في الخير، فأخذ يعمل في بناء غرف الطلبة بيده، واشترك الطلبة أنفسهم في أعمال البناء كُلٌّ منهم على قدر خبرته، فتمّ بذلك بناء غرفة كبيرة للشيخ وغرف صغرى للطلاب المنقطعين للدراسة.

وكلّما زاد عدد هؤلاء الطلاب المتفرغين للدراسة، دعت الحاجة لبناء غرف أخرى على أروقة الجامع، حتى صارت بالفعل مدرسة داخلية، لها كلّ وسائلها، ولكن بصورةمتواضعة ليس عليها أي مظهر من مظاهر النعمة والرفاهية.

وكانت نفقات هذه المدرسة تجمع من المحسنين، فقد انتدب بعض أهل الخير والتقوى، من الذين يحضرون دروس الوالد الليلية والصباحية، ودروس الموعظة، فكوّنوا لجنة لجمع التبرعات من التجار وغيرهم من المحسنين، وكان منهم المرحوم الحاج عيد البحرة، والحاج عوض البغا، والحاج عبدالغني الشربجي. والسّادة: عبدالجليل الشيخ سالم، شفيق حالول، توفيق الشربجي، وغيرهم.

وقسّم الشيخ الوالد رحمه الله طلاب هذه المدرسة الداخلية الشرعية إلى حلقات، وجعل مهمة تعليم الطلاب المستجدين على قدماء طلبة الحلقات الأولى، مع استمرار حضورهم في حلقات الشيخ الوالد التي يقرؤون فيها الكتب الكبرى.

وكان صغار الطلبة الموزعون في الحلقات يحضرون بعض حلقات الشيخ أيضاً، في غير مواعيد دروسهم المقررة، التي يتلقونها على مشايخهم من تلاميذ الشيخ، وكنت ممّن تعلّم على تلاميذ أبـي، ثمّ صرت أستاذ حلقاتٍ من دوني.

وقد أفاد هذا الأسلوب جدّاً في تكوين أساتذة يعلّمون طلابهم، ويتلقون على شيخهم في الوقت نفسه، ويحضرون بعض الدروس مع طلابهم على الشيخ في دروس جامعة.

ثـمّ رأى الوالد رحمه الله أن يجعلها مدرسة نظامية مرخصة رسميّاً، وأطلق عليها اسم «معهد التوجيه الإسلامي»، وأسس لها جمعية باسم «جمعية التوجيه الإسلامي».

وألهم الله محسنين ثريّين شريكين في الأعمال التجارية، أن يقوما على نفقتهما ببناء الرواق الشرقي من الجامع بناء حديثاً بالأسمنت المسلّـح، لائقاً بمدرسة شبه نظامية، وكان أبـي متشوّفاً لهذا العمل، ويتحدّث به، ويتمنّـى أن يتمكّن من بنائه، فقام هذان المحسنان رحمهما الله تعالى ببنائه على نفقتهما، وهما: المرحوم «سلطان العجمي» والمرحوم «عزّت الدبس» وهما من أهل حيّ الميدان، ولكن جمعا ثرواتهما من خارج البلاد العربية، بصبر وكفاح، وقد شجعهما على هذا العمل الخيري الحاج عبدالغني الشربجي أحد أعضاء جمعية التوجيـه الإسلامي، ومن تلاميذ الوالد ومحبّيه، وكانت له صلة بالحاج سلطان العجمي.

وبعد أن تم البناء، رأى الوالد رحمه الله، وإخوانه أعضاء الجمعيّة، إقامة احتفالٍ فيه تكريماً للمحسنين، وإشادةً ببناء المدارس الشرعية، وتشجيعاً لأهل الخير والبـرّ، أن يساهموا في بناء المدارس وتمويلها والإنفاق عليها.

وقد تـمّ ترتيب الاحتفال على أن يشترك فيه عدد من الخطباء من تلاميذ الوالد، وكنت واحداً منهم، وقد أعددت له قصيدة مناسبة لموضوعه، وألقيتها فيه فعلاً.

وكان ذلك في سنة ١٣٧٠ هجرية و ١٩٥٠ ميلادية.

وهي هذه القصيدة، وهي بعنوان:

**«بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي في جامع منجك»**

## بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي
## في جامع منجك

عَجَبٌ لِلنُّجُـومِ فَـوْقَ الْهِضَـابِ وَغَـرِيبٌ تَسْيَارُهَـا فِي الـرِّحَـابِ
خَلِّيَـا سَـاحَـةَ الـطَّرِيقِ فَـهَـذَا مَـوْكِبُ الْأُفْقِ دَافِعاً فِي الشِّعَاب
مَـوْكِبُ الْأَنْجُـمِ الـرَّفِيعَـةِ يَحْـتَـثُّ مَـطَايَـاهُ دُونَ هَـذِي الـرَّوَابِي
لِـلْعَـظِيمِ الْعَـظِيمِ لِـلْكَـوْكَبِ السَّـارِي وَلَكِـنْ عَلَىٰ أدِيـمِ التُّـرَابِ
كَـوْكَبٌ يَفْعَـلُ الَّـذِي يَفْعَـلُ النَّـاسُ وَيَبْنِي فِي الْأَرْضِ يـا لِلْعُجَـابِ
كَـوْكَبٌ مِنْ بَنِي مَعَـدِّ بْنِ عَـدْنَـا نَ وَأكْـرِم بِـخِيـرَةِ الْأَنْـسَـابِ
يَحْمِـلُ اللَّبْنَ صَـدْرُهُ وهْـوَ يَسْعَىٰ فَـوْقَ حَـرِّ الـرِّمَـالِ دُونَ اكْتِئَـابِ

○ ○ ○

يَـا رَسُـولَ الْهُـدَىٰ وَيَـا سَيِّـدَ النَّـاسِ تَـرَفَّقْ. نَكْفِيـكَ كُـلَّ طِـلَابِ
يَـا حَبِيبـاً مَـا ذَلِـكَ اللَّبِنُ الْقَـا سِي عَلَىٰ صَدْرِكَ الرَّفِيعِ الْجَنَابِ؟!
أَفَـتَبْنِي دَاراً لِـتَسْكُـنَ فِـيهَـا أَفَـتَبْنِي نَـوَادِيَ الْأَصْـحَـابِ؟!
لَـيْسَ دَاراً وَلَا نَـدِيّـاً وَلَـكِـنْ مَـسْجِـدٌ لِـلْجِبَـاهِ وَالْأَلْـبَـابِ
مَـجْـمَـعٌ لِـلْهُـدَىٰ وَمَـعْـهَـدُ تَـهْـذِيـبٍ وَعِـلْمٍ وَمِـنْـبَـرٌ لِـخِـطَابِ
ذَاكَ مَـا طَـأْطَـأَتْ نُـجُـومُ السَّمَـاوَاتِ. وَأَحْنَـتْ لَـهُ إِلَىٰ الْأَعْـتَـابِ

○ ○ ○

رُوحُ هَـذِي الْـحَيَـاةِ عِـلْمُ كِتَـابِ الـلَّهِ رُشْـدِ الْأَسْـلَافِ والْأَعْـقَـابِ
إنَّ كُـوخـاً في الْأَرْضِ زَيَّنَـهُ الْعِلْمُ كَـبَـدْرٍ أَضَـاءَ كُـلَّ الـرِّحَـابِ

○ ○ ○

أَيْنَ عِلْمُ السَّمَـاءِ وَالَهْفَ نَفْسِي لَا تَكُفِّي يَـا عَيْنُ عَنْ تَسْكَـابِ
إِنَّ عِلْمَ الْقُـرْآنِ وَالـدِّيـنِ فِينَـا فِي ضَيـاعٍ وفِي ضَنًى واغْتِـرَابِ
كُـلُّ عِـلْمٍ لَـهُ تَخَـصَّصُ قَـوْمٌ غَـيْـرَ عِـلْمِ الْأَخْـلَاقِ والآدَابِ
غَيْـرَ عِلْمِ السَّمـاءِ عِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ فَصْـلِ الْهُـدَىٰ وَفَصْـلِ الْخِـطَابِ
هُـوَ عَقْـلُ الْعُلُومِ مَهْمَـا تَـرَقَّتْ وَهْـيَ مِـنْ دُونِـهِ أَدَاةُ خَـرَابِ
فَـازْدِيَـادُ الْـعُـلُومِ دُونَ رَشَـادٍ كَـازْدِيَادِ الْقُـوَىٰ لِـذِئْبِ الْغَـابِ

○ ○ ○

كُـتُبٌ خُطَّ فَـوْقَـهَـا: قَـيِّـمَـاتٌ وَعَـلَىٰ جِلْدِهَـا غِـلَافُ تُـرَابِي
نَـاطِـقَـاتٌ بِخَـافِـتٍ مِنْ أَنِيـنٍ إِنَّ نُـورِي وَقِيمَتِي عِلْمُ مَـا بِـي
إِنَّ كَنْـزَ الْعُلُومِ بَيْنَ دُفُـوفِ الْكُتْبِ فَـقْـرُ الْهُـدَىٰ لَـدَىٰ الْحُسَّـابِ
إِنَّـهـا فِي رُفُـوفِـهَـا تَتَشَـاكَـىٰ أَلَمَ السِّجْنِ أَوْ جَـفَـا الْأَحْبَـابِ
أَسْـطُرٌ كُـنَّ مُشْـبِـهَـاتِ سَـوَادِ الْعَـيْـنِ تَـبْـيَضُّ مِـنْ أَسـىً واكْـتِـئَـابِ
يَـا كِتَابَ الْهُـدَىٰ وسِفْرَ الْمَعَـالِي يَـا حَبِيسَ الـرُّفُـوفِ وَالْأَبْـوَابِ
دَمْعَتِي مَـا تَـزَالُ تَـنْـزِفُ حُـزْنـاً أَوْ أُلَاقِـيـكَ بُـغْـيَـةَ الـطُّلَّابِ
مَـا لَـهُمْ يَـعْشَـقُـونَ بَـارِقَـةَ الْقِـشْـرِ فَتُـنْسِـيـهِمُـو نَـفِيسَ الـلُّبَـابِ
هَجَـرُوا مَـوْرِداً خِضَمّـاً فُـرَاتـاً وَتَـغَنَّـوْا بِـجَـرْعَـةٍ مِنْ شَـرَابِ

○ ○ ○

كُـتُبَ الـدِّيـنِ قَـدْ أَظَلَّكِ يَـوْمٌ أَنْتِ مِنْـهُ مَـقْـطُوعَـةُ الْأَسْبَـابِ
أَنْتِ فِي مُتْحَفِ الْأُولَىٰ سَبَقُـونَـا فِي قَـدِيمِ الْعُصُورِ والْأَحْقَـابِ
مَـعَ حِنْتٍ وَذَاتِ نَـقْشٍ قَـدِيمٍ حَـفِـظُوهَـا لِـنَـظْرَةِ الْإِعْـجَـابِ
بَـيْنَمـا أَنْتِ أَنْـجُمٌ مُـزْهِـرَاتٌ تَـزْدَهِي دَائِمـاً بِنُـورِ الشَّبَـابِ
قَـبَسٌ أَنْـتِ لَا تُـؤَثِّـرُ فِـيـهِ هَـائِجَـاتٌ مِنَ الـرِّيَـاحِ الْغِضَـابِ
حَفِـظَتْـهُ الْأَبْـطَالُ مِنْ كُـلِّ سُوءٍ وَحَمَتْـهُ مِـنْ عُصْبَـةِ الْأَوْشَـابِ

قَـدْ حَسِبْنَـاكِ شِبْتِ لَمَّا خَرِفْنَـا   وَسَـبَتْنَـا الْأَيَّـامُ غَضَّ الْإِهَـابِ

○ ○ ○

أَيْـنَ مَنْ شَـادَ لِلشَّـرِيعَـةِ حِصْناً   عَـبْـقَـرِيَّ الْأَوْتَـادِ والْأَسْـبَـابِ
يَـرْجِعُ الـطَّرْفُ عَنْ مَدَاهُ حَسِيـراً   لَمْ يُـطَاوِلْـهُ. بَلْهَ جُنْحِ الْعُقَـابِ
نَـاطِحَـاتُ السَّحَـابِ لَـوْ أَبْصَـرَتْـهُ   أَبْصَـرَتْ فِيـهِ هَـازِئـاً بِـالسَّحَـابِ
كَسَّـرَتْ قَـرْنَهَـا وَكَـانَ قُصَـارَىٰ   مَـدِّ هَـامَـاتِهَـا إِلَىٰ الْأَبْـوَابِ
أَيْـنَ آبَـاؤُنَـا الَّـذِيـنَ أَقَـامُـوا   كُلَّ صَرْحٍ لِلدِّينِ رَحْبِ الْجَنَابِ
بَـذَلُـوا الْمَـالَ مِثْلَمَـا يُبْـذَلُ الْمَـا   ءُ عَلَىٰ جَـانِبِ الْخِضَمِّ الْعُبَابِ

○ ○ ○

قِيـلَ: إِنَّ الْأَمْـوَالَ مَجْـدٌ وعِـزٌّ   وَبَـلَاغُ الْمُنَىٰ وَفَـكُّ الـرِّقَـابِ
بَيْـدَ أَنَّ الغِنَى بِغَيْـرِ غِنَىٰ الْأَنْفُسِ بِـالْجُـودِ شَـرُّ مَـا فِي الْمُصَـابِ
كَمْ غَنِيٍّ لَا يَحْـرُسُ الْجُودُ مَـالاً   عِنْـدَهُ. نَفْسُـهُ انْـطَوَتْ بِعَـذَابِ
رُبَّ ذِي جَنَّـةٍ تَـفِيضُ ثِـمَـاراً   وَيَـرَاهَـا تَـخْتَـالُ مِنْ إِتْـرَابِ
جَـاءَهَـا فِي صَبَاحِ يَـوْمٍ فَـأَلْفَىٰ   كُـلَّ رِزْقٍ فِيهَا حُـطَامَ الْتِهَـابِ

○ ○ ○

حَسْبُنَـا اللَّهُ مِنْ أُنَـاسٍ سَقَتْهُـمْ   رَاحَـةُ الْكَـافِـرِينَ شَـرَّ شَـرَابِ
كَـانَ مَكْـرُ الْغُـزَاةِ فِيهِمْ شَنِيعـاً   مُـفْسِـداً لِـلنُّفُـوسِ وَالْأَلْـبَـابِ
فَسَعَـوْا نَحْـوَ إِرْثِهِمْ ذِي هُـدَاهُمْ   وَعُـلَاهُمْ لِـدَسِّـهِ فِي الـتُّـرَابِ
فَكَـأَنَّ الْهَـدْيَ الَّـذِي نَـظَّمَ الْعَـا   لَمَ دَهْـراً أُسْـطُورَةٌ مِنْ كِـذَابِ
وَكَـأَنَّ الْغَيْـثَ الَّـذِي غَمَـرَ الْأَرْجَـاءَ فِي أَعْصُـرٍ خَيَـالُ سَحَـابِ
وَكَـأَنَّ الشَّمْسَ الَّتِي قَـدْ مَلَكْنَـا   فِي قَـرِيبِ الْعُصُورِ حُلْمُ شَبَابِ
إِنْ يَمَسَّ الْفَسَـادُ فِكْـرَ ذَوِي الْـفِكْـرِ فَيَـا وَيْلَتَـا لِـهَـذا الْمُـصَـابِ
أَشْنَـعُ الْغَـزْوِ مُفْسِـدُ الْفِكْـرِ مِنَّـا   فَاحْذَرُوا، واحْرِصُوا عَلَىٰ الطُّلَّابِ

○ ○ ○

كَمْ غَيُورِ اللِّسَانِ يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْهُدَىٰ نِحْلَةً بِغَيْرِ ثَوابِ
يَدَّعِي الْفَضْلَ وَهْوَ لَا خَيْرَ فِيهِ وَيَسُوقُ النِّعَاجَ لِلْأَنْيَابِ
يَنْدُبُ النَّاسَ لِلْهُدَىٰ وَيُنَادِي نَحْنُ أَهْلُ الْهُدَىٰ وَأَهْلُ الكِتَابِ
فَإِذَا جِئْتَ طَالِباً مِنْهُ هَدْياً لَمْ تُصَادِفْ غَيْرَ الرَّدَىٰ والكِذَابِ
رُبَّ مَنْ يَدَّعِي هُدىً وَصَوَاباً هُوَ خِلْوٌ مِنَ الْهُدَىٰ والصَّوَابِ
وَمُنَادٍ إِلَىٰ غَدِيرٍ ظِمَاءً عَرَفَ الْحَقُّ فِيهِ غَدْرَ السَّرَابِ

○ ○ ○

لَوْ فَقِهْنَا الْإِسْلَامَ حَقًّا حَمَلْنَا فِي سَبِيلِ الإِسْلَامِ كُلَّ الصِّعَابِ
وَأَبَيْنَا لِينَ الزَّرَابِيِّ حَتَّىٰ نَنْسُجَ السُّحْبَ مِثْلَ نَسْجِ الزَّرَابِيّ[1]
وَأَبَحْنَا أَكْبَادَنَا لِجِهَادٍ صَادِقِ الْبَأْسِ ثَابِتٍ لِلْحِرَابِ
وَثَبَتْنَا بِحِكْمَةٍ كَالرَّوَاسِي وانْتَفَضْنَا إِلَىٰ الْقَنَا والْغِلَابِ
واخْتَصَرْنَا الزَّمَانَ نَحْوَ الْمَعَالِي وَعَدَوْنَا[2] عَوَادِيَ الإِسْهَابِ
فَاجْتَذَبْنَا نَوَاصِيَ الْأَرْضِ قَسْراً بِالنَّدَىٰ والْهُدَىٰ وَكُلِّ شِهَابِ
وَمَلَأْنَا الدُّنْيَا نِظَاماً وَعَدْلاً إِذْ مَلَأْنَا النُّفُوسَ فِي الْمِحْرَابِ
فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ قَدْ ظَفِرْنَا وَبَيْنَ حُسْنِ مَآبِ

○ ○ ○

يَا هُدَاةَ الرِّكَابِ خِطْؤُكُمُو الْيَوْ مَ سَبِيلَ الرَّشَادِ خِطْءُ الرِّكَابِ
لَا تَكُونُوا لَنَا إِذَا حَصْحَصَ الْحَقُّ أُولِي ضَلَّةٍ[3] وَأَهْلَ خِلَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَا النَّاسُ دِينُ أَحْمَدَ حَقٌّ وَصَرِيحٌ فَحَسْبُنَا مَا نُحَابِي

---

(١) الزرابي: النمارق والبُسُط أو كُل ما بُسط واتُّكِئ عليه مفردها زُرْبِي.
(٢) عَدَوْنا: أي تجاوزنا وتعدَّينا.
(٣) ضَلة: حَيْرَة.

لَـوْ تُـدَارِي أُسْـدُ الشَّـرَىٰ ثَعْلَبَ الـرَّوْضِ تَمـطَّى لِكَيْـدِهَا فِي الْغَـابِ

○ ○ ○

أَيُّـهَـا الْعَـامِـلُونَ لَا تَسْـتَكِـينُـوا إِنَّمَـا الضَّعْفُ شِيمَةُ الْمُـرْتَـابِ
إِنْ ضَعُفْتُمْ يَضْعُفْ بِكُمْ جِيلُ قَوْمِي فَهْـوَ فِي الْجِـدِّ وَاهِنُ الْأَعْصَابِ
واحْـذَرُوا بَـيْـنَ حِـكْـمَـةٍ وَأَنَـاةٍ أَنْ يَجُـوسَ الْعَـدُوُّ تَحْتَ حِجَابِ

○ ○ ○

أَيُّهـا الْمُصْلِحُـونَ لَا تَتَـوانَـوْا فَـالـتَّـوَانِي وَسِـيلَـةٌ لِـلتَّبَـابِ[1]
وَإِذَا الْمُصْلِحُونَ فِي الْقَوْمِ نَـامُوا نَهَضَتْ بَيْنَهُمْ جُيُـوشُ الْـخَـرَابِ

○ ○ ○

إِنّ هٰـذِي قَصِيـدَتِي قَـاسَمَتْنِي بَعْضَ نَفْسِي وَفِكْـرَتِي وَطِـلَابِـي
مَـا عَلَىٰ الْعَـاجِـزِينَ مِثْلِي سِـوَى الْقَـوْلِ فَـذِي عُـدَّتِي وَهَـذَا جِـرَابِـي

دمشق، في سنة ١٣٧٠ هجرية (٨١ بيتاً)

(١) التباب: النقص والخسران.

# ١٦

في سنة **١٣٧٣** هجرية أقام أبـي رحمه الله احتفالاً توجيهياً في مسجده الجامع بحيّ الميدان بدمشق، اشترك في الخطابة فيه عدد من طلابه، منهم المقرىء الجامع للقراءات العشر الشيخ حسـين خطاب، والمقـرىء الجامـع للقراءات العشر الشيخ محمد كريّم راجح، وكلاهما قد جمعا القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة على المقرىء الجامع الشيخ محمد الحلواني، ثم ولده العبقري المقرىء الجامع الشيخ أحمد الحلواني. ومن طريق طيبة النشر على المقرىء الجامع الشيخ عبدالقادر قويدر العربيني.

وكنت أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة، وألقيتها فيه، وهي بعنوان:

**«مشرق شمس الإسلام»**

# مَشْرِقُ شمسِ الإسْلام

أَمِنْ هَمَسَاتِ الْمَاءِ مَا شُحِنَ الصَّدْرُ ... وَمِنْ وَشْوَشَاتِ النَّحْلِ مَا انْتَحَلَ الشِّعْرُ؟

وَلِلنَّهْـرِ سَجْـعٌ لَا يُمَـلُّ سَمَـاعُـهُ ... إِذَا كَانَ هَذَا السِّحْرُ لَا عُدِمَ السِّحْرُ

وَسَالَ عَلَىٰ حَصْبَاءِ مُنْحَدَرِ اللِّوَىٰ[1] ... كَسِـرْبِ ظِبَاءٍ رِيعَ يَـدْفَعُـهُ النَّفْـرُ

وَللرَّمْـلِ عِنْـدَ الشَّـاطِئَيْنِ حَـدِيثُـهُ ... وَلَكِنْ حَـدِيثُ الرَّمْـلِ أَغْلَبُهُ سِـرُّ

وَضَاقَ وِعَاءُ الطَّيْرِ عَنْ كَتْمِ سِـرِّهِ ... فَـأَذَّنَ فِي الْـوَادِي وَلَذَّ لَهُ النَّشْـرُ

وَأَبْــدَعَ عُـذْرِيُّ النَّسِيمِ مُجُـونَـهُ ... فَصَفَّقَتِ الْأَغْصَانُ وارْتَعَشَ الطَّيْـرُ

وَحَـدَّثَتِ الرَّيْحَـانَةُ الْـوَرْدَ سَـاعَـةً ... بِأَعْذَبِ نَجْوَىٰ اثْنَيْنِ مَا بِهِمَا حِذْرُ

وَأَغْضَتْ عُيُونُ النَّرْجِسِ الْغَضِّ عَنْهُمَا ... وَأَدْرَكَ مَا فِي الْأَمْرِ فَابْتَسَمَ الزَّهْرُ

وَتَـمَّمَ أَنْـوَاعَ الْـجَمَـالِ مُـغَـرِّدٌ ... بِسِحْرٍ مِنَ الْأَلْحَانِ بَشَّ لَهُ الدَّهْرُ

أَحَـاسِيسُ عِنْدَ الْمُـرْهَفِينَ لَـذِيـذَةٌ ... وَمَا حَدَّهَـا وَصْفٌ وَلَمْ يَعِهَا فِكْـرُ

وَمَـا هِيَ إِلَّا مِثْلُ وَمْضِ شُعَـاعَةٍ ... لِمَشْرِقِ شمسِ الْمُصْطَفَىٰ وانْتَهَىٰ الْأَمْرُ

○ ○ ○

أَيَا عَهْدَ إِشْرَاقِ الْهُدَى فَـاحَ نَشْرُهُ ... فَعَمَّ عَلَىٰ الْأَرْجَاءِ مِنْ عِطْرِهِ عِطْرُ

يُـذَكِّـرُنَـا عَصْـراً لَيَـالِيـهِ نَـوَّرَتْ ... بِبِعْثَةِ مَنْ جَاءَ الْهُدَىٰ فِيهِ والـطُّهْرُ

أَيَا مَشْرِقاً فِي الْأَرْضِ شَرَّفْتَهَا عَلَىٰ ... سَمَاءٍ سَمَتْ فِيها كَـوَاكِبُهَا الـزُّهْرُ

إِذَا لَمْ يَـرَ الرَّاءُونَ نُـورَ رَسُـولِنَـا ... فَلَا بَزَغَتْ شَمْسٌ وَلَا طَلَعَ الْبَـدْرُ

فَـوَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْبَـعُ هَـدْيِـهِ ... وَهَـذا كِـتَـابُ اللَّـهِ آيَـاتُـه غُـرُّ

○ ○ ○

---

(١) اللِّوى: مَا الْتوى من الرمل.

يَتِيمَ قُرَيْشٍ يَا أَبَا النَّاسِ دَعْـوةً إلَىٰ اللَّـهِ لَا تَحْزَنْ ففِي كَفِّكَ النَّصْرُ
وَمَا الْيُتْمُ إلَّا بَعْضُ مَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِـأَنْعُمِـهِ. وَالْيُتْمُ يَعْـرِفُـهُ الـدُّرُّ
فَـلَا دَمعَتْ عَيْنَا يَتِيمٍ مِنَ الْأَسَىٰ لِيَنْهِي الْيَتَامَىٰ. فالرَّسُولُ لَهُمْ فَخْرُ

○ ○ ○

تَبَارَكْتَ رَبَّ الْعَرْشِ أَرْسَلْتَ أَحْمَداً بِمَـا فِيهِ لِلنَّـاسِ السَّعَادَةُ والْخَيْـرُ
أَكَانَ لِزَاماً فِي الْوَرَىٰ أَنَّ مَنْ دَعَا إلَىٰ اللَّـهِ مِنْهُمْ مَسَّهُ الْهُزْءُ والنُّكْر؟؟
نَعَمْ هُوَ شَأْنُ النَّاسِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ وَإنَّ عَجِيبَ الْأَمْرِ أَنْ يُعْكَسَ الْأَمْرُ
فَصَبْـراً دُعَاةَ اللَّـهِ إنْ مَسَّكُمْ أذى وَنَالَكُمو هُزْءٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ ضرُّ
فَـإنَّ رَسُولَ اللَّـهِ أُسْـوَةُ مَنْ دَعَـا بِدَعْوَةِ حَقٍّ فَـالْتَوَىٰ حَـوْلَهُ الْمَكْـرُ

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَىٰ رِفقاً بِنَفْسِكَ. إنَّ مَنْ حَزِنْتَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصُدَّهُمُـو الكُفْرُ
جَوَانِحُهُمْ يَغْلِي مِنَ الْبُغْضِ كَيْدُهَا وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ غَيْـظِـهِمْ بِرَكٌ حُمْـرُ
فَدَعْهُمْ. وَلَا تَـذْهَـبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ إذَا لَمْ يُغْنِهِمْ فِي الْهُدَى نُذْرُ
أَلَا خَبِّـرُونِي: هَلْ كَمِثْلِ مُحَمَّدٍ بِرَحْمَتِهِ فِي النَّاسِ. أَوْ وَهِمَ الْفِكْرُ؟

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَىٰ عَلَّمْتَنَـا كَيْفَ نَرْتَقِي إلَىٰ ذِرْوَةٍ مَـا مَسَّهَـا أَمَـلٌ بِكْـرُ
وَأَنَّ طَـرِيقَ الْمَجْـدِ وَعْـرٌ وَإنَّمـا يُـذَلِّلُهُ الإِيمَـانُ وَالْجِـدُّ والصَّبْـرُ
وَهَـذَّبْتَ بِالْخُلْقِ الْكَـرِيمِ خَلائِقـاً لَكَمْ أَشْقَتِ الدُّنْيَا قَبَائِحُهَا الكُثْـرُ
فَلَمْ تَرْضَ فِيهَا الذُّلَّ والضَّعْفَ والضَّنَىٰ[1] وَسَاءَكَ مِنْهَا الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ والْغَدْرُ
وَهَـلْ يُنْكِرُ النُّورَ الَّذِي جِئْتَنَـا بِهِ مِنَ اللَّهِ إلَّا الْجَاهِلُ الْجَاحِدُ الْغُمْرُ[2]؟
حَمَلْتَ لَنَـا الإِسْـلَامَ دِينـاً ودَوْلَـةً وَعِلْمـاً وتَـطْبِيقـاً. وَكُـلٌّ لَـهُ قَـدْرُ

---

(١) الضَّنىٰ: المرض المزمن.
(٢) الغُمْر: الغِر الذي لم يجرب الأمور.

هُوَ الدِّينُ والدُّنْيا. هُوَ الْحَقُّ والْهُدَىٰ هُوَ الْمَجْدُ والْعَلْيَا. هُوَ الْخَيْرُ والْبِرُّ
هُوَ الْعَدْلُ والإِحْسَانُ. والصَّبْرُ وَالرِّضَا فَلَا السُّخْطُ مَوْجُودٌ. وَلَا نَشِبَ الْفَقْرُ
هُوَ السِّلْمُ والْقُرْآنُ. والْحَرْبُ والْقَنا[1] هُوَ الْقُوةُ الْعُظْمَى. هُوَ الصِّدْقُ والطُّهْرُ
هُوَ الْجِدُّ فِي الْأَعْمالِ والكَدْحُ فِي الْهُدَىٰ هُـو الْبَأْسُ وَالْإِقْدامُ. والرَّأْيُ والْحِجْرُ
هُوَ الْوَحْدَةُ الكُبْرَىٰ. هُوَ الشَّمْسُ لِلْوَرَىٰ بِهِ الْأُمَّةُ الْمُثْلَىٰ. بِهِ الْخِيْرَةُ الْغُـرُّ

○ ○ ○

إِلَا حَبَّذَا الْإِسْلَامُ أَمْنَـعَ وَحْـدَةٍ تَضُمُّ شَتَاتَ النَّاسِ مَا اخْتَلَفَ النَّجْرُ[2]
وَلَا حَبَّذَا مَنْ ضَيَّقَ الْفَضْلَ فِي الْوَرَىٰ لَقَدْ ضَاقَ فِيهِ الْعَدْلُ والرَّأْيُ وَالصَّدْرُ

○ ○ ○

إِذَا سَـأَلُـوا عَنِيّ فَـإِنِّـيَ مُسْلِمٌ أُفَاخِرُ بِالْإِسْلَامِ مَـالَذَّ لِي الْفَخْـرُ
فَلَا الْعُرْبُ تَحْلُو فِي الْفَخَارِ لِمَنْ دَرَىٰ وَلَا غَيْرُهَا يَحْلُو إِذَا صَدَقَ الْخُبْرُ[3]
وَكُـلُّ بِـلَادِ الـلَّهِ أَرْضِي إِذَا انْـتَهَـىٰ إِلَىٰ الدِّينِ فِيهَا الْحُكْمُ والنَّهْيُ والْأَمْرُ
وَلَوْ صَارَ ظَهْرُ الْبَحْرِ دُنْيا عَقِيدَتِي لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَـدَيَّ هِيَ الْبَحْرُ
وَلَا لَـذَّ لِي فِي الْبَـرِّ أَمْنٌ مُحَبَّبٌ وَلَا كَانَ لِي فِيهِ جَمَالٌ وَلَا سِحْرُ
وَلَا مَكَّـةُ إِذْ ذَاكَ أَرْضٌ رَغِيبَـةٌ وَلَا الشَّامُ شَامٌ فِي الْفُـؤَادِ وَلَا مِصْرُ

○ ○ ○

أَرَىٰ النَّـاسَ صِنْفاً مَـاكِـراً مُتَلَوِّنـاً وَآخَـرَ غِـرّاً جَـاهِـلاً أَنَّـهُ غِـرُّ
وَأَمَّـا رِجَالُ الْحَقِّ فَـالْحَقُّ فِيهِمُـو ضَعِيفٌ تَهَـادَاهُ الْمَطَامِـعُ والْحِـذْرُ
لَقَـدْ وَرِثُـوا مَـا هُمْ عَلَيْـهِ وِراثَـةً أُولَئِـكَ قَـوْمٌ لَا يُشَـدُّ بِهِمْ أَزْرُ

○ ○ ○

---

(١) القنا: الرِّماح جمع قناة.
(٢) النَّجْر: الأصل.
(٣) الْخُبْر: بضم الخاء اختبار الشيء وامتحانه.

أَخِي دِينُنَـا الْإِسْـلَامُ واللَّـهُ رَبُّنَـا ... وَدُسْتُـورُنَـا نَهْيٌ مِنَ اللَّـهِ أَوْ أَمْـرُ
وَهَـذَا كِتَابُ اللَّـهِ آيَـاتُـهُ الضُّحَىٰ ... إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَحْدَاثُ أَوْحَلَكَ الدَّهْرُ
وَقِبْلَتُنَـا الْبَيْتُ الْحَـرَامُ وَفَجْـرُنَـا ... رِسَـالَـةُ عِلْمٍ لَا يُـدَاخِلُهُ شَـرُّ
سِيَاسَتُنَا التَّوْحِيدُ. والْعَـدْلُ حُكْمُنَا ... وَتَـارِيخُنَا أُفُقٌ بِـهِ الْأَنْجُمُ الـزُّهْـرُ
لَنَا الشَّمْسُ أَخْفَتْ كُلَّ نُورٍ بِضَوْئِهَا ... فَطَابَ لَهُ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُسْدَلَ السِّتْرُ

**دمشق في ١٢/٣/١٣٧٣ هجرية** **(٥٥ بيتاً)**

# ١٧

في احتفالٍ توجيهي لجماهير المسلمين، ضمن الاحتفالات التوجيهية التي كان أبـي رحمة الله عليه يقيمها، ويؤازره في إقامتها تلاميذه وإخوانه ومحبّوه، ألقيتُ هذه القصيدة، التي نظمتها لأُلقيها فيه. وهي بعنوان:

**«يا أرض مكة»**

وقد نالت هذه القصيدة استحساناً، وأخذ منها المنشدون أبياتاً لحنوا بعضها تواشيح، وأنشدوا كثيراً منها قصائد في مناسبات متعدّدة.

وقد أعدت إلقاءها في احتفالات أخرى، وأول احتفال ألقيتها فيه كان في جامع منجك بحيّ الميدان من مدينة دمشق الشام، حيث معهد التـوجيه الإسلامي، معهد أبـي الشرعي، وذلك في ربيع الأول من سنة **١٣٧٥** هجرية.

وقد نشرت مقطعاً من هذه القصيدة بديواني: «ترنيمات إسلامية» وفيها هنا بعض تعديلات وتنقيحات.

# يا أرض مكّةِ

يَا أَرْضَ مَكَّةَ مَا هَذَا النَّدَىٰ الْعَطِرُ   مَا ذَلِكَ النُّورُ فِي قُطْرَيْكِ مُنْتَشِرُ؟!
مَا ذَلِكَ السَّعْدُ فِي وَادِيكِ مُنْبَعِثٌ   بِطَاحُكِ الْغُبْرُ فِيها يَبْسِمُ الْحَجَرُ؟!

○ ○ ○

أُرِيتُ بَطْحَاءَكِ الْقَفْرَاءَ ضَاحِكَةً   كَأَنَّ فِيهَا جِنَانَ الْخُلْدِ تَزْدَهِرُ
وَذَلِكَ الْجَبَلُ السَّامِي بِقِمَّتِهِ   يُرِيدُ نُطْقاً وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْتَدِرُ

○ ○ ○

سَأَلْتُكِ الْحَقَّ. والدُّنْيَا مَعِي سَأَلَتْ   هَلْ جَدَّ عِنْدَكِ أَحْدَاثٌ لَهَا خَطَرُ؟

○ ○ ○

إنَّ الَّتِي قَدْ دَعَوْنَاهَا بِآمِنَةٍ   تَمَخَّضَتْ عَنْ وَلِيدٍ وَجْهُهُ الْقَمَرُ

○ ○ ○

مُحَمَّدٌ. أَنْتَ مَا أَحْلاَكَ تَسْمِيَةً   اللَّهُ سَمَّاكَهَا. والْحَمْدُ مُنْتَظَرُ
اللَّهُ رَبَّاكَ. لاَ تَحْتَاجُ تَرْبِيَةً   مِنْ وَالِدٍ. فَبِتَاجِ الْيُتْمِ تَفْتَخِرُ

○ ○ ○

شَبَّ الْفَتَىٰ. وَسَمَتْ فِيهِ خَلاَئِقُهُ   قَالُوا: الْأَمِين. وَقَالُوا: الصَّادِقُ الْخَفِرُ
حَدِيثُهُ الْحَقُّ جَذَّابٌ بِحِكْمَتِهِ   مَا السِّحْرُ مِنْ لَفْظِهِ؟! مَا الطَّلُّ؟! مَا الدُّرَرُ؟
الْحَقُّ أَيَّدَهُ. والْخُلْقُ زَيَّنَهُ   واللَّهُ بَارَكَهُ. مَا مِثْلُهُ بَشَرُ

○ ○ ○

يَهْفُو لِغَارِ حِرَاءٍ فِي دُجُنَّتِهِ   فِي الْغَارِ سِرٌّ لِهَذا الكَوْنِ مُسْتَتِرُ
غَارٌ تَلَمَّسَ فِيهِ الْغَيْبَ مُحْتَجِباً   فَعَاشَ فِيهِ اللَّيَالِي وَهُوَ يَفْتَكِرُ

سَعَىٰ إِلَىٰ الْغَيْبِ حتى كَادَ يَلْمَسُهُ ... مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ وَكَادَ السِّتْرُ يَنْحَسِرُ
إِذْ ذَاكَ وَافَاهُ جِبْرِيـلُ الْأَمِينُ بِـهِ ... فَلامَسَ الْغَيْبَ مِنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

○ ○ ○

عَادَ الرَّسُولُ وَأَلْوَاحُ الْغُيُـوبِ عَلَىٰ ... لِسَـانِـهِ. وَكَـلَامُ اللَّهِ يَـزْدَهِـرُ
هَـذَا مِنَ اللَّـهِ تَنْزِيـلٌ وَمُعْجِـزَةٌ ... كُبْـرَىٰ. وآيَاتُـهُ الْأَحْكَـامُ والْعِبَـرُ
قَالُوا ــ وَقَـدْ دَهِشُوا ــ: سِحْرٌ أَلَمَّ بِهِ ... وَمَـا دَرَوْا أَنَّهُمْ فِي رَأْيِهِمْ سُحِرُوا

○ ○ ○

أَنْـذِرْ عَشِيرَتَـكَ الْأَدْنَيْنَ وادْعُهُمُـو ... وَاهْجُرْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ لَمْ تُغْنِهِ النُّذُرُ
فَمَـا لِعَمَّتِـهِ الْقُـرْبَىٰ وَلَا ابْنَتِـهِ ... بِالْقُرْبِ عَنْ عَمَلِ الْخَيْرَاتِ مُعْتَذَرُ
وَهَـذِهِ دَعْوَةُ الـرُّسْلِ الكِـرَامِ فَذَا ... نُـوحٌ وَمَـا لِابْنِـهِ مَنْجى وَلَا وَزَرُ

○ ○ ○

قَـالُوا: مُحَمَّـدُ دَعْ أَمْراً أَتَيْتَ بِـهِ ... نَمْنَحْـكَ مَالَـكَ فِيهِ عِنْـدنَـا وَطَـرُ
أَغْرَوْهُ بِـالْمُـلْكِ وَالتِّيجَـانُ مُغْرِيَـةٌ ... لَـوْ أَنَّ دَاعِيَهُمْ يَسْعَىٰ لِمَا ذَكَـرُوا
فَقَالَ: وَاللَّـهِ يَا عَمَّـاهُ لَوْ وَضَعُـوا ... لِيَ الشَّمْسَ والبَـدْرَ مَا أَغْرَتْنِيَ الصُّوَرُ
أَخْـطَأْتُمُـو فَهْمَ نَفْسِي إِنَّنِي بَشَـرٌ ... وَمَـا بِنَفْسِي إِلَىٰ أَوْطَـارِكُمْ نَـظَرُ
آمَالُ نَفْسِي بِهَدْيِ النَّـاسِ عَلَّقَهَا ... رَبِّـي. وَبِالْخُلْدِ حَيْثُ السَّعْدُ وَالظَّفَرُ

○ ○ ○

الْمُصلِحُـونَ أَمَـانِيهِمْ خَـوَالِـدُ إِذْ ... تَفْنَىٰ الْأَمَانِي. وَتَفْنَىٰ الْأَرْضُ وَالْعُصُرُ
الْمُصْلِحُـونَ مَتَىٰ مَـالُـوا لِفَـانِيَـةٍ ... مَاتُوا. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ أَثَرُ
والْفَـانِيَـاتُ لِقَلْبِ الْمَـرْءِ قَـاتِلَةٌ ... والْمُغْرِيَاتُ عَلَىٰ طُولِ الْمَدىٰ كُثُرُ

○ ○ ○

فِـدَاكَ يَـا دَاعِيَ الـرَّحْمٰنِ أَفْئِدَةٌ ... فِيهـا مِنَ الْحُبِّ والْإِيمَانِ مُسْتَعِـرُ
صَحَّحْتَ لِلنَّـاسِ أَفْهَاماً مُزَيَّفَـةً ... وَجِئْتَهُـمْ بِحَيَـاةٍ جَـوُّهَـا عَـطِرُ
الْخَيْـرُ عِنْدَكَ مَـوْفُـورٌ لِعَـالَمِنَـا ... لَا يُنْكِـرُ الْفَضْلَ إِلَّا جَاحِدٌ أَشِـرُ

حَمَلْتَ لِلْعَـالَمِ الْأَرْضِيّ مُحْكَمَـةً ... لَا رَيْبَ فِيهَا هِيَ الآياتُ والسُّـوَرُ

فَسَوَّتِ النَّاسَ فِي دُنْيَا مَفَاخِرِهم ... شُعُـوبُهُمْ شَـرَعٌ إذ كُلُّهُمْ بَشَـرُ

لَا فَضْلَ لِلْعُرْبِ مِنْ أَجْلِ الْعُرُوبَةِ. لَا ... عُنْصُـرِيَـاتِ بَيْنَ النَّـاسِ تَفْتَخِـرُ

لَا فَضْلَ بِالْجِسْمِ مَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ ... بِشِـرْعَةِ اللَّـهِ. لَا بَدْوٌ وَلَا حَضَرُ

الْفَضْلُ بِالْعَمَلِ الْمُرْضِي. وَأَكْرَمُنَا ... عِنْدَ الْمُهَيْمِنِ أَتْقَـانَـا. فَلَا بَـطَرُ[1]

○ ○ ○

الْمُسْلِمُ الْحَقُّ دُنْيَـا دِينِـهِ وَطَنٌ ... سَعَـادَةُ الـرُّوحِ مِنْ عَلْيَـاهُ تَنْهَمِـرُ

يَعِيشُ فِي جَوِّهِ جَمَّ الرِّضَـا جَذِلاً ... بِمُـؤْنِسٍ مَـا بِـهِ مُـرٌّ وَلَا كَـدَرُ

○ ○ ○

الْمُسْلِمُ الْحُـرُّ مِثْلُ الـطَّيْـرِ مَبْدَؤُهُ ... الْأَرْضُ لِلَّـهِ أَنَّىٰ طِـرْتُ لِي وَطَرُ

فَـأَيُّمَـا بَلَدٍ فِيـهَـا هَـوَىٰ كَبِـدِي ... فَـإِنَّهَـا وطَنِي بِـالْمَجْـدِ يَـزْدَهِـرُ

هٰـذا الَّـذِي نَشَـرَ الْإِسْـلَامُ رَايَتَـهُ ... فِي عَـالَمٍ كَانَ بِـالْبَغْضَاءِ يَسْتَعِـرُ

كَـانَتْ لَـدَيْنَا تَفَـاهَــاتٌ مُفَـرِّقَـةٌ ... كُنَّـا بِهَـا كَـالشَّـظَايَـا حِينَ تَنْتَثِـرُ

عِمَــادُهَــا عَصَـبِيَّـاتٌ مُـنَـوَّعَـةٌ ... مِنْ كَاذِبَاتِ الرُّؤَىٰ والْوَهْمِ تَعْتَصِرُ

هَــذا بِـمُقْلَـتِـهِ الْعَــوْرَاءِ مُفْتَخِرٌ ... وَذَاكَ بِــالْأُذُنِ الصَّمَّــاءِ يَـفْتَـخِـرُ

فَــوَحَّـدَ اللَّـهُ بِــالْإِسْــلَامِ أُمَّتَنَــا ... وَالْتَمَّ شَمْلٌ وَجَاءَ النَّصْـرُ والظَّفَـرُ

فَهَلْ لِوَحْــدَةِ هَذَا الـدِّينِ مِنْ شَبَهٍ ... فِي عَالَمِ الْحِسِّ إِلَّا الشَّمْسُ والْقَمَرُ

○ ○ ○

هَـذَا الَّذِي قَـدْ هَجَـرْنـاه لِتَـيْهٍ ... وَاحُزْنَنَا. أَيْنَ مِنَّـا السَّمْعُ والْبَصَـرُ

قُـومُوا بِهَـا وَحْـدَةً كُبْـرَىٰ مُشَبَّكَـةً ... الْحَقُّ يَدْعَمُهَا. وَالْمِـدْفَـعُ الْخَطِرُ

بِــالْقُـوَّةِ الْحَقُّ تَسْتَعْلِي مَبَــادِئُــهُ ... وَالـحَقُّ مِنْ دُونِهَا فِي صِدْقِهِ نَظَرُ

○ ○ ○

---

(١) البطر: الكبر وكفر النعمة والطغيان.

عُلُومُ مَنْ كَفَرُوا جَاءَتْ بِمَا طَعَنَتْ ... أَوْ بِـالَّتِي هِيَ لَا تُبْقِي وَلَا تَـذَرُ
خَلَتْ مِنَ الْعُنْصُرِ السَّامِي لِعَـالَمِنَا ... فَـلَا عَـدَالَـةَ عِنْـدَ النَّـاسِ تُنْتَـظَرُ
إِنَّـا نَعِيشُ حَضَـارَاتٍ مُشَـوَّهَـةً ... وَسِيلَةُ الْعَيْشِ فِيهَـا النَّابُ والظُّفُرُ
أَنْيَابُهَا مِنْ صَوَارِيخِ الرَّدَىٰ صُنِعَتْ ... وَظُفْـرُهَـا بِقُـوَىٰ التَّـدْمِيـرِ يَنْفَجِـرُ

○ ○ ○

قَـدْ كـانَ لِلْعَـدْلِ أَحْكَامٌ مُـطَبَّقَةٌ ... إِذْ كَانَ يَحْمِيهِ فِينَا الصَّارِمُ الـذَّكَرُ
إِنَّـا عَدَلْنَـا بِهِمْ عَـدْلاً نَتِيـهُ بِـهِ ... لَمَّا مَلَكْنا. وَكَمْ خَانُوا وَكَمْ غَدَرُوا
وَإِنَّهُمْ حِينَ جَـاءَتْنَـا جُمُـوعُهُمُـو ... بِالظُّلْمِ قَدْ حَكَمُوا بِالْفَتْكِ قَدْ أَمَرُوا
واسْتَعْمَـرُونَا فَكَـانَ الْهَدْمُ دَيْـدَنَهُمْ ... وَاسْتَعْبَدُونَا. وَقَالُوا: الْعَبْدُ؟ مُحْتَقَرُ
أَهَـؤُلَاءِ نُـرِيـدُ الْعَـدْلَ عِنْـدَهُمُـو ... وَهُمْ سِوَىٰ السَّلْبِ والْعُدْوَانِ مَا مَهَرُوا
لَا يُنْقِـذُ الْحَقَّ يَوْماً مِنْ بَـرَاثِنِهِمْ ... إِلَّا السِّـلَاحُ وَجَيْشٌ بَـأْسُـهُ قَـدَرُ
مَنْ يَنْـذُرِ النَّفْسَ لِلْقَهَّـارِ حَـرَّرَهُ ... نَصْرٌ لَدَيْـهِ. وَحِزْبُ اللَّـهِ مُنْتَصِـرُ

○ ○ ○

نَحْنُ الْأُولَىٰ نَرْتَقِي مَجْدَ الذُّرَىٰ أَبَداً ... يَهُونُ فِينَا ضَعِيفُ النَّفْسِ مُنْكَسِـرُ
ويُسْتَـذَلُّ جَبَـانُ النَّفْسِ خَـائِـرُهَـا ... كَـزٌّ بِمَا فِيـهِ قَدْ يُسْتَـدْفَعُ الْخَـطَرُ

○ ○ ○

آتٍ مَتَىٰ شَـاءَ رَبِّـي يَـوْمُ عِـزَّتِنَـا ... وَإِنْ تَعَـاسَرَتِ الْأَحْـوَالُ وَالْغِيَـرُ(١)
يَـوْمٌ نُعِيدُ بِـهِ حُكْمَ الكِتَـابِ إِلَىٰ ... حَيَـاتِنَـا وَبِـهِ تُسْتَجْمَـعُ الْقُـدَرُ
يَـوْمٌ نُجَمِّـعُ فِيـهِ شَمْـلَ أُمَّتِنَـا ... فَـلَا يُفَـرِّقُنَـا صَـفْـوٌ وَلَا كَـدَرُ
وَلَا يُـفَـرِّقُـنَـا لَـوْنٌ وَلَا بَـلَدٌ ... وَلَا يُبَـدِّدُنَـا ضِـيْـقٌ وَلَا بَـطَرٌ
وَلَا تُبَـاعِدُنَـا الْأَبْحَـارُ مَـا اتَّسَعَتْ ... الْحُبُّ دَانٍ وَإِنْ شَطَّتْ بِنَا الْجُزُرُ

---

(١) الْغِيَرُ: أحداثُ الدَّهْرِ المتغيرة.

وتُصْبِحُ الدُّوَلُ الكُبْرَى مُسَالِمَةً إذْ يَسْتَجِيبُ لِمَا نَدْعُو بِهِ الْقَدَرُ
ومَكْرُ صِهْيَوْنَ يَسْتَخْذِي لِقُوَّتِنَا وَيَهْزِمُ الْجَمْعَ نَصْرُ اللَّهِ والظَّفَرُ

دمشق في ربيع الأول ١٣٧٥ هجرية (٧٠ بيتاً)

# ١٨

وفي سنة ١٣٨١ هجرية و١٩٦١م أقام أبـي رحمه الله تعالى احتفالاً توجيهياً عاماً، دعا إليه جمهوراً كبيراً من الناس، وكانت الدعوة عامّة كعادته في كلّ الاحتفالات التوجيهية الإسلامية التي كان يقيمها، وقد ضم هذا الاحتفال جمهوراً غفيراً.

تحدّث في هذا الاحتفال عدد من تلاميذ أبـي الخطباء، أمثال الشيخ حسين خطاب، والشيخ كريم راجح، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

وكنت واحداً منهم إذ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة التي كنت أعددتها له، وهي بعنوان:

**«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»**

## محمد رسول الله
## والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم

الْبَيْتُ والْحَـرَمَانِ هَـزَّهُمَا الـطَّرَبْ ... ونَخِيلُ يَثْرِبَ مَسَّهَا الشَّوْقُ اللَّجِبْ[1]

وَحِـراءُ خَفَّـاقُ الْفُـؤَادِ بِشَـوْقِـهِ ... كَلِفٌ عَلَىٰ وَشَكِ اللِّقَاءِ لِمَنْ يُحِبّ

وَأَقَـامَ حُـرَّاسُ الْعِنَـايَـةِ وَالـرِّضَى ... فِي غَـارِ ثَوْرٍ يَهْـزَؤُون بِمَنْ طَلَبْ

○ ○ ○

لِمَنِ الْبِـلَادُ بِـطُولِهَـا وَبِعَـرْضِهَـا ... لَمَعَتْ ضَوَاحِكُهَا عَلَىٰ حُلَلٍ قُشُبْ[2]

وَبَـدَتْ بِكُـلِّ غَـرِيبَـةٍ وَعَجِيبَـةٍ ... وسَعَىٰ الْخَلَائِقُ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّبَبْ

○ ○ ○

فَـإِذَا الَّـذِي أَخْفَـاهُ فِي أَسْتَـارِهِ ... جُودُ الْقَضَاءِ هُوَ النَّبِيُّ مِنَ الْعَرَبْ

هُـوَ ذَا الْوَلِيـدُ بِبَطْنِ مَكَّـةَ مُشْرِقٌ ... هُـوَ ذَا الْيَتِيمُ حَفِيدُ عَبْـدِالْمُـطَّلِبْ

أَخْـوالُـهُ فِـي يَثْـرِبٍ وَعَـمُـودُهُ ... بِعَمُـودِ إِسْمَـاعِيـلَ مُتَّصِـلُ النَّسَبْ

وَضَعَتْـهُ آمِنَـةُ الـطَّهُـورُ وَمَـا دَرَتْ ... أَنَّ الْـوَلِيدَ هُـوَ الرَّسُـولُ الْمُرْتَقَبْ

○ ○ ○

بَسَمَ الْـوَلِيـدُ مُحَمَّـدٌ فِي مَكَّـةٍ ... فَإِذَا بِقَاعُ الْأَرْضِ يَغْمُرُهَا الطَّرَبْ

أَتَتِ الْمَرَاضِعُ يَنْتَقِينَ ذَوِي الْغِنَىٰ ... فَزَهِدْنَ بِالطِّفْلِ الَّذِي فقد النَّشَبْ[3]

أَمّـا حَلِيمَـةُ فَهْيَ دُونَ رِفَـاقِهَـا ... جَلَبَتْ بِهِ خِصْبَ الْمَرَابعِ والْحَلَبْ

---

(١) اللَّجِب: ذو الأصوات المختلطة لكثرته وتحركه.

(٢) قُشُبٌ: جمع قَشِيب وهو الجديد، وقد يطلق على البالي فهو من الأضداد.

(٣) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

وَتَـرَعْرَعَ الطِّفْلُ الْيَتِيمُ وَمَـا يَـرَىٰ — أُمّـاً تُـداعِبُـهُ وَلاَ يُـدْنِيـهِ أَبْ
لَـكِنَّ رَبَّ الـنَّـاسِ أَدَّبَـهُ فَـيَـا — نِعْمَ الْمُـؤَدِّبُ لِلْيَتِيـمِ ونِعْـمَ رَبّْ

○ ○ ○

نَشَأَ الْفَتَىٰ فِي بَطْنِ مَكَّـةَ طَاهِـراً — مُتَحَلِّياً بِـالْمَكْـرُمَـاتِ وَبِـالْأَدَبْ
أَمْـرُ الْفَتَىٰ عَجَبٌ فَلاَ هُـوَ حَافِـلٌ — بِـالْمُلْهِيَـاتِ ولاَ تَبَـذَّلَ أَوَ كَـذَبْ
عَـفٌّ كَـرِيمٌ مَـاجِـدٌ وَمُـهَـذَّبٌ — إِلْفُ الْفَضَائِلِ لَا تُزَعْزِعُهُ النُّوَبْ[1]
أَتْـرَابُـهُ يَتَقَلَّبُـونَ مَـعَ الْهَـوَىٰ — بَيْنَ الْمَـآثِمِ والْمَـلاَهِي واللَّعِبْ
فَـإِذَا رَآهُمُ يَسْقُـطُونَ تَـرَفَّعَـتْ — نَفْسٌ بِـهِ أَنفاً إِلَىٰ سَـامِي الـرُّتَبْ
زَانَتْ فَضَـائِلَهُ الْأَمَـانَـةُ والْحِجَا — والصِّدْقُ والرَّأْيُ الْمُسَـدَّدُ والْأَدَبْ
بَعَثَتْـهُ تَـاجِـرَةُ الْحِجَازِ بِمَـالِهَـا — أَكْرِمْ بِمَنْ وَفَدَ الشَّـآمَ وَمَنْ جَلَبْ
وَرَأَتْ بِـهِ الشَّهْمَ الْعَفِيفَ الْمُنْتَقَىٰ — وَرَأَتْ بِهِ الْأَمَلَ الْمُـرَجَّىٰ وَالطَّلَبْ
فَسَعَتْ لِخِـطْبَتِـهِ وَكَـانَتْ قَبْلَهُ — رَفَضَتْ أَيَادِيَ خَيْرِ سَادَاتِ الْعَرَبْ
فَلَنِعْمَ عَقْـلُ خَدِيجَةٍ فِي قَـوْمِهَـا — وَلَنِعْمَ مَخْطُوبُ الرِّجَالِ وَمَنْ خَطَبْ

○ ○ ○

أَيُّ الشَّبَابِ شَبَابُ أَطْهَرِ مَاجِدٍ؟! — مَا نَدَّ عَنْهُ عَظِيمُ خُلُقٍ أَوْ حَسَبْ[2]
جُمِعَتْ لَـهُ غَـايَـاتُ كُـلِّ فَضِيلَةٍ — أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ مِنْهُ فَضْلاً أَوْ أَحَبّْ؟
زَوْجٌ وَمَـا عَـرَفَ النِّسَـاءُ نَـظِيـرَهُ — بِكَـرِيمِ عِشْـرَتِـهِ وَوُدٍّ أَوْ حَـدَبْ
فَـاقَ الـرِّجَـالَ كَـرامَـةً وَحَصَـافَـةً — قُـزُمٌ[3] لَـدَيْـهِ الْعَبْقَـرِيُّـونَ النُّجُبْ
وَسَمَتْ بِهِ النَّفْسُ الرَّفِيعَةُ لِلْعُلاَ[4] — وَأَتَىٰ حِـرَاءَ يَهُزُّ أَطْـرَافَ الْحُجُبْ

---

(١) النُّـوَب: جمع نائبة وهي النازلة من حوادث الدهر والمصيبة.
(٢) الْحَسَبُ: يطلق على مَا يَعدُّه الإنسان من مفاخره، وعلى الكرم والديـن والمال ونحو ذلك.
(٣) قُزُم: جَمْعُ قَزَم، ويجمع أيضاً على أقزام.
(٤) الْعُلاَ: جَمْعُ الْعَلْيَاء.

إنْ سَــاجــداً لِـلَّـهِ أَوْ مُتَـفَـكِّــراً     فِي الكَوْنِ فِي الْأَفْلَاكِ عَبْرَ الْمُحْتَجِبْ

فِي الصُّبْـحِ. فِي الشَّمْسِ الْمُنِيـرَة. فِي الضُّحَىٰ

فِي الطَّلِّ. فِي النَّوَّارِ[1]. فِي الرَّعْدِ اللَّجِبْ

فِي النَّخْلِ يَسْمُقُ. فِي النَّضِيدِ بِطَلْعِهِ     فِي الذِّئْبِ يَهْجُم. فِي الْقَطِيعِ الْمُضْطَرِبْ

مُتَـأَمِّــلاً فِي نَـفْسِــهِ مُـتَـطَلِّعــاً     نَحْوَ الْغُيُوبِ بِقَلْبِهِ السَّامِي الْأَرِبْ[2]

فَـإِذَا الْغُيُوبُ يُـزَاحُ مِنْ أَسْتَـارِهَـا     سِتْـرٌ بَـدَا جِبْـرِيـلُ مِنْــهُ واقْتَـرَبْ

وَأَتَىٰ إِلَىٰ صَــدْرِ الْحَبِيبِ يَضُمُّـهُ     ضَمَّـاً بِـهِ شَــوْقٌ وإِعْـدَادٌ وَحُبّ

أمحمـدُ: اقْرأ. وَهْـوَ لَيْسَ بقَارِىءٍ     أُمِّيٌّ مَـا قَـرأَ الْخُــطُوطَ وَلَا كَتَبْ

هُــوَ نَفْسُـهُ نَــامُوسُ عِيسَىٰ قَبْلَهُ     يُـوحِي لَـهُ آيَـاتِ خَـاتِمَـةِ الكُتُبْ

○ ○ ○

رَجَـعَ النَّبِـيُّ لِـزَوْجِـهِ يَحْكِي لَهَـا     مَـا قَدْ رَأَىٰ وَتَهـزُّهُ حُمَّى الـرَّهَبْ

أَلْقَتْ عَلَيْــهِ دُثُـورَهـا وحَنَتْ عَلَىٰ     قَلْبٍ كَبِيــرٍ بَيْـنَ جَنْبَيْـهِ يَـجِبْ[3]

قَالَتْ: حَبِيبِـي لَا تَخَفْ واللَّـهِ لَنْ     تَخْزَىٰ وَأَنْتَ عَنِ الْمَكَارِمِ لَمْ تَغِبْ

اللَّـهُ رَبُّــكَ لَنْ يَـضُــرَّكَ طَـارِقٌ     فِي الْغَيْبِ سِــرٌّ لِلْبَـرِيَّــةِ مُـرْتَقَبْ

○ ○ ○

وَتَبَـاطَـأَ الْـوَحْيُ الْكَـرِيمُ وَشَيَّعُــوا     أَنَّ الْإِلَــهَ قَـلاَهُ. أَوْ عَـنْــهُ رَغِبْ

واشْتَدَّ شَوْقُ الْمُصْطَفَىٰ حتَّىٰ عَلَا     بَعْضَ الشَّوَاهِقِ يَسْتَزِيدُ بِهَا الْقُرَبْ

هُــوَ حُـبُّــهُ لِلَّـهِ أَشْـعَــلَ قَـلْبَــهُ     شَوْقاً لِـوَحْي سَفِيرِهِ لَمَّـا احْتَجَبْ

وَالْحُبُّ يَفْتَــرِسُ الْقُلُوبَ بِمِخْلَبٍ     فَـإِذَا اسْتَبَـدَّ بِهِنَّ عَصَّـرَهَـا وَعَبّ

○ ○ ○

---

(١) النَّوَّار: الزهر.

(٢) الأَرِب: البصير العاقل الماهر.

(٣) وَجَب القلْبُ يَجِبُ وجْباً وَوَجيباً: إذَا خفق.

لَا والضُّحَىٰ، مَا كَانَ رَبُّكَ قَالِياً ... لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنتَ حِبٌّ نَسْلُ حِبّ

○ ○ ○

قُمْ وَادْعُ لِلدِّينِ الْقَـوِيمِ بِحِكْمَـةٍ ... مَـا أَنْتَ إلَّا رَحْمَـةٌ لِمَنِ اقْتَـرَبْ
مَا أَنْتَ إلَّا خَاتَمُ الـرُّسُلِ الّـذي ... عَمَّتْ رِسَـالَتُـهُ الْخَـلَائِقَ والْحِقَبْ

○ ○ ○

أَنْـذِرْ عَشِيرَتَـكَ الْقَرِيبَـةَ واصْـطَبِـرْ ... مَهْمَا لَقِيتَ مِنَ الْعِدا فَلَكَ الْغَلَبْ
فَلَربَّمـا قَـالُـوا: امْـرُؤٌ ذُو جِنَّـةٍ ... وَلَـرُبَّمَا اتَّهَـمُـوا حَدِيثَـكَ بِالكَـذِبْ
وَلَـرُبَّمَـا زَعَمُـوا بِـأَنَّـكَ سَـاحِـرٌ ... أَوْ شَاعِرٌ أَوْ أَنْتَ تَـطْمَعُ بـالذَّهَبْ
أَوْ رَاغِـبٌ بِـكَـرِيـمَـةٍ فَتَّـانَـةٍ ... فِي حُسْنِها أَوْ طَالِبٌ مُلْكَ الْعَرَبْ
وَلَـرُبَّمَـا أَلْقَـوْا عَلَيْـكَ مِنَ الْأَذَىٰ ... وَرَمَوْا دُرُوبَكَ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَـطَبْ
فاصْبِرْ عَلَىٰ ظُلْمِ الْأَقَارِبِ واحْتَمِلْ ... مِنْ قَوْمِكَ الْأَدْنَيْنِ قَاسِيَةَ الْكُـرَبْ
وَالْجَـأْ إِلَىٰ الْمَـوْلَىٰ بِقَلْبٍ طَـاهِـرٍ ... فَالنَّصْرُ عُقْبَـىٰ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ النُّوَبْ
الصَّبْـرُ خَيْـرُ وَسِيلَةٍ يُجْنَىٰ بِهَـا ... حُلْوُ النَّجَاحِ كَجَنْيِ عُنْقُودِ الْعِنَبْ

○ ○ ○

أَنْتَ الـرَّسُولُ الْمُصْـطَفَىٰ بِرِسَالَةٍ ... تَأْتِي بِأَشْتَـاتِ الشُّعُوبِ إِلَىٰ كَثَبْ
لَا فَضْـلَ فِي أَلْـوَانِهِمْ ولُغَـاتِهِمْ ... كُـلٌّ لِآدَمَ والتُّـرَابِ وَخَلْقِ رَبّْ
الْفَضْلُ فِي الْإِيمَانِ والتَّقْوىٰ وفِي ... عَمَلٍ بِهِ فِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ الرُّتَبْ

○ ○ ○

وَقَفَ النَّبِـيُّ عَلَىٰ الصَّفَا وَدَعَا إِلَىٰ ... دِينِ الْمُهَيْمِنِ لَا لِمَجْـدٍ أَوْ نَشَبْ
يَنْبُـوعُ رَحْـمَتِـهِ تَـفَجَّـرَ دَافِـعـاً ... كَيْ يَهْتَدُوا. كَيْ يَتَّقُوا ذَاتَ اللَّهَبْ
قَدْ كَادَ تَذْهَبُ نَفْسُهُ حِـرْصاً عَلَىٰ ... إِسْلَامِهِمْ مِمَّـا لَـدَيْـهِ مِنْ حَـدَبْ
هَيَّا اقْبَلُوا دِيناً بِـهِ كُـلُّ الْهُـدَىٰ ... إِنِّي أُنَـاشِـدُكم بِـإِخْـلَاصٍ وَحُبّْ
دِينَـاً بِـهِ لِلنَّـاسِ كـلُّ قَـوِيمَـةٍ ... وَبِـهِ لِأَدْواءِ الْخَـلَائِقِ كُـلُّ طِبّْ

○ ○ ○

مَـا قَـالَ إلاَّ صَـادِقـاً وَمُـبَلِّغـاً ... عَنْ رَبِّهِ. مَا قَطُّ حـرَّفَ أَوْ كَذَبْ
وَلَـرُبَّ آذَانٍ تُـصَمُّ عَـنِ الْهُـدَىٰ ... وَلَـرُبَّ أَجْسَـادٍ تُشَـابِهُهَـا الْخُشُبْ
فَـأَجَابَـهُ الـرَّجُـلُ اللَّئِيمُ أَبُـو لَهَبْ ... تَبَّتْ يَدَاكَ: أَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْعَجَبْ؟!
مِنْ أَجْـلِ ذَا جَمَّعْتَنَـا وَدَعَـوْتَنَـا ... هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْهُرَاءُ وَذَا الْكَذِبْ
تَـاللَّهِ بَـلْ تَبَّتْ يَـدَاكَ أَبَـا لَهَبْ ... وَصَلِيتَهُ يَـا زَوْجَ حَـامِلَةِ الْحَـطَبْ

○ ○ ○

وَسَعَىٰ رَسُـولُ اللَّهِ يَنْشُـرُ دِينَـهُ ... جَلْداً صَبُـوراً فِي الْأَذِيَّةِ والنَّصَبْ
عَـادَاهُ أَقْـرَبُ قَـوْمِـهِ وَتَجَمَّعُـوا ... لِقِتَـالِـهِ وَلَكَمْ أُهِينَ وَكَمْ كُـذِبْ
لاَ يَبْتَغِي الـدُّنْيَـا وَلاَ أَحْسَـابَهَـا ... وَلِـرَبِّـهِ فِي كُـلِّ أَمْـرٍ قَـدْ رَغِبْ
عُـرِضَتْ عَلَيْـهِ عُـرُوشُهَـا فَـأَذَلَّهَـا ... بِـإِبَائِـهِ وأَبَـىٰ الـزَّعَـامَـةَ والـذَّهَبْ
وَإِذَا أَتَـاهُ الْمَـالُ جَـادَ بِـهِ كَمَـا ... صَبَّتْ حُمُـولَتَها فَـافْرَغَتِ السُّحُبْ
النَّفْسُ إِنْ عَظُمَتْ تَصَاغَرَتِ الدُّنَىٰ ... فِي عَيْنِهَا وَبَدَتْ لَهَا مِثْلَ الْحَصَبْ
قَـادَ الكَتَائِبَ لِلْعُـلاَ وَبِهَـا امْتَـطَىٰ ... صَهَـوَاتِهَا وَعَفَـا وَلاَنَ ومَـا غَضِبْ
نَـصَـرَ الْإِلَـٰهُ مُـحَـمَّـداً وَأَعَـزَّهُ ... بِالْخِيرَةِ الْأَطْهَـارِ مِنْ عَرَبٍ نُجُبْ
لَمْ يَعْـرِفِ التَّارِيخُ أَكْـرَمَ مَحْتِـداً ... مِنْهُمْ وَلاَ أَمْضَىٰ إِذَا حَمَلُوا الْقُضُبْ[١]
هَـزِئُوا بِكُـلِّ كَرِيهَـةٍ نُـدِبُـوا لَهَـا ... فِي اللَّهِ واسْتَحْلَوْا عَلَىٰ الكُرْهِ الْعَطَبْ[٢]
وَفَـدَوْا نَبِيَّهُمُـو بِـكُـلِّ رَغِيبَـةٍ ... وَحَبِيبَةٍ مِنْ أَنْفُسٍ أَوْ مِنْ نَشَبْ[٣]
أَسْـوَاؤُهُـمْ تَبَـعٌ لَـهُ فِي أَمْـرِهِ ... أَوْ نَهْيِـهِ لاَ يَسْأَلُـونَ عَنِ السَّبَبْ
إِنْ يَـرْغَبُـوا فَـلِأَنَّـهُ هُـوَ رَاغِبٌ ... أَوْ يَغْضَبُـوا فَلِأَنَّـهُ هُوَ قَـدْ غَضِبْ
صُبُرٌ عَلَىٰ خَوْضِ الْمَكَارِهِ أَنْفُسٌ ... لاَ تَسْتَكِينُ. وَأَعْـظُمٌ لاَ تَضْطَرِبْ
فَكَـأَنَّهُمْ قِطَعُ الْحَـدِيدِ يَسُـوقُهَـا الْـ ... ـقَدَرُ الْعَظِيمُ فَلَيْسَ يُوهِنُهَا الـرَّهَبْ

---

(١) القُضُبْ: جمع القضيب، وهو السيف اللطيف الدقيق.
(٢) العطب: الهلاك.
(٣) النشب: المال الأصيل من كلّ ناطق وصامت.

إنْ تَلْقَ وَاحِدَهُمْ تَجِدْهُ بِمَسْجِدٍ — حَمَلاً وَكاللَّيْثِ الْهَصُورِ إِذَا رَكِبْ

حَرَسُوا رِسَالَةَ رَبِّهِمْ بِنُفُوسِهِمْ — فَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الشَّيَاطِينَ الشُّهُبْ

حَمَلُوا بِأيدِيهِمْ وَثَائِقَ نَصْرِهِمْ — هِبَةً مِنَ الرَّحْمٰنِ أَكْرَمِ مَنْ وَهَبْ

طَلَبُوا النَّوَاصِيَ فَاتِحِينَ بِعَدْلِهِمْ — وَيَدُ الْعِنَايَةِ رَافَقَتْهُمْ فِي الطَّلَبْ

فَإِذَا جُيُوشُ عَدُوِّهِمْ بَدَدٌ بِهِمْ — وَاللَّهُ أَيَّدَهُمْ بِمَقْضِيِّ الْغَلَبْ

وَإِذَا بِفَارِسَ فِي شَوَامِخِ مُلْكِهَا — بَيْتٌ رَمَتْهُ الرِّيحُ مَقْطُوعُ الطُّنُبْ

وَالرُّومُ أَمْسَتْ فِي تَلِيدِ عُرُوشِهَا — بَدَداً كَرِيحِ اللَّهِ بَدَّدَتِ الْكُثُبْ[1]

مَا كَانَ مِنْ غَلَبٍ وَنَصْرٍ حَاسِمٍ — إِلاَّ يَدُ الرَّحْمٰنِ عُدَّةُ مَنْ غَلَبْ

○ ○ ○

نَحْنُ الأُولَىٰ حَمَلُوا الْمَكَارِمَ وَالْهُدَىٰ — لِلنَّاسِ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَبِالأَدَبْ

دُسْتُورُنَا مِنْ رَبِّنَا وَكِتَابُنَا — قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ قُرْآنٌ عَجَبْ

فِيهِ الْبَيَانُ وَفِيهِ غُنْيَةُ كُلِّ مَنْ — طَلَبَ السَّعَادَةَ ثُمَّ سَارَ لِمَا طَلَبْ

مَرَّتْ عَلَىٰ الدُّنْيَا مَبَادِىءُ جَمَّةٌ — وَتَقَلَّبَتْ فِيهَا بِأَثْوَابٍ قُشُبْ

ثُمَّ اسْتَبَانَتْ لِلْعُقُولِ زُيُوفُهَا — فَمَضَتْ غُثَاءً لَيْسَ يُمْسِكُهَا سَبَبْ

وَالْفَخْرُ فِي الإِسْلَامِ أَنَّ كِيَانَهُ — أَبَداً بِرَيْعَانِ الشَّبَابِ الْمُلْتَهِبْ

لَكِنَّنَا لَمَّا هَجَرْنَا دِينَنَا — شَابَتْ عَزَائِمُنَا وَهَدَّدَنَا الْحَرَبْ[2]

وَتَحَكَّمَ الْبَاغُونَ فِي أَرْجَائِنَا — وَتَقَاسَمُوا الأَشْلَاءَ مِنَّا وَالسَّلَبْ

فَالشَّيْبُ فِي عَزَمَاتِنَا وَكِيَانِنَا — وَقُلُوبِنَا وَالدِّينُ شَرْخٌ[3] لم يَشِبْ

دمشق في ربيع الأول ١٣٨١ هجرية — (١٠١أبيات)

---

(١) الكُثُب: جمع كثيب، وهو الكوم من الرمل الناعم.

(٢) الحَرب: السّلب، يقالُ: حَربَهُ حَرَباً إذا سَلَبَهُ ماله.

(٣) الشّرخ: أول الشباب.

# ١٩

وفي احتفال توجيهي دعا إليه أبـي رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه في سنة ١٣٨٢ هجرية و١٩٦٢م تحدّث عدد من تلاميذ أبـي الخطباء، وكنت واحداً منهم إذْ أعددت له القصيدة التالية، التي ألقيتها فيه، وهي بعنوان:

**«رسول ورسالة ومستجيبون»**

# رَسُولٌ وَرِسَالَةٌ ومُسْتَجِيبون

سَيِّدُ الْخَلْقِ وَفَخْرُ الْمَشْرِقِ وَضِيَاءٌ زَانَ وَجْهَ الْأُفُقِ
وَهَدَىٰ النَّاسَ لِأَخْلَاقٍ غُرَرْ
وَلِمَجْدٍ صِينَ فِي كَفِّ الْقَدَرْ
لَمْ يُبَحْ إلَّا لِسَادَاتٍ دُرَرْ
حَمَلُوا الْقُرْآنَ حَمْلَ الْمُدَّكِرْ
وَمَشَوْا كَالظِّلِّ فِي رَكْبِ النَّبِي
أَشْرَفِ الْخَلْقِ وَخَيْرِ الْعَرَبِ
سَيِّدِ النَّاسِ كَرِيمِ النَّسَبِ
خَاتَمِ الرُّسْلِ عَظِيمِ الْأَدَبِ
مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرْ أَرْفَعَ الْمَجْدِ وَأَسْمَىٰ الْخُلُقِ

○ ○ ○

يَا رَسُولاً جِئْتَ بِالنُّورِ الْعَظِيمْ فِي ضِيَاءٍ أَحْرَقَ اللَّيْلَ الْبَهِيمْ
فِي نِظَامٍ بَدَّدَ الشَّرَّ الْجَسِيمْ وَمَحَا مِنْ أَرْضِنَا الْجَهْلَ الْمُقِيمْ
وَضَلَالَ الرَّأْيِ وَالْفِعْلَ السَّقِيمْ وَفَسَادَ الْحُكْمِ والْعِزَّ الْأَثِيمْ
وَتَقَالِيدَ كَأَكْوَامِ الْهَشِيمْ وَحَمَىٰ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ الْقَدِيمْ
وَنَفَىٰ تَضْلِيلَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

○ ○ ○

فَهَفَا الْعَالَمُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مَصْدَرِ النُّورِ وَنَبْعِ الْفَلَقِ
فِي سِبَاقِ الْعِلْمِ لِلْعِزِّ الْأَغَرّ
لِحَضَارَاتٍ بِهَا مَجْدُ الْبَشَرْ

لِـسَـلَامٍ وَلِـعَـدْلٍ مُـزْدَهِـرْ
لإِخَـاءٍ بَـيْـنَ بَـدْوٍ وَحَـضَـرْ
لامْتِـزَاجِ الْعُجْمِ ضِمْنَ الْعَـرَبِ
وَحْـدَةً تَـسْعَىٰ لأَعْلَىٰ الـرُّتَـبِ
إِخْـوَةً يَـجْمَعُهُـمْ حُبُّ الـنَّبِيِّ
فَـغَـدَا تَـارِيـخُهُـمْ فِي الْحِقَبِ
وَغَـدَتْ أَمْجَـادُهُمْ بَيْنَ الْبَشَـرْ مِـلْءَ أَكْـبَـادٍ وَمِـلْءَ الْـحَـدَقِ

○ ○ ○

يَـا نَبِيّاً أَنْتَ ذُو الْخُلْقِ الْعَـظِيمْ رَحْمَـةٌ لِلنَّـاسِ مِنْ رَبٍّ رَحِيـمْ
قُمْتَ تَـدْعُـو لِصِـرَاطٍ مسْتَقِيمْ بِجَمِيـلِ الْـوَعْظِ والْقَـوْلِ الْحَكِيمْ
طُهْـرُ نَفْسٍ ضِمْنَهَـا قَلْبٌ حَلِيمْ لِينُ طَبْـعٍ دُونَـهُ مَـرُّ النَّسِيـمْ
دُرُّ أَخْـلَاقِـكَ فِي عِقْـدٍ نَـظِيمْ كُـلُّ مَـا فِيـهِ فَـرِيـدٌ وَكَـرِيمْ
طَـوَّقَ الإِنْسَانَ بِـالْمَجْـدِ الْعَـظِيمْ

○ ○ ○

رَبُّـنَـا اخْـتَـارَكَ فِي حِـكْـمَـتِـهِ لِـتَـؤُمَّ الـنَّـاسَ فِـي شِـرعَـتِـهِ
شِـرعَـةِ الإِسْـلَامِ دِينِ المـرسَلِينْ
جَـامِـعِ الْخَيْـرِ لِكُـلِّ الْعَـالَمِينْ
كُـلُّ مَـا يَـحْـوِيـهِ حَقٌّ وَيَـقِيـنْ
لَا هَـوىً فِيـهِ. بَـلِ الْعَدْلُ الْمُبِينْ
إِنَّـهُ الإِسْـلَامُ مُـحْـيِي الأُمَـمِ
مُـكْـرِمُ الـسِّـفْـرِ بِـهِـمْ والْـقَـلَمِ
بَـاعِـثُ الْعَـقْـلِ لِفَـهْمِ الْحِـكَمِ
مُجْـزِلُ الْمَجْـدِ لِمَـاضِي الْهِـمَمِ
مَنْ رَأَى الْعِلْمَ سَبِيـلَ الْمُـؤْمِنِيـنْ فَـدَرَىٰ الصَّـانِـعَ مِنْ صَنْعَـتِـهِ

○ ○ ○

إنَّـهُ الإسْـلاَمُ حَـقٌّ لاَ يَـحُـورْ سَامِقُ الْبُـرْهَانِ فِي كُلِّ الْعُصُـورْ
نَهَـرٌ يَـدْفُقُ بِـالْخَيْـرِ الْغَـزِيْـر رَوْضَـةٌ تَشْـرَحُ بـالنَّفْـحِ الصُّـدُورْ
رُبَّمَـا قَـدْ جَـرَّبَ النَّاسُ الكَثِيـرْ مِنْ قَـوَانِينَ عَلَىٰ كَـرِّ الْـدُهُـورْ
فَـإذَا صَـارُوا إلَىٰ حَقٍّ خَـطِيْـر شَاهَدُوا الإسْـلاَمَ فِي ذَاكَ الْمَصِيرْ
إنَّـهُ تَنْـزِيـلُ ذِي الْعَـرْشِ الْقَـدِيـرْ

○ ○ ○

يَـا نَـبِـيَّـاً كَـانَ فِـي أُمَّـتِـهِ مِـثْـلَ بَـدْرِ التَّمِّ فِي طَـلْعَـتِـهِ
قُـدْتَ جَيْشَ اللَّـهِ جَيْشَ الْمُـتَّقِينْ
لِـجِهَـادِ الـكُفْـرِ بَـيْنَ الْـكَـافِـرِينْ
وَكِفَـاحِ الـظُّلْمِ عِنْـدَ الـظَّالِمِيـنْ
وَإِقَـامِ الْعَـدْلِ بَيْـنَ الْعَـالَـمِيـنْ
وَلِـمَـحْـوِ الْـجَـهْـلِ بَـيْـنَ الأُمَـمِ
وَلإيـمَـانٍ بِـرَبِّ الـنَّـسَـمِ
وَلِـتَـوْحِـيـدٍ وَكَـسْـرِ الـصَّـنَـمِ
وَلِـسَحْـقِ الـشَّـرِّ تَـحْـتَ الْـقَـدَمِ
وَلِتَحْـرِيمِ الـرِّبَـا فِي الْمُسْلِمينْ وَلِحِفْظِ الـنَّـاسِ مِنْ شِـقْـوَتِـهِ

○ ○ ○

وَلِمَنْعِ النَّاسِ مِنْ شُرْبِ الْخُمُورْ وَلِـطَرْدِ الْفُحْشِ عَنَّـا والْفُجُـورْ
وَلإبْـعَـادِ الـرَّزَايَـا والـشُّـرُورْ ولِهَـدْمِ العُجْبِ فِينَـا والـغُـرُورْ
وَلِمَنْـعِ الشَّتْمِ والْقَـذْفِ الْحَقِيـرْ وَلِكَشْفِ الْبُـؤْسِ عَـنْ كُلِّ فَقِيـرْ
وَلإسْعَـافِ ذَوِي الضُّـرِّ الْمَـرِيْـر وَلِفَـرْضِ الْحَقِّ فِي كُـلِّ الأُمُـورْ
وَلِمَـلْءِ الأَرْضِ بِـالْعِلْمِ الْمُـنِيـرْ

○ ○ ○

تَـاجُ مَـجْـدِ لـلنُّـجُـومِ الْأُوَّلِ    رُفْقَـةِ الْمُخْتَارِ خَيْـرِ الـرُّسُـلِ

قَـادَةِ الـزَّحْفِ إِلَىٰ عَـالِي الْقِـمَمْ
سَـادَةِ الْإِصْـلَاحِ مِـنْ بَيْـنَ النَّـسَمْ
كُـلُّ أَهْـلِ الْأَرْضِ قُـرْبىٰ وَرَحِمْ
عِـنْـدَهُمْ مَـا بَـيْنَ عُـرْبٍ وَعَـجَـمْ

كُـلُّهُـمْ يُـنْـمَـىٰ لِآدَمَ الْأَبِ
وَهْـوَ بِـالتُّـرْبِ عَـرِيقُ الـنَّـسَبِ
ثُـمَّ هُمْ لِلتُّـرْبِ فِي الْـمُـرْتَقَبِ
ثُـمَّ هُـمْ لِـلَّـهِ فِي الْـمُـنْـقَـلَبِ

إِنَّـهُ يُـجْـزِي بِـعَـدْلٍ وَكَـرَمْ    زِنَـةَ الْقَـوْلِ وَكُفْءَ الْـعَـمَـلِ

○ ○ ○

سَـادَةٌ مِنْ عَـرَبٍ سُمْـرِ الْجُلُودْ    هَـجَـرُوا الـدُّنْيَـا لِجَنَّـاتِ الْخُلُودْ
آمَنُـوا بِـالْحَقِّ والْحُكْمِ الـرَّشِيـدْ    فَمَضَوْا كَالشُّهْبِ فِي كُـلِّ الْحُشُودْ
وَأَزَاحُـوا كُـلَّ جَـبَّـارٍ عَنِـيْـدْ    كَمْ سَطَا فِي الْأَرْضِ بِالْقَهْرِ الشَّدِيدْ
سَاقَ مَنْ فِي حُكْمِهِ سَوْقَ الْعَبِيدْ    واسْتَبَـدَّتْ يَـدُهُ فِـيمَـا يُـرِيـدْ

وَطَـغَىٰ طُـغْـيَـانَ شَـيْـطَانٍ مَـرِيـدْ

○ ○ ○

غَـامَـرُوا فِي كُـلِّ خَـطْبٍ جَلَلِ    أَنْـجَـبُـوا كُـلَّ عَـظِيـمٍ بَـطَلِ

حَـمَـلُوا دَعْـوَتَـهُـمْ بَـيْـنَ الْأُمَـمْ
دَعْـوَةَ الْـقُـرْآنِ قُـدْسِيِّ الْـكَـلِمْ
دَعْـوَةَ الـسِّـلْمِ إِذَا الْـحَـقُّ حَـكَـمْ
دَعْوَةَ السَّيْفِ إِذَا الشَّرُّ جَثَمْ. أَوْ هَجَمْ

وَسَعَــوْا فِي جَمْـعِ شَمْــلِ الْعَـرَبِ
بِــكِـتَــابِ الــلَّـهِ أَوْ بِــالقُـضُـبِ
بِـجَـمِـيــلِ الْـهَــدْيِ أَوْ بِــالْـغَـلَبِ
بَـعْــدَ تَـمْــزِيـقٍ مِـنَ الْـمُـغْـتَـصِبِ
كَــانَ فِيـهِ الْعُــرْبُ نَهْبـاً لِـلأُمَمْ مِــزَقـاً مَقْــذُوفَــةً فِي الْــوَحَــلِ

○ ○ ○

فَـالْتَقَوْا فِي وَحْـدَةٍ تَنْفِي الْحُـدُوُدْ قَـدْ سَقَاهَـا اللَّـهُ مِنْ مَـاءِ الْخُلُودْ
وَأَقَــامُـوا دَوْلَــةَ الـدِّينِ الــرَّشِيـدْ دَوْلَــةَ الْقُــرْآنِ والْحُكْمِ السَّعِيــدْ
دَوْلَــةً بَــارَكَـهَــا الــرَّبُّ الْمَـجِيــدْ
وَمَشَـوْا فَـاكْتَسَحُـوا كُـلَّ السُّــدُودْ وَرَمَـوْا فِي الْبَحْـرِ أَغْـلاَلَ الْعَبِيـدْ
بَعْدَ حُكْمِ الرُّومِ فِي مَاضِي الْعُهُودْ بَعْـدَ سُلْطَانٍ مِنَ الْفُـرْسِ مَـدِيـدْ
وَعَـلَىٰ سُـؤْرِهِـمَــا أَحْـبَــاشُ سُــودْ

○ ○ ○

لَمْ يَقُــولُــوا: أَنَــا مَـكِيٍّ جَـلِي أَنَــا مِنْ يَـثْـرِبَ فِـي عِــزٍّ عَلِيّ
أَنَــا فِي مَجْــدِيَ مِنْ أَهْــلِ الْيَمَنْ
أَنَــا مِـصْــرِيٌّ فَـخَــورٌ بِــالْــوَطَــنْ
أَنَــا مِـنْ نَجْـدٍ عَــرِيـقٌ بِــالْفِـطَنْ
أَنَــا مِـنْ شَــامٍ وَبَـغْـدَانَ وَمِــنْ..
مَــا تَـعَــزَّوْا بِـعَــزَاءٍ جَــاهِـلِيْ
مَجْـدُهُمْ قَــدْ كَــانَ بِــالْفَضَــائِــلِ
إِنَّ مَجْـدَ الْعِـرْقِ مَجْـدُ الْجَـاهِــلِ
فَــكُـؤُوسُ الــسَّــبْـقِ لِــلأَوَائِــلِ
إِنَّ دِيــنَ الـلَّـهِ قَــدْ عَــلَّمَـهُــمْ أَنَّ كَسْبَ الْمَجْـدِ صَيْـدُ الْعَمَــلِ

○ ○ ○

هَكَـذَا كَـانَتْ مَفَـاهِيْمُ الْعَـرَبْ    حِينَ قَـادُوا جَحْفَلَ الْحَقِّ اللَّجِبْ
حِينَ سَـاسُـوا خَيْرَ سُلْطَانٍ غَلَبْ    ثَـابِتِ الْأَوْتَـادِ مَفْتُـولِ الـطُّنُبْ
رَاسِـخِ الْأَرْكَـانِ مَعْقُـودِ الْقُبَبْ    إِذْ أَقَـامُـوا دَوْلَـةً فِيهَـا الـرَّغَبْ
وَبِـهَـا لِلْمُـعْتَـدِي سَيْفُ رَهَـبْ    وَبِـهَـا عَـدْلٌ وَإِنْـصَـافٌ وَحُـبّْ
وَأُصُـولُ الْحُكْمِ فِيهَـا شَـرْعُ رَبّْ

○ ○ ○

فَتَحُـوا الـدُّنْيَـا بِعَـزْمٍ أَكْمَـلِ    وَبِـفَـضْـلٍ وَبِـخُـلْقٍ أَمْـثَـلِ
وَأَجَـادُوا عَـرْكَ هَـامَـاتِ الـزَّمَـنْ
وَاعْـتَلَوْا صَهْـوَةَ قَـرْنٍ بَعْـدَ قَـرْنْ
وَأَلَانُـوا كُـلَّ قَـاسٍ لَـمْ يَـلِنْ
وَبِـعَـزْمٍ طَـوَّعُـوا أَعْصَـى الْفِـتَـنْ
كُـلُّهُـمْ يَـرْقُبُ مَكْـرَ الصَّـائِـلِ
نَـاظِـرِ الْغِـرَّةِ فِي الْـمَعَـاقِـلِ
يَـخْـدَعُ الْـحُـرَّاسَ بِـالتَّغَـافُـلِ
ثُمَّ يَـرْمِي السَّهْـمَ فِي الْمَقَـاتِـلِ
خَـائِنـاً يَخْـدُمُ بِـالْمَـالِ الْعَفِنْ    غَـايَـةً فِي نَفْسِ عَـادِي الـدُّوَلِ

○ ○ ○

ثُـمَّ دَارَ الـدَّهْـرُ دَوْرَاتِ أَسـىً    قَـدْ أَحَـاطَـتْـنَـا بِلَيْـلٍ أَلْيَـلِ
دَاؤُنَـا أَنَّـا تَـرَكْـنَـا دِيـنَـنَـا    وانْـخَـدَعْـنَـا بِـخَبِيثِ الْـحِيَـلِ
وَاسْـتَـجَبْـنَـا لِـخِـدَاعِ الـدُّوَلِ
فِي دِيَـارِ الكُفْـرِ مَكْـرٌ مُحْتَجِبْ    رُبَّـمَـا نَـفَّـذَهُ بَـعْضُ الْـعَـرَبْ
رُبَّـمَـا أَيَّـدَهُ بَـاغِي الـذَّهَـبْ    رُبَّـمَـا أَلْقَىٰ عَلَىٰ النَّـارِ الْحَـطَبْ

رُبَّمَا مَسْجِدُ ضُرٍّ قَدْ نُصِبْ بِيَدِ الإِثْمِ لِغَدْرٍ مُرْتَقَبْ
لِيَسُودَ الكُفْرُ أَقْطَارَ الْعَرَبْ يَا عَبِيدَ الكُفْرِ مِن أَجْلِ الذَّهَبْ
إِنَّ دَاءَ الكُفْرِ مِنْ دَاءِ الْكَلَبْ

دمشق في سنة ١٣٨٢ هجرية (١٢٤ بيتاً)

# ٢٠

استشرت النزعة القومية المسرفة في البلاد الشامية، وأخـذت طريقـاً علمانياً، وأعلنت حرباً ظالمة ضدّ طائفةٍ من المبادىء الإسلامية، لا سيما فكرة وحدة الأمة الإسلامية.

ولّما استطاع القوميون الظفر بالسلطة أخذوا ينكِّلون بالمستمسكين بمبادئهم الإسلامية.

ورأى دعاة القومية بعد الاستيلاء على السلطة أن القومية فارغة من المحتوى الصالح لأن يكون منهج حياة، أو يكون عقيدة عن الوجود والكون والحيـاة والنشأة والمصـير، فاتجهـوا يستوردون المبـادىء والمذاهب الفكـريـة والاجتماعية من الشرق ومن الغرب، ويطاردون الفكر الإسلاميّ والمبادىء الإسلامية بعنف وقسوة وديكتاتورية صارمة، وفي هذه المعركة كان الإسلاميون يناضلون نضالاً فكريّاً لا يملكون معه سلطة ولا سلاحاً، وكانت وسيلتهم مجرّد إقناع الجماهير بالإسلام، وبفساد هذه النزعة القومية المسرفة، حفظاً لهم من التأثر بالوافدات الفكرية المفروضة عليهم.

وفي احتفال توجيهي أقامه أبـي رحمة الله عليه سنة ١٣٨٣ هجريـة و١٩٦٣م وخطب فيه عدد من تلاميذه، ألقيت هذه القصيدة إذ كنت أعددتها له، وهي بعنوان:

**«قومي والإسلام»**

# قومي والإسلام

قَدْ سَادَ أَمْرٌ خَطِيرُ تَضِيقُ مِنْهُ الصُّدُورُ
يَسْرِي بِكُلِّ عَجِيبٍ مِنْ بَاطِلٍ وَيَسِيرُ
مَكْرٌ بِقَوْمِي خَبِيثٌ وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرُ
صَاغَتْهُ أَيْدِي الأَعَادِي حَيْثُ الرَّدَى والْفُجُورُ
لِيَعْزِلُوا الدِّينَ عَنَّا فَلاَ يُجِيرَ مُجِيرُ
قَوْمِيَّةٌ صَنَعُوهَا كَيْ يُفْتَنَ الْمَغْرُورُ
أَرْكَانُهَا بِاخْتِبَارٍ وَهْمٌ وَزَيْفٌ وزُورُ

○ ○ ○

عُدْ بالْعُصُورِ لَعَلَّ الْعُصُورَ رَجْعاً تُدُورُ
وَقِفْ بِتَارِيخِ قَوْمِي فَلِلتَّوارِيخِ نُورُ
وانْظُرْ بِكُلِّ أَنَاةٍ شِعَارُكَ التَّحْرِيرُ
هَلْ فِي الْعُصُورِ لِقَوْمِي مَجْدٌ عَظِيمٌ خَطِيرٌ؟
قَبْلَ الرَّسُولِ: وَأَوْغِلْ مَهْمَا تَكِرُّ الْعُصُورُ
واقْرَأْ صَحَائِفَ قَوْمِي يَزِينُها التَّحْبِيرُ
واصْدُقْ حَدِيثَكَ فِيهَا لاَ يَخْدَعَنْكَ غُرُورُ
فَأَكْرَهُ الأَمْرِ عِنْدِي تَعَصُّبٌ مَنْكُورُ
وَابْحَثْ سَتَرْجِعُ حَتْماً والطَّرْفُ مِنْكَ كَسِيرُ

○ ○ ○

قَوْمِي حَيَارَى سُكَارَى تَقُولُ: كَيْفَ الْمَصِيرُ
تَخَبَّطَ النَّاسَ مَسٌّ كَمَا ادْلَهَمَّتْ شُرُورُ

أَصْـدَاءُ فِي كُـلِّ سَمْـعٍ          كَـأَنَّـهُـنَّ صُـخُـورُ
نَـوْحُ الـثَّكَـالَـىٰ أَلِـيـمٌ          يَـعْـلُوهُ صَـوْتٌ نَـكِـيـرُ
وَنَـابِـحٌ مُـتَـعَـدٍّ          وَنَـائِـحٌ مُـسْـتَـجِـيـرُ
وَظَـالِـمٌ مُـسْـتَـبِـدٌّ          وَعَـاجِـزٌ مَـذْعُـورُ
والـكُـفْـرُ فَـوْقَ الـرَّوَابي          وَفِـي الـسُّـهُـولِ يَـسِـيـرُ
لَـهُ نُـيُـوبٌ حِـدَادٌ          فِـيـهِـنَّ سُـمٌّ كَـثِـيـرُ
أَنْـفَـاسُـهُ يَـتَـلَظَّىٰ          شَـهِـيـقُـهَـا والـزَّفِـيـرُ

○ ○ ○

أَيْـنَ الْـقَـطِـيـعُ يَـسِـيـرُ          وَمَـا يَـكُـونُ الْـمَـصِـيـرُ
مَـنْ لـلـضَّـعِـيـفِ ظَـهِـيـراً          وَأَيْـنَ يُـلْـفَـىٰ الـنَّـصِـيـرُ
دَرَاكِ رَبَّ الْـبَـرَايَـا          أَنْـتَ الـرَّحِـيـمُ الْـقَـدِيـرُ
هٰـذِي قَـبَـائِـلُ قَـوْمِـي          صَـغِـيـرُهَـا وَالْـكَـبِـيـرُ
تَـفَـرُّقٌ واخْـتِـلَافٌ          مَـفَـاسِـدٌ وشُـرُورُ
تَـقَـاتُـلٌ وَتَـعَـادٍ          تَـحَـاسُـدٌ ونُـفُـورُ
أَخُـو ثَـرَاءٍ عُـتُـلٌّ          وَحَـاكِـمٌ مَـأْجُـورُ
وَذُو تَـعَـالٍ غَـبِـيٌّ          وَجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ
وَمَـاكِـرٌ ذُو افْـتِـرَاسٍ          وَحَـاقِـدٌ مَـوْتُـورُ
نِـهَـايَـةُ الْـفَـخْـرِ فِـيـهِـمْ          «عَـنَـاتِـرٌ» و «زُيُـورٌ»
وَرُبَّ وَائِـدِ بِـنْـتٍ          مُـفَـاخِـرٌ مَـخْـمُـورُ
وَبَـعْـضُ مَـا هُـوَ فَـخْـرٍ          فـيـهـم رَذِيـلٌ حَـقِـيـرٌ
وَكَـمْ مَـزَاعِـمِ مَـجْـدٍ          هُـنَّ احْـتِـيَـالٌ وَزُورُ
إلَّا مَـكَـارِمَ إِرْثـاً          وَهُـنَّ نَـذْرٌ يَـسِـيـرُ

○ ○ ○

حَـتَّـىٰ أَتَـاهُـمْ رَسُـولٌ          مِـنْـهُـمْ بَـشِـيـرٌ نَـذِيـرُ

سَـفِـيـرُ رَبِّ الْـبَـرَايَـا    لِلنَّـاسِ. نِعْمَ السَّـفِـيـرُ
دَاعٍ إِلَـىٰ الـلَّـهِ هَـادٍ    مُـكَـلَّفٌ. مَـأْمُـورُ
هُـوَ الأَثِـيـرُ لَـدَيْـهِ    وَهْـوَ الـسِّـرَاجُ الْمُـنِـيـرُ
وَخَـاتَمُ الـرُّسْـلِ جَمْعـاً    قَـدِ اصْـطَفَـاهُ الْقَـدِيـرُ
كِـتَـابُـهُ قَـوْلُ رَبِّي    وَفِـيـهِ هَـدْيٌ ونُـورُ
فَـطَارَدَ الـكُـفْـرَ فِـيهِـم    والـكُـفْـرُ دَاءُ عَـسِـيـرُ
فَـعَـزَّ مَـنْ لاَنَ مِـنْـهُـمْ    وَهَـزَّهُ الـتَّـذْكِـيـرُ
وَظَـلَّ بِـالـسَّعْـدِ يَسْعَىٰ    وَبِـالـسُّرُورِ يَـسِـيـرُ
وَفِـي الْـمَـعَـادِ نَعِـيـمٌ    لاَ مَـنَّ فِـيـهِ. وَفِـيـرُ
وَهَـانَ قَـاسٍ غَـلِيظٌ    وَذَلَّ جَـافٍ كَـفُـورُ
أَشْـقَـاهُ كِـبْـرٌ وعُـجْـبٌ    أو لَـذَّةٌ وَفُـجُـورُ
وَفِـي الْـمَـعَـادِ عَـذَابٌ    وَحَـسْـرَةٌ وسَـعِـيـرُ

○ ○ ○

وَأَنْـقَـذَ الـلَّـهُ قَـوْمِـي    لَـمَّـا أَتَـانَـا الْـبَـشِيـرُ
وَلَـمَّـنَـا مِـنْ شَـتَـاتٍ    مَـرَّتْ عَـلَيْـهِ دُهُـورُ
فَـقَـامَ فِي الـصَّـفِّ سِيَّـا    نِ ذُو غِـنـىً وَفَـقِـيـرُ
وَنَـابِـهٌ ذُو فَـخَـارٍ    وَخَـامِـلٌ مَـغْـمُـورُ
وَسَـيِّـدٌ وَمَـسُـودٌ    وَحَـاكِـمٌ وَأَجِـيـرُ
وَبَـادَرَ الـسَّـبْـقَ لِـلْـخَـيْـرِ رَاشِـدٌ وَصَـغِـيـرُ
فَـكَـانَ مِـنَّـا الْـمُـجَـلِّي    وَكَـانَ مِـنَّـا الأَمِـيـرُ
وَكُـلُّ فَـارِسِ حَـرْبِ    والْـقَـائِـدُ الْـمَـنْـصُـورُ
وَكُـلُّ حَـبْـرٍ حَـكِـيـمٍ    وَالْـعَـالِـمُ الـنِّـحْـرِيـرُ
وَجَـاءَنَـا الْفَـتْـحُ يَـعْـدُو    والـنَّـصْـرُ جَـاءَ يَـطِـيـرُ
مَـنْ يَنْصُـرِ اللَّـهَ يَـنْـصُـرْ    هُ. إِنَّ رَبِّي قَـدِيـرُ

وَعْـدٌ مِـنَ الـلَّـهِ حَقٌّ    تَـجْـرِي عَـلَيْـهِ الْأُمُـور
قَـدْ جَـاءَنَـا مَـا وُعِـدْنَا    وَفَـوْقَـهُ مَـوْفُـور
وَبَـاتَ فِـي أَيْـدِينَـا    حُـكْـمُ الـشُّـعُـوبِ يَـدُور
تَـا الـلَّـهِ مَـا كَـذَبَـتْـنَـا الْأَحْـدَاثُ وَهْـيَ تَـسِـيـرُ

○ ○ ○

أَذَاكَ فَـضْـلٌ لِـقَـوْمِـي    لَـهُ الـزَّمَـانُ أَسِـيـرُ
أَمْ ذَاكَ فَـضْـلٌ لِـدِيـنٍ    بِـهِ يَـطِـيـبُ الْـمَـصِـيـرُ
بِـهِ يَـعِـزُّ ضَـعِـيـفٌ    بِـهِ يَـجِـلُّ الْـحَـقِـيـرُ
تَـاللَّـهِ مَـا فَضْـلُ قَـوْمِي    بَـلْ فَضْـلُ دِينِي الْخَـطِـيرُ
مَـا كَـانَ قَـوْمِي مُلُوكـاً    حَـتَّىٰ أَتَـىٰ الْإِكْـسِـيـرُ
فَـاسْـتُـبْـدِلَـتْ بِـصُـخُـورٍ    كَـوَاكِـبٌ وَبُـدُورُ
واسْـتُـبْـدِلَـتْ بِـدَنَـايَـا    فَـضَـائِـلٌ وَخُـيُـورُ

○ ○ ○

إِنْ نَـبْـتَـغِ الْـمَـجْـدِ حَـقَّـاً    فَـذَا الـصِّـرَاطُ الْـمُـنِـيـرُ
إِسْـلَامُـنَـا وَتُـقَـانَـا    هُـمَـا الْـمَـلَاذُ الْـكَـبِـيـرُ
مِنْ كُـلِّ مَـا نَحْـنُ فِيـهِ    مَـهْـمَـا تَـجِـدُّ عُـصُـورُ
فَـإِنْ نَـبَـذْنَـا هُـدَانَـا    فَـشَـرُّنَـا مُـسْـتَـطِـيـرُ

○ ○ ○

يَـا رَبِّ أَنْـتَ الْـمُـجِـيـرُ    قَـدْ مَـسَّـنَـا مَـا يَـضِـيـرُ
فَـلَا تَـدَعْـنَـا لِـقَـوْمٍ    فِـيهِـمْ تَـمَـادَىٰ الْـفُـجُـورُ
والْفِسْـقُ قَـدْ صَـارَ فِيهِمْ    فَـنَّـاً لَـهُ تَـيْـسِـيـرُ
أَمَّـا الـتَّـقِـيُّ الْـمُـعَـافَىٰ    فَـدُونَـهُ الـتَّـعْـسِـيـرُ
وَلِـلـرِّبَـا أَلْـفُ بَـابٍ    يَـمُـرُّ مِـنْـهَـا الْـكَـثِـيـرُ
خَـزَائِـنُ الـرِّزْقِ صَـارَتْ    يُـشْـرَىٰ بِـهَـا الـتَّـكْـفِـيـرُ
والْـعِـلْمُ صَـارَ شِـبَـاكـاً    تُـصَـادُ فِـيـهِ الـشُّـرُورُ

فَالشِّرْكُ أَمْرٌ طَفِيفٌ وَالكُفْرُ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَمَّا الْمَعَاصِي فَصَارَتْ هِيَ الْغِذَاءُ الْوَفِيرُ
أَخْلَاقُنَا الْيَوْمَ سُودٌ ظُلْمٌ وَإِفْكٌ وَزُورُ
تَشَاجُرٌ وَسِبَابٌ تَنَابُزٌ وَفُجُورُ
ولا تَنَاصُرَ فِينَا إِذَا ادْلَهَمَّتْ أُمُورُ
والسِّرُّ فِينا مُشَاعٌ إِلَى الْعَدُوِّ يَطِيرُ

○ ○ ○

هذِي رَزَايَا جَنَتْهَا قَوْمِيَّتِي وَالنَّصِيرُ
رَحاً لِطَحْنِ بِلَادِي يَدُورُ فِيهَا الأَجِيرُ

○ ○ ○

فَهَلْ يَجُوزُ سُكُوتٌ أَوْ يُسْتَسَاغُ النَّمِيرُ[1]
أَخْيَارَ قَوْمِي اسْتَعِدُّوا وَجَابِهُوا وَأَغِيرُوا
وَجَاهِدُوا وَاسْتَجِيرُوا بِاللَّهِ فَهْوَ الْمُجِيرُ
الْخَطْبُ خَطْبٌ عَظِيمٌ وَالأَمْرُ أَمْرٌ خَطِيرُ
لِكُلِّ أَمْرٍ طَرِيقٌ بِهِ يَهُونُ الْعَسِيرُ
وَذِي فِلَسْطِينُ تَبْكِي رِمَالُهَا والصُّخُورُ
وَكُلُّ قَطْرَةِ دَمْعٍ تَقُولُ أَيْنَ الْمَصِيرُ
إِنَّا بِأَمْثَالِ بَدْرٍ أَيَّامُنَا تَسْتَنِيرُ

○ ○ ○

يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُرَجَّى أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ
مَهْمَا نَكُنْ قَدْ عَصَيْنَا فَأَنْتَ رَبٌّ غَفُور

دمشق في سنة ١٣٨٣ هجرية (١٠٣ أبيات)

---

(١) النمير: الزّكي من الماء.

# ٢١

وفي أحد الاحتفالات التوجيهية من سنة **١٣٨٤** هجرية **١٩٦٤**م والتي كان يدعو أبي رحمه الله إليها تحدث عدد من تلاميذه الخطباء، وكنت واحداً منهم، وكنت أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة بعنوان:

**«الرسول العظيم في سورة الضحى»**

وهي هنا منقَّحة.

# الرسول العظيم في سورة الضحى

## والضُّحَــىٰ

هِيِ الشَّمْسُ تَمْتَدُّ عِنْدَ الضُّحَىٰ فَتَمْلأُ أَفْيَاءَنَا بِالضِّيَاءْ
وَتَجْرِي بِدَوْرَاتِهَا كَالرَّحَا وَتُثْبِتُ أَمْجَادَهَا فِي السَّمَاءْ
وَتَجْعَلُ مِنْ أَرْضِنَا مَسْرَحَا لِأَنْوَارِهَا سَاقِيَاتِ الرُّوَاءْ
وَتُخْجِلُ فِي الرَّوْضِ مَا أَصْبَحَا وَلِيداً وَذَا نَسَبٍ بِالْحَيَاءْ
فَتَصْبُغُهُ بِوِشَاحِ الدِّمَاءْ
أَيَا مُصْطَفَىٰ قَسَماً بِالضُّحَىٰ لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبْ
وَلَمْ يَقْلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

## ﴿والليلِ إذَا سَجَىٰ﴾

وَفِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سِرُّ الْعَدَمْ نُلَامِسُهُ فِي ظِلَالِ الْوُجُودْ
وَنَعْلَمُ كَيْفَ سَتَفْنَىٰ الْأُمَمْ وَتُجْمَعُ أَحْفَادُهَا وَالْجُدُودْ
وَفِي اللَّيْلِ سِتْرٌ لِسَعْيِ النَّسَمْ وَفِيهِ السُّكُونُ وفِيهِ الرُّقُودْ
وَيَقْتَسِمُ اثْنَانِ فِيهِ الْقَسَمْ نَجِيُّ اللِّقَا. وَنَجِيُّ الصُّدُودْ
فَأَعْظِمْ بِهِ قَسَماً مِنْ «وَدُودْ»
وَلَيْلٍ بَهِيمٍ إذَا مَا سَجَىٰ لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبْ
وَلَمْ يَقْلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

### ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

أَتَىٰ الْـوَحْيُ يَعْصِـرُهُ فِي حِـرَاءْ فَـلاَقَـاهُ لُـقْـيَـا بِـهَـا رَوَّعَـهْ
فَـآنَسَـهُ بِـحَـدِيـثِ الـسَّـمَـاءْ فَـحَـمَّـلَهُ ثِـقْـلاً زَعْـزَعَـهْ
فَـأَبْـطَأَ عَـنْـهُ وَكَـمْ مِـنْ دَوَاءْ جَـدِيرٌ ـ وَإِنْ مَـرَّ ـ أَنْ يَكْرَعَـهْ
فَـرَوَّجَ مَنْ أَشْـرَكُـوا فِي غَبَـاءْ فَـقَـالُـوا: إِذَنْ رَبُّـهُ وَدَّعَـهْ
لَـقَـدْ كَـذَبُـوا فَهْـوَ دَوْمـاً مَـعَـهْ

فَـلاَ والضُّحَىٰ ثُمَّ لَيْـلٍ سَجَىٰ لَأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْتَ الْـحَـبِـيـبْ
وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

### ﴿ولَلآخِرةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَترْضَى﴾

لَـكَ الْقُـرْبُ فِي هٰـذِه والسُّرُورْ لَـكَ الْمَجْـدُ والشَّـرَفُ الْمُكْتَمِـلْ
بِخَيْـرِ الْعَطَايَـا اصْطَفَـاكَ الْقَـدِيـرْ وَأَعْلَىٰ مَقَـامَـكَ بَـيْنَ الـرُّسُـلْ
وَسَعْيُـكَ لِلنَّصْـرِ سَـعْيٌ قَـصِيـرْ وَلَـكِـنْ سَـتَـبْـلُغُ فِـيـهِ الْأَمَـلْ
وَأُخْـرَاكَ مَـجْـدٌ وَخَيْـرٌ كَـثِـيـرْ سَتَبْـلُغُ فِـيـهَـا الْمَـقَـامَ الْأَجَـلّ
سَتُعْـطَىٰ فَـتَـرْضَىٰ وَيَـعْـيَـا الْأَمَـلْ

لَأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْـتَ الْـحَـبِـيـبْ وَأَنْـتَ الْأَثِـيـرُ وَأَنْـتَ الْـقَـرِيـبْ
وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

### ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ؟﴾

أَلَـم يَـرْعَ شَـأْنَـكَ ربٌّ رَحِيـمْ فَـآوَتْـكَ أَلْـطَافُـهُ فِي حِـمَـاهْ
فَـأَكْـرَمَ يُـتْـمَـكَ بَـيْـتٌ كَـرِيـمْ فَكُـنْـتَ الْأَثِـيـرَ لَـدَىٰ مَـنْ رَعَـاهْ
وصَـانَـكَ رَبُّـكَ وَهْـوَ الْعَـظِيمْ وَأَلْقَىٰ عَـلَيْـكَ سَنىً مِنْ سَـنَـاهْ
وَأَنْـشَـرَ حُـبَّـكَ بَـيْـنَ الـنَّـسِيـمْ فَـكُـنْـتَ حَـبِيبَ مُـحِبِّ الْإِلٰـهْ
فَـلاَ تَخْشَ يـا مُـصْـطَفىً مِنْ قِـلاَهْ

لأنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبْ وَأَنْتَ الأَثِيرُ وَأَنْتَ الْقَرِيبْ

أمُؤْوِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿ووَجدَكَ ضالًّا فهدى﴾

أَمَا كُنْتَ فِي حَيْرَةٍ جَاهِلاً صِرَاطَ النَّجَاةِ ومَجْدِ الْحَيَاةْ

هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ تَرَىٰ باطِلاً فَتَسْأَلُ كَيْفَ يَكُونُ الْهُدَاة

وتَشْهَدُ ذَا نَزْغَةٍ مَائِلاً فَتَبْحَثُ عَنْ خِطَّةٍ لِلدُّعَاةْ

وتَشْهَدُ مَا فِي الدُّنَى زَائِلاً فَتَسْأَلُ مَاذَا وَرَاءَ الْمَمَاتْ

وَمَا هُوَ فِي النَّاسِ نَهْجُ التُّقَاة

فَأَنْزَلَ رَبُّكَ نَفْحَ الْهُدَىٰ عَلَيْكَ وَجَاءَكَ عِلْمُ الْغُيُوبْ

أَهَادِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿ووَجدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾

أَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي عَيْلَةٍ فَأَغْنَاكَ مِنْ فَضْلِهِ ذُو الْغِنَىٰ

وَمَا كُنْتَ تَمْلِكُ مِنْ حِيلَةٍ لِجَلْبِ الطِّلَابِ وَدَفْعِ الْقَنَا

فَسَاقَ إِلَيْكَ أَخَا خُلَّةٍ وَسَاقَ الْحَلِيلَةَ تَسْقِي الْهَنَا

وَلَمَّا تَبَرَّأْتَ مِنْ عِلَّةٍ تَأَمَّلْتَ فِي الْكَوْنِ عَلَّ السَّنَا

يُرِيكَ مَعَارِفَ خَلْفَ الدُّنَى

فَأَعْطَاكَ رَبُّكَ فَيْضَ الْمُنَىٰ وَجَاءَكَ من غَيْبِهِ نَفْحُ طِيبْ

أَمُغْنِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾

فَمَنْ يُؤْوِهِ اللَّهُ مِنْ يُتْمِهِ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا يَقْهَرَنّ

فَحِرْمَانُهُ قَبْلُ مِنْ أُمِّهِ تَعَلَّمَ مِنْهُ مَذَاقَ الْحَزَنْ
وَمَنْ يُغْنِهِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَأَمَّا الْفَقِيرَ فَلاَ يَنْهَرَنّ
فَمَا كَانَ قَدْ ذَاقَ مِنْ فَقْرِهِ يُحَرِّكُهُ لِلْعَطَاءِ الْحَسَنْ
وَيَجْعَلُهُ نَاذلاً لِلْمِنَنْ

فَيشْكُرُ بِالْجُودِ رَبَّ الْوَرَىٰ
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرَا
وَأَمَّا السُّؤُولَ فَلاَ تَنْهَرَا وأَدِّ لِرَبِّكَ شُكْرَ الْقُلُوبْ
فَإِنَّا اصْطَفَيْنَاكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

هُوَ الْعِلْمُ مَجْدٌ وفَضْلٌ جَلِيلْ تَسَامَىٰ أَبُونَا بِهِ وافْتَخَرْ
يُقَسِّمُهُ اللَّهُ قَدْرَ الْعُقُولْ وَيَخْتَصُّ بِالْغَيْبِ بَعْضَ الْبَشَرْ
وَهَلْ فِي الْوَرَىٰ قِيمَةٌ لِلْجَهُولْ قَبِيحِ السُّلُوكِ سَخِيفِ النَّظَرْ
وَلَوْ كَان يَمْلِكُ مِلْءَ السُّهُولْ نَفَائِسَ مَا فِي الدُّنَىٰ مِنْ دُرَرْ
وَلَوْ كَان فِي الْحُسْنِ مِثْلَ الْقَمَرْ

فَبِالْعِلْمِ نَعْرِفُ أَكْوَانَنَا وَبَعْضَ الْكَوَامِنِ خَلْفَ الصُّوَرْ
وَبِالْعِلْمِ نَجْتَازُ أَجْوَاءَنَا وَنَنْقُلُ رُكَّابَنَا لِلْقَمَرْ
وَبِالْعِلْمِ نَدْعَمُ إِيمَانَنَا بِبَارِئِنَا الْمُتْقِنِ الْمُقْتَدِرْ
وَبِالْعِلْمِ نَدْعَمُ إِسْلاَمَنَا وَمَا فِيهِ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقَدَرْ
وَمَا فِيهِ مِنْ مُسْعِدَاتِ الْبَشَرْ

وَبِالْعِلْمِ نَعْرِف قُرْآنَنَا كِتَاباً بِهِ هَدْيُ مَنْ يَدَّكِرْ
وَنَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ مُرْسَلٌ صَادِقٌ فِي الْخَبَرْ
وَتَبْدُو بِهِ مَعْجِزَاتٌ لَنَا نَرَاهَا بِآيَاتِهِ وَالسُّوَرْ
بِهِ شَرَعَ اللَّهُ مِنْهَا جَنَا لِنَسْلُكَهُ فَنَنَالَ الظَّفَرْ

وَنُبْعِدَ عَنْ نَافِثَاتِ الْخَطَرْ

وَأَعْلَىٰ الْعُلُومِ عَلُومُ السَّمَاءْ حَبَانَا بِهَا اللَّهُ كَيْ نَعْتَبِرْ

عَلُومٌ أَتَتْنَا بِهَا الْأَنْبِيَاءْ وَمِسْكُ الْخِتَامِ الرَّسُولُ الْأَبَرّ

وَمَنْ يُؤْتَ نِعْمَةَ هَدْيِ السَّمَاءْ فَوَاجِبُهُ نَقْلُهَا لِلْبَشَرْ

إِذَا سِيقَ ظَالِمُهُمْ لِلْجَزَاءْ فَلَنْ يَلْقَ عُذْراً بِهِ يَعْتَذِرْ

فَبِالذِّكْرِ يَنْتَفِعُ الْمُدَّكِرْ

وَبِالْوَعْظِ يَنْتَفِعُ الْمُعْتَبِرْ

فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ وَحْيِ السَّمَاءْ إِلَيْكَ وَبَلِّغْ حَدِيثَ الْغُيُوبْ

فَإِنَّكَ أَنْتَ الصَّفِيُّ الْحَبِيبْ

عَلَىٰ ذِرْوَةِ الْمَجْدِ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

دمشق في ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هجرية — (٨٢ بيتاً)

# ٢٢

وفي احتفال توجيهيّ دعا إليه أبـي ـ رحمه الله وأجزل مثوبته ـ عام ١٣٨٥هـ و ١٩٦٥م ضـمّ جمهوراً غفيراً، وتحدث فيه عدد من تلاميذ أبـي الخطباء، وكنت واحداً منهم، إذْ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة المنوعة الأوزان والقوافي، والتي أعددتها له، وفيها تعرُّض لمشكلاتٍ فكرية معاصـرة لزمن كتابتها، وإشارة إلى فئات معادية للدين أو منحرفة أو ممالئة للأعداء، وهي بعنوان:

**رضيت باللّـه تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً**
**وبمحـمّد ﷺ نبيّاً ورسولاً**

## رضيت بالله تعالى ربّاً وبالإسلام دِيناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً ... وَدِينَهُ لِيَ دِينَا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيّاً ... وَمُرْسَلاً وأَمِينَا
وَقَائِداً وزَعِيماً ... وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَا
وسَيِّداً بِهُدَاهُ ... فِي الْعَالَمِينَ هُدِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي ... لَنَا كِتَاباً مُبِينَاً
وَحْياً وَنُوراً عَظِيماً ... يَهْدِي وحِصْناً حَصِينَا
وَمَرْجِعاً أَتَقَصَّىٰ ... أَحْكَامَهُ تَبْيِينَا
فَمَا حَوَىٰ مِنْ مَعَانٍ ... تَسْرِي لِقَلْبِي يَقِينَا
فِيهِ نَقَاوَةُ وَحْيِ ... الرَّحْمٰنِ لِلْأَوَّلِينَا
تَنْزِيلُ رَبِّ الْبَرَايَا ... وَمُعْجِزُ الْعَالَمِينَا
حَمَاهُ رَبِّي تَعَالَىٰ ... وَزَادَهُ تَمْكِينَا
هٰذِي أُصُولُ اعْتِقَادِي ... تَضُمُّ كَنْزاً ثَمِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا ... قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

هُوَ الدِّينُ عِنْدَ اللّهِ مَنْ يَجْفُهُ غَوَىٰ
فَمَا بَعْدَهُ إلَّا الضَّلَالَةُ والْهَوَىٰ

هُـوَ الـدِّينُ تَنْـزِيـلُ الْحَكِيمِ لِخَلْقِـهِ
عَلَىٰ عَبْدِهِ شَمْسِ الْهُدَىٰ صَفْوَةِ الْوَرَىٰ
هُـوَ الـدِّينُ فِيـهِ كُـلُّ خَيْـرٍ وَنِعْمـةٍ
تَقَـدَّسَ تَنْزِيـلُ الـرَّحِيمِ وَمَـا حَـوَىٰ
وَهَـلْ بَعْـدَ نُـورِ اللَّـهِ نُـورٌ لِمُهْتَـدٍ؟
وَهَلْ بَعْدَ هَدْيِ اللَّـهِ هَدْيٌ فَيُقْتَفَىٰ؟
مُلَاحِقُ مَجْدِ الْخُلْدِ فِي طَاعَةِ الْهَوَىٰ
كَـطَالِبِ أَوْصَـافِ الضِّيَـاءِ مِنَ الْعَمَىٰ
فَمُعْـظَمُ أَهْـوَاءِ النُّفُـوسِ قَـرِينَـةٌ
لِوَسْوَسَـةِ الشَّيْطَانِ فِي الْغَيِّ والـرَّدَىٰ
وَمَـا اجْتَمَعَا فِي النَّاسِ إلَّا لِيُهْلِكَـا
«وَمَـا اجْتَمَـعَ الـدَّاءَانِ إلَّا لِيَقْتُـلَا»
وَيَنْقَـادُ لِـلشَّيْـطَانِ مُـتَّبِـعُ الْـهَـوَىٰ
يَكِـدُّ لِيَرْوَىٰ. والشَّقَـا غَـايَـةُ الْخُـطَا
كَـذَلِـكَ يَسْعَىٰ لِلشَّقَـاءِ ذَوُو الْهَـوَىٰ
إذَا تَـرَكُـوا الإِسْـلَامَ والنُّـورَ وَالْحِجَـا
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِـاللَّـهِ يَـظْفَـرْ بِمَجْـدِهِ
وَمَنْ يَرْضَ بالإِسْلَامِ فِي أَمْرِهِ نَجَـا
رَضِينَـا بِهَـذَا الـدِّينِ دِينـاً مُقَـدَّسـاً
هُـو الْحَقُّ والتِّبْيَـانُ لِلْخَيْـرِ والْهُـدَىٰ
تَحَمَّلَهُ الأَطْهَـارُ مِـنْ كُـلِّ حِقْبَـةٍ
وَصَـانُوهُ بِـالأَرْوَاحِ مِنْ شَرِّ مَنْ بَغَىٰ
فَـمَنْ يَـرْضَـهُ دِينـاً فَلِلَّـهِ سَعْيُـهُ
وَلِلْجَنَّـةِ الكُبْـرَىٰ وَأَنْعِمْ بِمَـا سَعَىٰ

وَمَنْ يَـرْضَ دِيناً غَيْـرَهُ أَوْ يُجَافِـهِ
فَلِلنَّـارِ مَسْعَاهُ وَأَتْعِسْ بِمَـا ارْتَضَىٰ
وَمَنْ يَـأْبَ دِينَ اللَّهِ وَهْـوَ لِخَيْـرِهِ
فَـذَاكَ سَفِيـهُ الـرَّأْيِ فِي هُـوَّةٍ هَـوَىٰ
وَهَلْ يَرْفُضُ الْجَنَّاتِ مَنْ هُوَ عَاقِلٌ؟!
وَهَلْ يَرْفُضُ الْمَجْدَ الْعَظِيمَ ذَوُو النُّهَىٰ؟!
مَتَىٰ جَحَدَ اللَّهَ امْرُءٌ بَعْـدَ هَـدْيِهِ
تَسَفَّـلَ عَنْ دَرْكِ الْبَهَائِمِ فِي الـدُّنَىٰ

○ ○ ○

فَـالْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا إِلَـىٰ الـصِّـرَاطِ هُـدِيـنَـا
إِذِ ارْتَـضَـيْـنَـا إِلَـهـاً فَـرْداً وَدِيـنـاً مَـتِـيـنَـا
قَـدْ صِينَ مِنْ كُـلِّ زَيْفٍ بِـالْحَقِّ صَـوْنـاً مَكِينَـا
الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا مِـنْ ثُلَّةِ الْـمُـؤْمِنِـيـنَـا
الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا مِـنْ زُمْـرَةِ الْـمُـسْلِمِينَـا
نُـكَـرِّمُ الـرُّسْـلَ جَمْعـاً كَـمَـا هَـدَىٰ بَـارِيـنَـا
وَدِيـنُـنَـا نَـسْـتَـقِـيـهِ مِـنْ خَـاتَمِ الْـمُـرْسَلِينَـا
مُـحَـمَّـدٍ خَـيْـرِ رُسْـلِ الـرَّحْـمٰـنِ حَـقًّـا يَـقِـيـنَـا
بِـهِ تَـكَـامَـلَ دِيـنُ الإِسْـلَامِ لِـلْـعَـالَـمِـيـنَـا
وَكُـلُّ دِيـنٍ سِـوَاهُ لَمْ يَبْـقَ كَـالأَصْـلِ دِينَـا
أَتْـبَـاعُـهُ ضَـيَّـعُـوهُ وَصَـدَّقُـوا الْـكَـاذِبِـيـنَـا
كَـمْ لَفَّـقَـتْ أَيْـدِيـهِـمْ فِي الـدِّينِ كِـذْبـاً مُبِينَـا
كَمْ حَـرَّفُـوا مِنْ أُصُـولٍ أَتَـىٰ بِـهَـا الصَّـادِقُـونَـا

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَدِينَهُ لِي دِينَا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيّاً وَمُرْسَلاً وَأَمِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي لَنَا كِتَاباً مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

وَمِنْ قَبْلِ طَهَ جَاءَ رُسْلٌ كَثِيرَةٌ
دَعَتْ لِإِلَهٍ وَاحِدٍ مِثْلَمَا دَعَا
أُصُولُ دِيَانَاتِ السَّمَاءِ بِأَسْرِهَا
تَسِيرُ مَعَ الْإِسْلَامِ فِي الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ
وَكَانَ يَقُولُ الرُّسْلُ لِلنَّاسِ أَسْلِمُوا
إِلَىٰ اللَّهِ يُسْعِدْكُمْ وَيَمْنَحْكُمُو الرِّضَىٰ
وَدِينُهُمُو الْإِسْلَامُ لَكِنَّ لَاحِقاً
بِهِمْ قَدْ بَنَىٰ تَكْمِيلَ مَا سَابِقٌ بَنَىٰ
وَحِينَ اسْتَعَدَّ النَّاسُ أَنْ يَتَقَبَّلُوا
جَمِيعَ تَعَالِيمِ الْمُهَيْمِنِ لِلْوَرَىٰ
تَجَلَّىٰ عَلَىٰ الدُّنْيَا يَتِيمَةُ دَهْرِهِ
مُحَمَّدُ بِالْإِسْلَامِ مُكْتَمِلَ السَّنَىٰ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْأَنَامِ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ الْغُرِّ مَا كَافِرٌ طَغَىٰ
وَصَانَ لَهُ الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ عَابِثٍ
وَسَاقَ لَهُ الْأَصْحَابَ مِنْ أُسَرِ الْعِدَا
فَخَاضُوا غِمَارَ الْمَوْتِ وَالطُّهْرُ حَاجِزٌ
مَسِيرَتَهُمْ عَنْ أَنْ يَمِيلُوا مَعَ الْهَوَىٰ

وَبَاعُوا إِلَىٰ اللَّهِ النُّفُوسَ لِيَشْتَرُوا
رِضَاهُ وَكَمْ كَانُوا لِدِينِهِمُو الْفِدا
وَسَارَ بِعَيْنِ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ
مَصُوناً بِنُورِ الْحَقِّ كالشَّمْسِ فِي الضُّحَىٰ
وَأَمَّا النَّصَارَىٰ وَالْيَهُودُ فَحَرَّفُوا
تَعَالِيمَهُمْ واسْتَبْدَلُوا الْكُفْرَ بالْهُدَىٰ
فَمِنْ أَيْنَ جَاؤُوا بِالْمُثَلَّثِ عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ دَعَوْا عِيسَىٰ إِلَهاً لَهُ الْبَقا
وَأُولَىٰ أُصُولِ الدِّينِ: «اللَّهُ وَاحِدٌ»
أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ الْأَرْضِ والسَّمَا
وَأَتْبَاعُ مُوسَىٰ أَيُّ عُذْرٍ يَقِيهِمُو
وَقَدْ كَذَّبُوا رُسْلاً أَتَوْا بَعْدَ مَنْ مَضَىٰ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ والنَّبِيُّونَ كُلُّهُمْ
دَعَوْا لِإِلَهٍ وَاحِدٍ جَلَّ واعْتَلَىٰ
وَلَوْ أَنَّ أَيّاً مِنْهُمُو عَاشَ بَعْدَهُ
لَكَانَ لَهُ أَزْراً وَكَانَ بِهِ اقْتَدَىٰ
إِلَىٰ اللَّهِ نَشْكُو الْعَابِثِينَ بِدِينِنَا
وَنَشْكُو الَّذِينَ اسْتَخْدَمُوا الدِّينَ للدُّنَىٰ

○ ○ ○

لِلَّهِ نَشْكُو أُنَاساً سَارُوا مَعَ الْعَابِثِينَا
تَحَدَّوْا الدِّينَ حِيناً وَخَادَعُوا الدِّينَ حِينَا
وَآخَرِينَ اسْتَذَلُّوا مَشَاعِرَ الْمُسْلِمِينَا
وَآخَرِينَ تَعَدَّوْا وَآزَرُوا الظَّالِمِينَا
وَآخَرِينَ اسْتَكَانُوا وَمَالَؤُوا الطَّاغِينَا

وَنَـشْـتَـكِـي مِـنْ نُـفُـوسٍ    أَصَـابَـهَـا الضَّعْفُ فِـيـنَـا
لِـلَّـهِ لِـلَّـهِ نَـشْـكُـو    أَحْـوَالَـنَـا أجْـمَـعِـيـنَـا

○ ○ ○

حَـاشَـا طَـلائِـعَ كَـانُـوا    لِـرَبِّـهِـمْ مُـخْـلِـصِـيـنَـا
مَـشَـوْا بِـصِـدْقٍ وَعَـزْمٍ    عَلَىٰ الْهُـدَىٰ ظَـاهِـرِيـنَـا
رَضُـوا بِـكُـلِّ بَـلاءٍ    لِـيَـقْـمَـعُـوا الْـمُـفْـسِـدِيـنَـا
وَيَـنْـصُـرُوا دِيـنَ رَبِّـي    وَيَـحْـمِـلُـوهُ مُـبِـيـنَـا
كَـمْ أُنْـذِرُوا بِـمَـنُـونٍ    فَـلَـمْ يَـهَـابُـوا الْـمَـنُـونَـا
قَـالُـوا: إِذَا كَـانَ فِـيـهِ    رِضَـىٰ الإلـهِ رَضِـيـنَـا
فَـالْـمَـوْتُ آتٍ إِلَـيْـنَـا    جَمِيعِنَا مَـا حَـيِـيـنَـا
كَـمْ بِـالْـمَـطَـامِـعِ أُغْـرُوا    فَـاسْـتَـشْـخَـفُـوا الْـمُـغْـرِيـنَـا
فَـإِنْ تَـسَـلْ عَـنْ أُسُـودِ الإِسْـلامِ يَـوْم ابْـتُـلِـيـنَـا
فَـاخْـتَـرْ مَـسَـاجِـدَ كَـانَـتْ    تَـعُـجُّ بِـالْـمُـتَّـقِـيـنَـا
وابْحَثْ تَجِدْ فِي الـزَّوَايَـا    مِـنْـهَـا عَـرِيـنـاً عَـرِيـنَـا
وَمِـنْ مَـفَـاخِـرِ دِيـنِـي    أَنْ كَـانَ فِـي الآخِـرِيـنَـا
مَـنْ أَبْـرَزَ الـلَّـهُ فِـيـهِـمْ    نَـمَـاذِجَ الأَوَّلِـيـنَـا

○ ○ ○

رَضِـيـتُ بِـالـلَّـهِ رَبّـاً    وَدِيـنَـهُ لِـي دِيـنَـا
رَضِـيـتُ طَـهَ نَـبِـيّـاً    وَمُـرْسَـلاً وأَمِـيـنَـا
رَضِـيـتُ تَـنْـزِيـلَ رَبِّـي    لَـنَـا كِـتَـابـاً مُـبِـيـنَـا

○ ○ ○

فَـهَـلْ رَضِـيـتُـمْ بِـهَـذا؟    قُـولُـوا: رَضِـيـنَـا رَضِـيـنَـا

○ ○ ○

عَجِبْتُ لِهٰذا الدِّينِ مَا ازْدَادَتِ الْقُوَىٰ

لِتَهْدِيمِهِ إِلَّا تَمَكَّنَ وَاعْتَلَىٰ

تَكَاثَرَ فِي كُلِّ الْبِلَادِ خُصُومُهُ

يَكِيدُونَهُ بِالْحَرْبِ والشَّتْمِ والْفِرَىٰ

يُجَدِّدُ شَيْطَانُ الْيَهُودِ حِبَالَهُ

لِيَمْكُرَ بِالْإِسْلَامِ يَبْغِي بِهِ الرَّدَىٰ

وَتَقْذِفُهُ الصُّلْبَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَتَطْعَنُهُ حُمْرُ الْعَقَائِدِ[١] فِي الدُّجَىٰ

وَتَنْخَرُهُ مِنْ دَاخِلِ الصَّفِّ حَرِبَةٌ

مُسَخَّرَةٌ مِنْ خَارِجِ الصَّفِ بالرُّشَا

وَيَبْتَكِرُونَ الْمَكْرَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ

وَقَدْ جَنَّدُوا مِنْ حَوْلِهِ مُعْظَمَ الْقُوَىٰ

وَلَكِنَّهُمْ مَهْمَا اسْتَعَدُّوا لِحَرْبِهِ

يَخِيبُوا فَإِنَّ الْحَقَّ مَنْزِلُهُ الْعُلَا

وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالَةُ والرَّدَىٰ

سَيَبْقَىٰ مَدَىٰ الدُّنْيَا وَلَوْ كَرِهَ الْعِدَا

تَمَسَّكْ بِدِينِ اللَّهِ يَا طَالِبَ الْهُدَىٰ

وَقُمْ وادْعُ لِلْإِسْلَامِ وَلْيَعْوِ مَنْ عَوَىٰ

فَلَوْ جَمَعَ الْأَعْدَاءُ كُلَّ قِوَاهُمُو

عَلَيْنَا فَنَحْنُ الْغَالِبُونَ بِلَا مِرَا

لَئِنْ غَلَبُوا مِنَّا الْجُسُومَ فَحَقُّنَا

هُوَ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ بِالْفِكْرِ والْحِجَا

---

(١) أي: أصحاب العقيدة الشيوعية.

وكُلُّ خُطاً يَجْتَازُهَا الْعِلْمُ فِي الْوَرَىٰ
سَتَشْهَدُ لِلْإِسْلَامِ بِالْحَقِّ والْهُدَىٰ
سَتَظْهَرُ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبُ جَمَّةٌ
تُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حَقٌّ مِنَ السَّمَا

○ ○ ○

اللَّهُ جَلَّ سَنَاهُ فِي كَوْنِهِ سَيُرِينَا
بِأَنَّهُ الْحَقُّ جَلَّتْ آيَاتُهُ تَبْيِينَا
مَهْمَا ارتَقَيْنَا رَأَيْنَا آيَاتِهِ تَهْدِينَا
نَرَىٰ بِهِنَّ جَلَالَ الرَّحْمَنِ حَقّاً يَقِينَا
وَفِي النُّفُوسِ سَنَلْقَىٰ أَدِلَّةَ اللَّهِ فِينَا
سَيَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمَ الْيَقِينِ مَنْ بَارِينَا
سَيَعْلَمُونَ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ عَزّ دِينَا
وأن طَٰهَ نَبِيٌّ وَخَاتَمُ الْمُرْسَلِينَا
وأَفْضَلُ الرُّسْلِ طُرّاً وَسَيِّدُ الْعَالِمِينَا

○ ○ ○

رضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَدِينَهُ لِيَ دِينَا
رَضِيتُ طَٰهَ نَبِيّاً وَمُرْسَلاً وأَمِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رِبِّي لَنَا كِتَاباً مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهذا؟ قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

فَدَيْتُكَ يَا إِسْلَامُ بِالْجَاهِ والرُّتَبْ
وَبِالْمَنْصِبِ الْأَعْلَىٰ وَمَا فِيه مِنْ أَرَبْ

فَدَيْتُكَ بِـالدُّنْيَـا وَمَا ازْدَانَ مِنْ نَشَبْ
فَـدَيْتُـكَ بِـالْغَـالِينَ بِـالْـوَلَـدِ الأَحَبّ
بِـرُوحِيَ أَنْ تَضْوَىٰ وتَلْمَسَـكَ النُّوَبْ
فَلَسْتُ أُبَـالِي إِنْ سَلِمْتَ بِمَنْ عَطِبْ

○ ○ ○

فَـدَيْتُكَ يَـا دِينِي وَمَجْـدِي وَقَـائِـدِي
بِنَفْسِي وَأَغْلَىٰ كُـلِّ مَا مَلَكَتْ يَـدِي
وصُنْتُـكَ بالـرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ حَـاسِـدِ
وَدُمْتَ عَـزِيـزاً بِـالأُسُـودِ الأَمَـاجِـدِ

○ ○ ○

أُعِيـذُكَ بِـالـرَّحْمَنِ مِنْ كُـلِّ ذِي حَـرَبْ
وَمِـنْ شَـرِّ ذِي شَـرٍ خَـبِيـثٍ إِذَا وَقَـبْ
يُعَـادِيـكَ لِلشَّيْـطَانِ بِـالـظُّلْمِ وَالْكَـذِبْ
وَيَقْـذِفُ فِي مَسْـرَاكَ بِـالشَّـوْكِ والْحَـطَبْ
أَيُـطْفِـىءُ نُـورَ اللَّـهِ مُنْفَـجِـرُ الـحَـبَبْ
أَيُـكْتَـبُ للدُّخَـانِ نَـصْـرٌ عَلَىٰ الـشُّهُـبْ؟
أَتَغْلِبُ نُـورَ الشَّمْسِ ثَـلْجِيَّـةُ الْـحُجُـبْ؟
أَيَنْسِـفُ مَـاءَ الْبَـحْـرِ كَفٌّ مِـنَ اللَّهَـبْ؟

○ ○ ○

مَعَـاذَ إِلَـهِ الْعَـرْشِ أَنْ يُخْـذَلَ الْهُـدَىٰ
وَيُطْفِىءَ نُورَ اللَّـهِ مَنْ ضَـلَّ واعْتَدَىٰ

---

(١) الحَبَبُ والْحَبَابُ: قد يطلق على فقاقيع الماء ونُفاخاته التي تطفو عليه وتنفجر. وهو أيضاً طرائق الماء وتكسُّراته.

سَيَنْتَصِرُ الإِسْلَامُ نَصْراً مُخَلَّدَا

وَيَبْقَىٰ عَزِيزاً فِي الْأَنَامِ مُمَجَّدَا

وَيُكْبِرُ كُلُّ الْعَالِمَينَ مُحَمَّدَا

وَيَتْبَعُهُ مَنْ صَدَّقَ الْحَقَّ واهْتَدَىٰ

○ ○ ○

رَضِيت باللَّهِ رَبّاً وَدِينَهُ لِيَ دِينَا

رَضِيتُ طَهَ نَبِيّاً وَمُرْسَلاً وَأَمِينَا

رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي لَنَا كِتَاباً مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا قولوا: رَضِينَا رَضِينَا

دمشق في سنة ١٣٨٥ هجرية (١٣٢ بيتاً)

# ٢٣

هذه القصيدة نظمتها في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٦ هجرية الموافق لشهر تموز ١٩٦٦م وألقيتها في احتفال توجيهي كبير بجامع منجك في حي الميدان من دمشق الشام. وكنت يومها منقولاً من مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، إلى عضو بحوث في وزارة التربية إبعاداً لي عن التعليم الشرعي وإدارته.

على إثر إلقائها استدعاني وزير التربية الدكتور مصطفى حدّاد، إلى جلسة تحقيق في الوزارة، وأطلعني على خطاب من رئيس مجلس الوزراء إليه، فيه أنني تهجمت في الحفل المذكور على نظام الحكم القائم.

وبدأت جلسة التحقيق، بحضور مفتش إداري في الوزارة، اسمه: «نسيب سعيد».

وكان السؤال: يقول التقرير إنّك ألقيت قصيدة تهجمت فيها على نظام الحكم القائم، فما تقول؟.

فأجبت: لقد اعتاد الناس أن يسمعوا مني قصيدة جديدة في كلّ شهر ربيع الأول من كلّ عام، وفي هذه السنة ألقيت قصيدة جديدة بعنوان:

**«الصراع بين الحقّ والباطل»**

تناولت فيها فكرة الصراع بين الحق والباطل، وأنصار الحق وأنصار الباطل، دون التحدّث عن نظام حكم قائم، أو ماضٍ، في سورية أو في غيرها، وقد اشتملت هذه القصيدة على أفكار أؤمن بها أصابت من أصابت، وأخطأت من أخطأت.

سأل الوزير: هل القصيدة موجودة عندك؟

قلت: نعم.

قال: إذن أحضرها، فإذا جئت بها فلا داعي لاستكمال التحقيق، وكان الوزير في تحقيقه مهذباً معي.

قلت: وهو كذلك.

وانفضت جلسة التحقيق، وأحضرت له في اليوم التالي نسخة منها، ودفعت بها إليه عن طريق مدير مكتبه.

ومضت مدّة شهر أو أكثر لا أذكر، فاستدعاني أمين عام الوزارة. وقد كان يومها الأستاذ محمود الأيوبي، الذي صار في أدوار لاحقة رئيساً لمجلس الوزراء.

فدخلت إليه، وتريّث في إبلاغي كلاماً كأنه يريد أن لا يبلغني به، ثم حدّثني بشأن القصيدة حديث منبّه محذّر، يشعرني بأنني إذا عدت إلى إلقاء قصيدة أخرى مماثلة عوقبت بالتسريح.

فقلت بإشارة اليد والشفتين: تفعلون ما تشاؤون، فالرزق على اللّه، ولم أُبْدِ اهتماماً لهذا التحذير، ثمّ سُرِّحتُ بعد نحو ثمانية شهور، يوم تسريح أبي وعمي وفريق من إخوانه، ومصادرة جمعيته ومدرسته الشرعية الخاصة، وإلقاء القبض على أبي وعمي وأخي، وجمهور كبير من المسلمين في سورية، وكان وزير التربية يومئذٍ الأستاذ «سليمان الخشّ» فطاف على مكاتب الوزارة، ودخل إلى المكتب الذي كنت فيه، وقال للموظفين: «حبنّكة» التقط. وكان مثلج الصدر بهذا النبأ، لأنه كان قد استدعاني وعرض عليّ الإشراف على وضع مناهج جديدة للتربية الإسلامية وبعث إلى المفتش الأستاذ «أحمد القادري» يغريني بإدخال المفاهيم الاشتراكية في مادّة التربية الإسلامية، وكان الوزير قد أطمعني بمنصب كبير إذا أنا استجبت لرغبته.

فلم يجَد استجابة لديّ، وعلم أنيّ أماطل، بعد أن كتبت له تقريراً بصلاحية المناهج القائمة، التي كان قد أشرف على وضعها المفتش المؤمن الغيور

الأستاذ عبدالرحمن الباني، وذكرت في تقريري أنها تحتاج إلى زيادة بعض عناصر أخرى، لكنّ ذلك يحتاج إلى زيادة عدد ساعات التربية الإسلامية إلى ثلاث ساعات أسبوعياً، بدل ساعتين.

لقد ساء الوزير هذا الأمر، فنقلني من عضو بحوث، إلى موظف عاديّ في الإشراف، واستدعى غيري لتغيير المناهج.

ثم كان التسريح، وكانت الملاحقة، وكانت الأحداث الجسام، وحلّت هزيمة السادس من حزيران ١٩٦٧م. وطاف «سليمان الخشّ» على مكاتب الوزارة يقول: إنّ إسرائيل لم تحقق أهدافها بإسقاط الحكم، وتغيير النظام، أمّا استيلاؤها على الأرض فأمره يسير، ثم جاءت تصحيحات داخل النظام، واقتيد «الخشّ» إلى السجن، وفيما يلي نصّ القصيدة منقحةً بعض التنقيح:

# الصراع بين الحقّ والباطل

إِذَا اصْطَرَعَ الحَقُّ وَالْبَاطِل

فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟

وَمَنْ مَنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟

وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟

وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟[1]

وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟

وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

خَصِيْمَانِ كُلٌّ لَهُ غَايَةٌ ... وَكُلٌّ لَهُ نَاصِرٌ يَعْمَلُ

خَصِيْمَانِ: هَذَا هُدىً صَاعِدٌ ... وَذَلِكَ فِي كَدْحِهِ يَسْفُلُ

قَدْ اقْتَسَمَا مَنْهَجَيْ دَهْرِنَا ... وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ يَفْصِلُ[2]

هُمَا الْخَيْرُ والشَّرُّ. نَجْدَاهُمَا ... نعيم ونارٌ. فَمَا الأفضل؟[3]

هُمَا لِإِرَادَتِنَا كَاشِفٌ ... دَقِيقٌ. وَمُخْتَبَرٌ أَمْثَلُ

فَرِيْقَانِ كَدْحُهُمَا دَائِمٌ ... وَلَكِنْ شَرِيفٌ وَمُسْتَرْذِلُ

وَشَتَّانَ مَنْ فِي الْهُدَىٰ يَعْتَلِي ... وَمَنْ فِي ضَلَالَتِهِ يَنْزِلُ

وَجُنْدَاهُمَا يَحْمِلُون الْقَنَا[4] ... إِذَا جَارَ ذَاك فَذَا يَعْدِلُ

---

(١) الخاتل: المخادع، الصياد المتخفي لصيده.

(٢) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

(٣) نجداهما: النجد هو الطريق الواضح، قال الله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾.

(٤) القنا: الرماح.

سَجَايَاهُمَا مِثْلُ نَجْدَيْهِمَا فَمَنْ مِنْهُمَا الْأَجْبَنُ الْأَقْتَلُ؟
سِلاحُ ذَوِي الْحَقِّ فِي غِمْدِهِ مُعَدٌّ لِكَيْ يَرْهَبَ الْمُبْطِلُ
يُسَنُّ وَلَا يَعْتَرِيهِ الصَّدَا وَيُنْضَى إِذَا مَا اعْتَدَى الْأَرْذَلُ
بِأَيْدِي تُقَاةٍ لُيُوثِ الْوَغَى تُقَارِعُ بِالْعَدْلِ أو تُمْهِلُ
وَإِنْ عُزِلُوا عَنْ سِلَاحِ الْوَغَى فَمَا حَقُّهُمْ فِي الْوَرَى أَعْزَلُ
وَحِينَ تُشَاهِدُهُمْ قِلَّةً فَإِنَّ قَلِيلَهُمُو مُذْهِلُ
وَمَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ فَضْلُهُ فَلَيْسَ بِكَثْرَتِهِ يَفْضُلُ
كِرَامُ الْجَواهِرِ إِذْ تُنْتَقَى جِبَالُ الْحَصَى دُونَها تُهْمَلُ
وَقِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ عَامِلٍ تُقَاسُ بِمِقْدَارِ مَا يَعْمَلُ
وَعُدَّةُ ذِي الشَّرِ مَسْمُومَةٌ تَكِيدُ وَتَرْقُبُ مَنْ يَغْفُلُ
بِأَيْدِي بُغَاةٍ ثَعَابِينُهُمْ تَجُولُ بِلَيْلٍ وَتَسْتَغْفِلُ
وَتَمْلأُ بِالْحِقْدِ أَنْيَابَهَا وتَنْهَشُ مَهْمَا بَدَا الْمَقْتَلُ
فَإِنْ لَمْ تُطِقْ قَتْلَ أَعْدَائِهَا فَأَدْنَى رَفِيقٍ لَهَا تَقْتُلُ

○ ○ ○

إِذَا اصْطَرَعَ الْحَقُّ والباطِلُ
فَمَنْ مِنهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
ومَنْ مِنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

خَصِيمَانِ: هَذَا إِلَى يَمْنَةٍ وَفِي نَيِّرَاتِ الْهُدَى يَعْمَلُ

وَذَلِـكَ يَـخْـبِطُ[1] فِـي يَـسْـرَةٍ وَفِي ظُلُمَـاتِ الْـهَـوَىٰ يُـوغِـلُ

○ ○ ○

فَـأَهْـلُ الْيَمِـينِ دُعُـاةُ الْـهُـدَىٰ وَفِـي أَيّ أَرْضٍ لَـهُـمْ مَـنْـزِلُ
هُـمُـو أَنْجُمُ الْعِلْمِ أَهْـلُ التُّقَىٰ هُـمُـو الْعَـامِلُونَ بِمَـا حُـمِّلُوا
لَهُمْ كُـلُّ مَجْدٍ رَفِيـعِ الـذُّرَىٰ مُضِيءٍ فَـإِنْ يَحْكُمـوا يَعْـدِلُـوا
وَأَهْـلُ الشِّمَـالِ دُعَـاةُ الـرَّدَىٰ هُـمُـو الْمُـفْسِـدُونَ وَإِنْ دَجَّـلوا
وَإِنْ زَعَـمُـوا أَنَّـهُـمْ أَصْـلَحُـوا وَقَـالُـوا: فَـعَلْنَـا. وَلَـمْ يَفْـعَلُوا
هُـمُـو الْمُعْتَـدُونَ طُغَـاةُ الْـوَرَىٰ وَمَـا تَـدْعُـهُمْ لِـلْهُـدَىٰ يَجْـهَلُوا
عُـدَاةُ الْـكَمـالِ عُـدَاةُ الـسَّنَـىٰ وَفِي كُـلِّ جُحْرٍ لَهُمْ مَـدْخَـلُ
وَفِي الشَّـرْقِ مَأْوىً لَهُمْ يُـرْتَجَىٰ وَفِي الْغَـرْبِ مَـطْمَعُهُمْ يَـرْفُـلُ
وَيُـحْـزِنُـهُـمْ سَـيِّـدٌ مُـدْبِـرٌ وَيَـخْـدَعُهُـمْ سَـيِّـدٌ مُـقْبِـلُ
وَيَقْـتَـادُهُـمْ مِنْ هُـنَـا بَـاذِلٌ وَيَـرْكَـبُـهُـمْ مِنْ هُـنَـا مُـجْـزِلُ
ظُـهُـورُهُـمُـو لِبَـغَـايَـا الْعِـدَا مَـرَاكِـبُ مَـا شِئْنَـهُ تَـحْـمِـلُ

○ ○ ○

فَـرِيـقَـانِ كُـلٌّ لَـهُ خِـطَّةٌ تُـدَنِّسُ فِي الْأَرْضِ أو تَغْسِـلُ
نَقِيضَـانِ مَـا ائْتَـلَفَـا طَـرْفَـةً وَجَـمْـعُ النَّقِيضَيْنِ لَا يُـعْـقَـلُ
وَبَـيْنَـهُمَـا الْـحَـرْبُ لَا تَنْتَـهِـي يُـؤَجِّـجُـهـا الْـفَـاجِـرُ الْأَرْذَلُ
فَـيُـوقِـدُ بِـالْكَـيْـدِ نِيـرَانَـهـا وَيُشْعِـلُ فِي الشَّـرِّ مـا يُشْعِـلُ
مَـقَـالَـتُـهُ مَـا بَـغَـىٰ أَوْ طَـغَـىٰ لِأَجْـنَـادِهِ: دَمِّـرُوا واقْـتُـلُوا

○ ○ ○

وَيَـدْفَـعُ ذُو الْحَقِّ شَـرَّ الْعِـدا فَـيَقْـتُـلُ بِـالْـحَـقِّ أَوْ يُـقْـتَـلُ
مَقَـالَتُـهُ مَـا عَـلَا فِي الْـوَرَىٰ لِأَجْـنَـادِهِ: أَصْلِحُـوا واعْـدِلُـوا

---

(١) يخبط: الخبط الضرب والوطءُ الشديد.

حَصِيفُ الْفُؤَادِ عَفِيفُ الْهَوَىٰ عَنِ الْمَجْدِ والرُّشْدِ لَا يَنْزِلُ
مُقِيمٌ بِحُبِّ رَسُولِ الْهُدَىٰ وَعَنْ طَاعَةِ اللَّهِ لَايَرْحَلُ

○ ○ ○

خَصِيمَانِ: هَذَا لَهُ جُنْدُهُ وَذَاكَ شَيَاطِينُهُ تَنْسِلُ
فَجُنْدُ الْهُدَىٰ بَايَعُوا رَبَّهُمْ وَسَارُوا الْهُوَيْنَىٰ وَمَا استعجلوا
وَأَعْظِمْ بِجُنْدِ الْهُدَىٰ أَنْجماً تُضِيءُ وَتَهْدِي وَلا تَأْفِلُ
وَإِنْ غَرَبَتْ عِنْدَ مَرْأَىٰ الْوَرَىٰ فَفِي الْخُلْدِ مَطْلِعُهَا الْأَكْمَلُ
رَوَاصِدُ فِي الْأُفْقِ. حُرَّاسُهُ إذَا مَسَّهُ مُفْسِدٌ يُقْتَلُ
فَلَا تَعْجَبَنَّ لِشُهْبٍ هَوَتْ فَهُنَّ قَوَاتِلُ مَنْ يَخْتِلُ

○ ○ ○

وَجُنْدُ الضَّلَالَةِ عُمْيُ الْهَوَى وَمِثْلُ الْجَرَاثِيمِ لَا تَعْقِلُ
تَسِيرُ بِلَا غَايَةٍ تُرْتجى فَتَشْمَلُ بِالْفَتْكِ مَنْ تَشْمَلُ
شَيَاطِينُ مِثْلُ الْوَبَا والرَّدَىٰ هُنَا أَفْسَدُوا وَهُنَا قَتَّلُوا
وَإِنْ تَتَحَرَّكْ بِهِمْ شَهْوَةٌ فَهُمْ بِأَضَالِيلِهَا حُفَّلُ
فَحَنْظَلُهُمْ عَسَلٌ فَاخِرٌ وَأَعْسَالُ غَيْرِهِمو حَنْظَلُ
وَكَمْ شَبَحٍ صُنْعِ أَوْهَامِهِمْ لَهُ حَشَّدُوا وَلَهُ كَتَّلُوا
وَعَجُّوا وضَجُّوا بِلَا مُقْتَضٍ وَمِنْ دُونِ مَا مُفْزِعٍ هَوَّلُوا[1]
لَكَمْ أَرْعَدُوا. وَلَكَمْ أَوْعَدُوا وَأَشْبَاحُ أَرْؤُسِهِم تَعْمَلُ
وَتَنْسُجُ أَنْمُلُهُمْ كَيْدَهُمْ وَأَوْهَامُ أَنْفُسِهِمْ تَغْزِلُ
وَكَمْ يَنْشُرونَ رَقِيباً لَهُمْ وَخَيْرُ رَقِيبٍ لَهُمْ أَحْوَلُ
وَجُنْدُ الْهُدَىٰ كُلَّمَا أُرْجِفُوا نَمَا فِيهِمُو الْأَمْنُ واسْتَبْسَلُوا
وزَادُوا ثَبَاتاً وَزَادُوا هُدىً وَأَنْفُسُهُمْ مِنْ رِضىً تَنْهَلُ

---

(١) هوّلوا: خوّفوا بشدة.

أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَنْ يَجْتَبِي ... وَيَعْلَمُ مَنْ هُلْكُهُ أَوَّلُ ؟!
فَكَيْفَ يَخَافُونَ مَنْ لَيْسَ فِي ... يَدَيْهِ نَجَاةٌ وَلَا مَقْتَلُ ؟!
وَمَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ لَمْ يَخْشَ مِنْ ... سِوَاهُ وَلَوْ عَظُمَ الْجَحْفَلُ

○ ○ ○

إِذَا اصْطَرَعَ الْحَقُّ والْبَاطِلُ
فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

أَلَا فَاسْأَلِ الدَّهْرَ عَمَّا جَرىٰ ... بِهِ يَأْتِكَ النَّبَأُ الْأَمْثَلُ
أَمَا انْتَصَرَ الْحَقُّ لَمَّا انْجَلَىٰ ... بِدَعْوَةِ مَنْ لِلْوَرَىٰ أُرسِلُوا؟
أَمَا ظَهَرَ الْحَقُّ لَمَّا أَتَىٰ ... بِهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْأَفْضَلُ؟
مُحَمَّدُ أَكْمَلُ كُلِّ الْوَرَىٰ ... وَشِرْعَتُهُ الشِّرْعَةُ الْأَكْمَلُ

○ ○ ○

أَتَىٰ النَّاسَ يَدْعُوهُمُو لِلْحَيَا ... ةِ: هٰذِي سَعَادَتُكُمْ فَاقْبَلُوا
هُنَا مَجْدُكُمْ . وَهُنَا عِزُّكُمْ ... وَبَاذِخُ نَعْمَتِكُمْ. فَادْخُلُوا
يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ دِينَهُ ... كَمَا هُوَ مِنْ رَبِّهِ يَنْزِلُ
فَلَيْسَ بِمُسْتَبْدِلٍ كِلْمَةً ... وَلَا يَسْتَزِيدُ وَلَا يَبْخَلُ
ويَتْبَعُ الْوَحْيَ فِي حُكْمِهِ ... وَعَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ لَا يَعْدِلُ
وَمَا أُسْوَةٌ حَسُنَتْ فِي الورىٰ ... تُدانيهِ فِي كُلِّ مَا يَجْمُلُ
يَقُولُ فَتَنْبَثُّ مِنْ قَوْلِهِ ... نُجُومٌ تُضِيءُ وَلَا تَأْفِلُ

| | |
|---|---|
| لَهَـا فِي الْأَثِيـرِ مَسِيـرُ الْهُـدَىٰ | وَوَابِـلُ أَنْـوَارِهَـا يَـهْطِلُ[1] |
| يُصِيبُ الْقُـلُوبَ بِمَـاءِ الـرِّضَى | وَيُـوغِـلُ كَـالرُّوحِ إِذْ تُـوغِـلُ |
| فَمَنْ يَسْتَجِبْ يَـرْتَشِفْ سَعْـدَهُ | فَـيُحْيِـي الْـفُـؤادَ بِـمَـا يَنْـهَـلُ |

○ ○ ○

| | |
|---|---|
| أَتَىٰ النَّـاسَ غَـرْقَىٰ بِـآلَامِهِـمْ | وَلَـيْـلُ ضَـلاَلَـتِـهِـمْ أَلْـيَـلُ |
| وَأَمَّـا بَقَـايَـا الْهُـدَىٰ فِيهِـمُـو | فَـجَـوْهَـرُهَـا ضَـائِـعٌ مُهْـمَـلُ |
| فَـبَصَّـرَهُـمْ بِـسَـبِيـلِ الْـهُـدَىٰ | وأَنْـذَرَهُـمْ إِنْ هُـمُـو أَهْـمَـلُوا |

○ ○ ○

| | |
|---|---|
| أَتَىٰ النَّـاسَ لَا يَنْتَهِي فُحْشُـهُمْ | وَلَا بَـغْيُـهُـمْ عَـنْـهُـمُـو يَـرْحَـلُ |
| يُسِيمُـونَ أَهْـوَاءَهُمْ فِي الْخَـنَـا | وَنَـبْـعُ الشُّـرُورِ لَهُـمْ مَنْـهَـلُ |
| وَثَـوْبُ الـرِّيَـاءِ عَلَىٰ مَـا بَغَـوْا | وَمَـا أَفْـسَـدُوا مُسْـدَلٌ مُـسْـبَـلُ |
| فَـبَـصَّـرَهُـمْ. وَهَـدَاهُـمْ إِلَـىٰ | حَمِيدِ الْـخِـصَـالِ لِكَيْ يَجْمُلوا |

○ ○ ○

| | |
|---|---|
| وَسَـارَ الـرَّسُـولُ مَسِيـرَ الضِّيَـا | ءِ يَهْـدِي. وَيَبْـذُلُ مَـا يَبْـذُلُ |
| كَـغَيْـثٍ مُغِيثٍ عَـظِيـمِ السَّنَىٰ | فَـيَسْقِـي وَيَـهْـدِي وَلَا يَـبْـخَـلُ |
| وَجَـاهَـدَ فِي اللَّهِ جَمَّ الـرِّضىٰ | وَلَـمْ يَـثْـنِـهِ مُـعْـتَـدٍ مُـبْـطِلُ |
| وَأَلْـزَمَ بِـالْـحَـقِّ أَقْـوَالَـهُ | وَبِالْعَـدْلِ والْفَضْـلِ مَـا يَعْمَـلُ |
| وَغَـلَّفَ آلاَمَـهُ بِـالـرِّضَـىٰ | وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ الصَّـبْـرِ مـا يَثْـقُـلُ |
| وَشَـدَّ عَلَىٰ الْعَزْمِ مَـا يَـرْتَجِي | وَأَلْـجَمَ بِـالْـحَـزْمِ مَـا يَـأْمُـلُ |
| وَعَـالَـجَ بِـالْـعَـفْـوِ مُـرَّ الْأَذَىٰ | وَقَـابَـلَ بِـالْحِلْمِ مَـنْ يَجْـهَـلُ |
| وبِـالْجُـودِ دَاوَىٰ عِـدَاءَ الْعِـدَا | فَصَـارَ رِضىً دَاؤُهَـا الْمُعْـضِـلُ |
| وَكَمْ مِنْ عَـدُوٍّ بِـوَفْـرِ الـنَّـدَىٰ | تَـحَـوَّلَ ذَا خُـلَّةٍ تُـذْهِـلُ |

---

(١) الوابل: المطر الغزير.

وَذَاقَ مِنَ الْحَقِّ طِيبَ الْهَنَا فَسَارَ إِلَىٰ رَبِّهِ يَرْمُلُ
يَوَدُّ الشَّهَادَةَ فِي اللَّهِ أَوْ يَرَىٰ الحَقَّ فِي عِزِّهِ يَرْفُلُ

○ ○ ○

وَسَارَ الرَّسُولُ مَسِيرَ الضِّيَا ءِ يَهْدِي وَيَبْذُلُ مَا يَبْذُلُ
وأصْحَابُهُ أَنْجُمُ يَهْتَدِي بِهَدْيِهِمُو النَّاسُ إنْ يَعْقِلُوا
وَكَرَّ الْبُغَاةُ إِلَىٰ حَرْبِهِمْ وَكَانَتْ مَنَايَاهُمُو تُقْبِلُ
تُبَطِّىءُ فِيهِمْ ضَلالاَتُهُمْ وَذُو الشَّرِّ مَهْمَا عَدا فِسْكِلُ
تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ وَبِالشَّرِ كَاهِلُهُ مُثْقَلُ
أَخُو الشَّرِّ فَأْرٌ جَبَانُ الْخُطَا يُنَافِقُ بِالْمَكْرِ أَوْ يَخْتِلُ
دَنِيءُ السُّلُوكِ إذَا مَا اعْتَلَىٰ يُهِينُ وَيَفْجُرُ أَوْ يَقْتُلُ

○ ○ ○

وذو الْخَيْرِ يُسْرِعُ فِيهِ الْهُدَىٰ وَيَسْمُو بِهِ الْأَمَلُ الْمُخْضَلُ
شُجَاعُ الْفُؤادِ عَفِيفٌ إِذَا تَمَكَّنَ يَصْفَحُ أَوْ يَعْدِلُ

○ ○ ○

وكَانت حَيَاةُ نَبِيِّ الْهُدَىٰ كَخِصْبِ الْحَيَاةِ لِمَنْ أَمْحَلُوا
وَكَالصُّبْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الدُّجَىٰ وَكَالزَّادِ والنَّاسُ قَدْ أَرْمَلُوا[1]
وَمِثْلَ الشِّفَاءِ لِمَنْ عَمَّهُمْ وَبَاءٌ إِذَا حَلَّ لَا يَرْحَلُ
وَكَانَتْ رِسَالَتُهُ لِلْوَرَىٰ حَيَاةَ الْخُلُودِ لِمَنْ يَعْقِلُ

○ ○ ○

وَلَمَّا انْجَلَتْ غَزَواتُ الرَّسُو لِ تُوِّجَ بَالنَّصْرِ مَنْ هَلَّلُوا
رِجَالٌ عَلَىٰ الْعَهْدِ. مِنْهُمْ قَضَىٰ شَهِيداً وَبَاقُونَ مَا بَدَّلُوا
وَسَارَ إِلَىٰ الْفَتْحِ أَبْطَالُهُمْ سَحَائِبُهُمْ بالنَّدَىٰ تَهْطِلُ

---

(١) أرملوا: نفر زادهم.

وَخَابَتْ أَمَانِيُّ كُفَّارِهَا    وَبَدَّدَهُمْ صَارِمٌ[1] أَعْدَلُ
حَبَا اللَّهُ حُرَّاسَ قُرْآنِهِ    مِنَ الْفَتْحِ فَوْقَ الَّذِي أَمَّلُوا

○ ○ ○

فَمَنْ يَا تُرَىٰ بَعْدَ طُولِ الصِّرَا    عِ يَعْلُو وَمَنْ يَا تُرىٰ يَسْفُلُ؟
وَمَنْ سَيُتَوَّجُ بَعْدَ الْقِرَا    عِ تَاجَ النَّجَاةِ وَمَنْ يَفْشَلُ؟
أَذُو الْحَقِّ يُنْصَرُ بَعْدَ الْوَغَىٰ    وَيَجْنِي النَّجَاةَ أَمِ الْمُبْطِلُ؟

○ ○ ○

أُرَاجِعُ مَا مَرَّ مِنْ أَعْصُرٍ    وَأَسْأَلُ عَنْهُنَّ مَا أَسْأَلُ
فَتُدْهِشُنِي عِبَرٌ جَمَّةٌ    خَوَالِي الْعُصُورِ بِهَا تَحْفِلُ[2]
فَمَهْمَا اسْتَقَامَ دُعَاةُ الْهُدَىٰ    فَمَا لِلْعُلاَ عَنْهُمُو مَعْدِلُ
وَمَهْمَا عَصَوْا فِي شُروطِ الْعُلا    وَإِنْ كَثُرُوا عَدَداً يُخْذَلُوا
وَإِنْ يَجْهَلُوا سِرَّ خِذْلَانِهِمْ    فَحِكْمَةُ ذِي الْعَرْشِ لَا تَجْهَلُ
وَمَهْمَا يَعُودُوا إلى دِينِهِمْ    يَعُدْ لَهُمُو الظَّفَرُ الْأَوَّلُ
شَرِيعَتُهُمْ وَسَطٌ مُرْتَقٍ    لَهُ مَنْهَجٌ قَيِّمٌ أَعْدَلُ
لَهُ شَاطِئَا قِمَّةٍ بَيِّنَا    نِ. وَرَاءَهُمَا شُبَهٌ تَدْخُلُ
وَدُونَ الْيَمِينِ هَوىً قَاتِلٌ    وَدُونَ الشِّمَالِ هَوىً أَقْتَلُ
وَمَهْمَا بَغَوْا واسْتَلَذُّوا الْهَوَىٰ    وَرَاءَ الْيَمِينِ ولَمْ يَعْدِلُوا
أَصَابَتْهُمُو مِنْ سَمُومِ الشِّمَا    لِ رِيحٌ تُجَدِّلُ أو تَقْتُلُ[3]
وأَلْقَتْ بِهِمْ فِي طَرِيقِ الرَّدَىٰ    بِمُنْحَدَرٍ هُلْكُهُ مُشْمِلُ
وَمَهْمَا يَعُودُوا إلىٰ دِينِهِمْ    يَعُدْ لَهُمُو السُّؤْدُدُ الْأَوَّلُ

دمشق في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هجرية    (١٣٤ بيتاً)

---

(١) صارم: سيف قاطع.    (٢) تحفل: تجمع وتحوي.    (٣) تُجَدّل: تصرع.

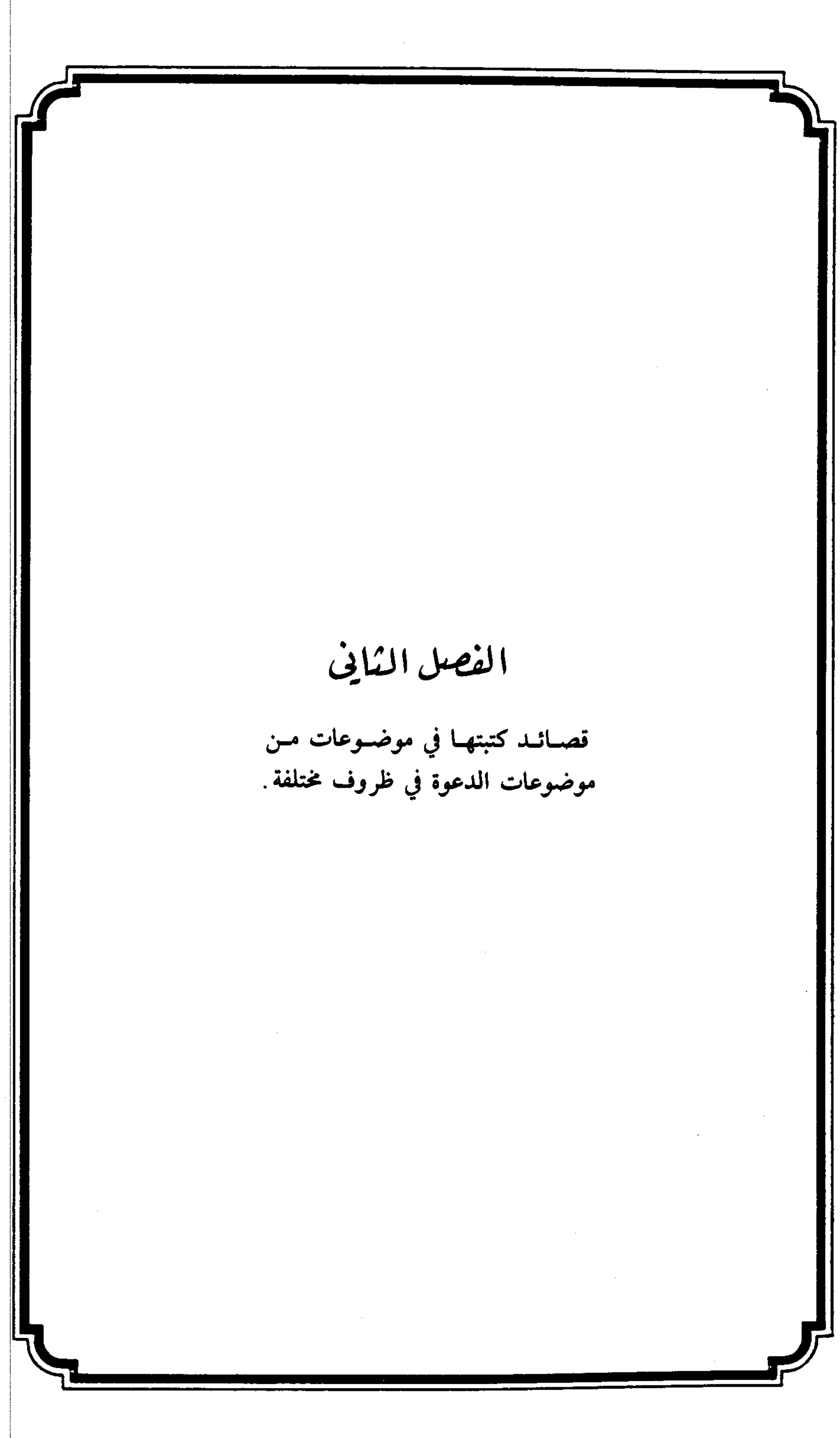

# الفصل الثاني

قصائد كتبتها في موضوعات من
موضوعات الدعوة في ظروف مختلفة.

# ٢٤

## دعــاء

يَارَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا الزَّلَّات واعْفُ فَمَا ... لِمُــذْنِبٍ دُوْنَـكَ اللَّهُمَّ مِنْ أَمَــلِ
يَــا رَبِّ إنّ خَطَايَانَا لَقَـدْ عَظُمَتْ ... وَبَعْضُ عَفْوِكَ يَمْحُو أَعْظَمَ الزَّلَلِ
يَارَبِّ واجْمَعْ شَتَاتَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ ... رِضَاكَ فِي وَحْدَةِ الْأَقْوَالِ والْعَمَلِ
يَارَبِّ إنْ شِئْتَ أَلَّفْتَ الْقُلُوبَ فَلَا ... نُفُـورَ فِيهَا. فَـأَلِّفْ بَيْنَهَـا وَصِـلِ
وَأَيِّـدِ الْحَقّ وانْـصُــرْ أَهْلَهُ وَأَقِـمْ ... فِي الْأَرْضِ دَوْلَتَهُ الكُبْرَىٰ على الدُّوَلِ
اللَّـهُ دَعْــوَتُهـا. والْحَقُّ مَبْـدَؤُهَـا ... والْعَدْلُ أَحْكَامُها. صِينَتْ مِنَ الْخَطَلِ
وَشِرْعَةُ اللَّـهِ بَيْنَ النَّاسِ شِرْعَتُهـا ... وَهَدْيُ أَحْمَدَ يَحْمِيهَـا مِنَ الزَّلَلِ
وَنَيْلُ مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَرْشِ غَـايَتُها ... وَمَقْصِدُ الْخَيْرِ حَادِيهَا عَلَىٰ السُّبُلِ
والْعِلْمُ كَـوْكَبُهَـا. والْعَـزْمُ مَنْكِبُهَـا ... وَالْبَأْسُ مَرْكَبُهَا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
والْعَوْنُ فِيهَا السَّدَىٰ والْحُبُّ لُحْمَتُهُ ... وَهٰـذِهِ فِي الْبَرَايَـا دَوْلَـةُ الـرُّسُـلِ

بومبـي في سنة ١٣٧١ هجرية ... ( ١٠ أبيات )

مع تنقيح يسير عند وضعها هنا.

# ٢٥

في سنة ١٣٧١ هجرية قبيل موسم حج هذه السنة، زار الشيخ توفيق الهبري، وهو أحد أعيان لبنان ومن رجال بيروت ذوي المكانة، والدي في داره بحي الميدان من دمشق الشام، رحمهما الله، وجعلهما في علّيين.

ونقل الشيخ توفيق لأبـي رغبة الشيخ محمد عـلي زينل عـلي رضا، باستقدام أحد طلاب العلم من دمشق إلى بومباي لتعليم كريماته علوم الدين واللّغة العربية.

وانتدبني أبـي لهذه المهمة، وكنت يومئذٍ مسجلاً في كلية الشريعة بالأزهر، في السنة الرابعة منها، وكانت خطّة الرحلة أن أسافر إلى الحجاز حاجّاً، وأنزل ضيفاً على آل زينل، ثم أسافر بعد الحج على إحدى البواخر التي يحملون عليها الحجاج الهنود إلى بومباي.

وقبيل مقدم الشيخ توفيق رأيت رُؤْيَـيَـنْ:

**الأولى**: رأيت أني في مكان ما، وسمعت هاتفاً يقول لي: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة» ولم يكن الحج في ذلك العام يخطر على بالي مطلقاً، وغير متيسّر بالنسبة إلـيَّ، وكانت هذه الرؤيا بشرىٰ تحققت بما حدث بعدها.

**الثانية**: رأيت في حجرة المكتبة والدرس من بيت السكن الذي يُقيم فيه أبـي هو وأسرته، سيدنا رسول الله ﷺ، على صورتـه وهيئته المـذكورة في الشمائل، ورأيتني قابضاً بكفَيَّ على رسغي النبـي ﷺ، ويداه مرتفعتان وكفاه مفتوحتان إلى السماء على هيئة الواقف موقف الدعاء، وأنا أقول له: يا رسول الله ادع لي، وهو يدعو لي، لكنّـي لم أعرف شيئاً مما دعا لي به.

وكانت هذه بشرى ثانية.

فلمّا قدم الشيخ توفيق الهبري، وعرض على أبي ما عرض وانتدبني أبي للمهمة، لم أتردد في الاستجابة للطلب، مع أَنَّ السنة بالنسبة إليَّ سنة تحصيل الشهادة العالية من كلية الشريعة، وهي مرحلة مهمة بالنسبة إلّي يومئذ.

وتعقدت إجراءات السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ، ثم لـمْ تنحلّ المشكلات، ولم يتهيأ لي مقعد في طائرات الحج، إلّا في صباح يوم عرفة، وكان ذلك من مطار بيروت.

ووجدت نفسي في جدّة ضحى يوم عرفة، وحُمِّلْنَا على سيارات شحن إلى عرفات مباشرة، في شمس حارة، وفي شهرٍ من أشهر الصيف شديدة الحرّ.

وقضى الله لي حجاً بفضله وحمايته، وكنت أشاهد عشرات الحجاج يتساقطون أمامي من ضربات الشمس، وحماني الله، وآواني في منى ومكة عند إخوان من بلدي عرفوني.

ثم اتصلت بآل زينل، ونقلوني إلى بومباي على إحدى بواخرهم التي ينقلون عليها الحجاج الهنود.

ووصلت إلى بومباي، ووجدت الشيخ محمد علي زينل علي رضا يستقبلني هو وبعض إخوانه في الميناء، وانتقلت إلى ضيافته، وخصص لي مكاناً للإقامة.

وبدأت مهمتي، ونفسي معلقة بمصر، للحصول على شهادة كلية الشريعة.

وكتبت في هذه الأثناء، ذكرى رحلتي إلى الحجة الأولى من حجات عمري، وهذه هي بعنوان:

**«ذكرى رحلتي إلى الحج»**

# ذكرى رحلتي إلى الحجّ

سَقَيْتَنِي الْوَجْدَ حَتَّىٰ هَاجَنِي الْوَلَعُ وَقُلْتَ: هَيّا. فَإِنَّ السَّفْرَ قَدْ هُرِعُوا

فَاسْقِ الْمَطَايَا شَرَابِـي كَيْ تَمُرَّ بِنَا مَرَّ الْخَيَالِ. فَمَا فِي الصَّبْرِ مُتَّسَعُ

طَافَ الْحَجِيجُ. وَثَنَّوْا بِالْوُقُوفِ فَيَا وَيْحَ الْمَشُوقِ عَلَىٰ نَأْيٍ إِذَا دَفَعُوا

فِي أَرْضِ لُبْنَانَ مَا زِلْنَا نُعَاتِبُهَا لِأَنَّهَا أَخَّرَتْنَا والْهَوَىٰ هَلِعُ

بِاللَّهِ رِفْقاً بِنَا. إِنَّا نُحَاذِرُ أَنْ نَحُجَّ حَجَّ الْقَطَا وَالنَّاسُ قَدْ رَجَعُوا

○ ○ ○

أَعْظِمْ بِطَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ تَنْقُلُنَا بِسُرْعَةِ الصَّوْتِ. لَا يَنْتَابُهَا ظَلَعُ[1]

كَخَاطِفِ السَّهْمِ سَبْحاً فِي الفضاء بِنَا غُدُوُّهَا أَشْهَرُ السَّارِينَ لَوْ ذَرَعُوا

وَعِنْدَ جَدَّةَ أُهْبِطْنَا كَمَا هَبَطَتْ مَلائِكُ اتَّزَرُوا بِالسُّحْبِ وَالْتَفَعُوا

○ ○ ○

هَيَّا اهْرَعُوا لِمَطَايَا الْأَرْضِ وانْتَهِبُوا بِهَا الْبِطَاحَ. وَلَا تَأْلُوا. وَلَا تَدَعُوا

جِدُّوا الْمَسِيرَ بِنَا واسْقُوا مَطِيَّكُمُو نَاراً. فَإِنَّ سُقَاةَ النَّارِ قَدْ بَرَعُوا

سِيرُوا بِنَا قَدْ دَنَتْ سَاعَاتُ مُتْعَتِنَا وَلَاحَ نُورٌ بِهِ الْإِيمَانُ والْوَرَعُ

هَذِي نَسَائِمُ بَيْتِ اللَّهِ تَنْفَحُنَا فِي صَدْرِهَا عَنْبَرٌ فِي وَجْهِهَا لُمَعُ

هَذَا صَدَىٰ الذَّاكِرِينَ اللَّهِ فِي أُذُنِي يَعُجُّ حُلْواً بِمَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا

هٰذِي الثَّنَايَا الَّتِي مَرَّ الرَّسُولُ بِهَا فِي صَحْبِهِ فَاقْرَؤُوا فِيهَا الَّذِي صَنَعُوا

○ ○ ○

---

(١) ظلع: الظَّلْع العرج. وجاء فيه ظَلَع.

يَا عَيْنُ أَجْرِي النَّدىٰ واسْقِي الثَّرىٰ دِيَماً يَحْيَا بِهَا الأَمْنُ. إِذْ يَقْضِي بِهَا الْجَزَعُ
يَا أَطْهَرَ الأَرْضِ. يَا مَسْرىٰ الْهُدَى احْتَفِظِي
بِمَـا بَكَـيْتُ. فَـلِي فِي حِفْـظِهِ طَـمَـعُ
تَحَدَّثِي يَوْمَ عَرْضِ النَّاسِ عَنْ خَبَرِي الـدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ. والْقَلْبُ مُنْصَدِعُ
إِنْ لَمْ أُبَلِّلْكِ مِنْ نَفْسِي بِمَعْـرَكَةٍ فَـرُبَّمَـا نَـابَ دَمْعُ عَـابِدٌ هَمِـعُ

○ ○ ○

يَـا نَفْسُ هٰـذِي عِبَـادَاتٌ مُحَبَّبَـةٌ فِيهَـا لِأَرْوَاحِنَا مَهْـوىً وَمُـرْتَبَـعُ[1]
قُومِي انْظُرِي لِعِبَادِ اللَّـهِ فِي طَرَبٍ كَأَنَّهُمْ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ قَـدْ رَتَعُوا
هَيَّا ادْخُلِي بَيْنَهُمْ بِالذُّلِّ وانْشَرِحِي صَدْراً بِمَا طَوَّفُوا طَوْراً وَمَا رَكَعُوا

○ ○ ○

دَوَّامَــةٌ حَــوْلَ بَيْتِ الـلَّـهِ دَائِــرَةٌ وأَنْفُسٌ فِي سِبَاقِ الْحُبِّ تَنْـدَفِـعُ
وَحَوْلَ رَحْمَةِ رَبِّ الْكَعْبَةِ ازْدَحَمُوا مِنْ كُـلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ سَـاقَهُمْ وَلَـعُ
نَادَىٰ بِهِمْ صَوْتُ دَاعِي الْحَقِّ فَاسْتَمَعُوا وَأَذْعَـنُـوا لِنِـدَاءِ الْـحَقِ واتَّبَـعـوا
لِلَّـهِ ما جَهِـدُوا. لِلَّـهِ مَـا ظَمِئُـوا لِلَّـهِ مَـا عَبَدُوا. لِلَّـهِ مَـا خَضَعُوا
قَـدْ أَلَّفَتْهُمْ يَـدُ الإِيمَـانِ فَـأَتْلَفُـوا وَجَمَّعَتْهُمْ يَـدُ الرَّحْمٰنِ فَـاجْتَمَعُـوا
فَمَـا يُـفَـرِّقُـهُم لَـوْنٌ وَلَا نَـسَبٌ وَلَا يُبَـاعِـدُهُمْ خَـوْفٌ وَلَا طَمَـعُ
أُخُــوَّةٌ نَسَجَ الْإِيمَــانُ وَحْـدَتَهَــا قَـوِيَّةٌ. إِذْ وَهَتْ مِنْ دُونِهَـا بِـدَعُ

○ ○ ○

يَـارَبِّ لَبَيْكَ جِئْنَـا هَارِبِينَ. عَلَىٰ أَجْسَـادِنَا لَـكَ مِنْ أَكْفَـانِنَـا قِـطَعُ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. هذا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ لَبَّيْـكَ. إِنَّـا إِلَىٰ رُحْمَـاكَ نَنْتَجِـعُ
لَبَّيْكَ لَا عِـزَّةٌ. لَبَّيْـكَ لَا صَلَفٌ لَبَّيْـكَ لَا زِينَـةٌ. لَبَّيْـكَ لَا مُتَـعُ
لَبَّيْـكَ لَا ذُو غِنىً زَانَتْـهُ حُلَّتُـهُ لَبَّيْـكَ لَا ذُو رِقَاعٍ شَـانَهُ الـرُّقَـعُ

---

(١) المرتبع: المنزل الذي ينزل فيه وقت الربيع.

لَبَّيْكَ. قَدْ مَاتَتِ الْأَلْقَابُ أَجْمَعُها لَدَيْكَ. لَبَّيْكَ هَذا حَالُنَا شَرَعُ[1]
لَبَّيْكَ. أَلْسُنُنَا ذِكْرٌ. وَأَدْمُعُنَا ذُلٌّ. وَأَكْبُدُنَا - يَارَبَّنَا - وَلَعُ

○ ○ ○

مَا ذَلِكَ السِّرُّ فِي بَطْحَاءَ مُحْرِقَةٍ تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَنْفَاسُ تَنْقَطِعُ
كَأَنَّمَا عَرَصَاتُ الْحَشْرِ قَدْ بُسِطَتْ والنَّاسُ مِنْ دَارِسِ الْأَجْدَاثِ قَدْ هُرِعُوا

○ ○ ○

لِلَّهِ فِي عَرَفَاتٍ كُلُّ عَارِفَةٍ[2] الْجُودُ مُنْطَلِقٌ والْعَفْوُ مُتَسِعُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَمْدُودٌ سُرَادِقُهَا قُولُوا لِكُلِّ تَقِيٍّ: هٰهُنَا الطَّمَعُ

○ ○ ○

يَا قَفْرُ مَا شَأْنُ خَضْرَاء الرِّيَاضِ وفِي رِمَالِكَ الطَّاهِرَاتِ الدِّينُ والْوَرَعُ
إِنْ كُنْتَ أَقْفَرْتَ مِنْ خُضْرِ الرِّيَاضِ فَقَدْ أَنْبَتَّ لِلْأَتْقِيَا جَنَّاتِ مَا زَرَعُوا

○ ○ ○

وَغَابَتِ الشَّمْسُ والْتَفَّتْ بِغَيْبَتِهَا تِلْكَ الْخِيَامُ كَأَنَّ السَّيْلَ يَنْدَفِعُ
تَحَرَّكَ الكَوْنُ يَسْعَىٰ فِي الْمَضِيقِ فَهَلْ تَمْشِي الْجِبَالُ مَعَ الْحُجَّاجِ إِذْ دَفَعُوا
مَنَاكِبٌ لِلْجِبَالِ الشُّمِّ مَا ارْتَفَعَتْ عَنِ الزِّحَامِ. فَهَذَا الْحَشْدُ مُرْتَفِعُ

○ ○ ○

لِلَّهِ آيَتُهُ الكُبْرَىٰ وَحِكْمَتُهُ أَخْسِرْ بِجَافِينَ مَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا

**بومباي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هجرية** **(٤٤ بيتاً)**

---

(١) شَرَع: بفتح الراء وإسكانها أي سواء.
(٢) عارفة: العارِفَةُ المعروف، وجمعها عوارف أي صنائع المعروف.

# ٢٦

في حجتي الأولى سنة ١٣٧١ هجرية علقت في نفسي ذكريات مؤثرات، منها ذكرى جبل النور، وهو جبل حراء، الذي كان يتعبد في غاره الرسول محمد ﷺ قبل النبوة، فيلبث فيه بين حين وآخر الليالي ذوات العدد، حتى نزل عليه الوحي جبريل عليه السلام. بالنبوّة والرسالة.

وكان من أثر ذكرى مشهد هذا الجبل قصيدة نظمتها بعد سفري من الحجاز إلى بومبي في الهند، وهي هذه القصيدة، وعنوانها:

**«جبل النور»**

# جبــل النــور

سَلامٌ عَلَىٰ الْوَادِي سَلامٌ عَلَىٰ الْجَبَلْ ... وَصَــوْبُ التَّحَايَـا للسُّفُوحِ وَلِلْقُلَلْ
أَأَنْـتَ حِــراءٌ أَمْ حَــرِيٌّ بِــأَنَّنَــا ... نُكَلِّلُ فِيكَ الصَّخْرَ بالضَّمِّ والْقُبَلْ
سَــلامٌ عَلَىٰ غَـارٍ هُنَــاكَ مُمَتَّــعٍ ... بِأَجْمَلِ ذِكْرَىٰ مِنْ أَجْـلِ مَنِ اعْتَزَلْ
تَبَسَّمَ هَـذا الْغَارُ يَـوْمـاً فَـأَشْـرَقَتْ ... سَعَادَةُ هَذَا الكَوْنِ مِنْ نَفْحَةِ الْأَزَلْ
أَغَـارَ حِـرَاءٍ ضُمَّنِي فِيـكَ سَـاعَـةً ... لَعَلِّي أَرَى الْمَنْشُودَ مِنْ بَاسِمِ الْأَمَلْ
بِرَبِّكَ أَسْمِعْنِي صَـدىٰ مَا سَمِعْتَـهُ ... رُجُوعاً إِلَىٰ مَاضِي الْقُرُونِ بِلا مَهَلْ
وَقِفْ عِنْدَ نَجْوىٰ اثْنَيْنِ فِي سَاعَةٍ بِهَا ... تَفَتَّحَ صَدْرُ الكَوْنِ لِلْحَادِثِ الْجَلَلْ

○ ○ ○

كَـأَنَّكَ يَـا جِبْرِيـلُ تَهْوَىٰ مُحَمَّـداً ... فَجِئْتَ لَهُ ضَمّاً وَلِلشَّوْقِ مَا فَعَـلْ
أَبَا الْقَاسِمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَادْعُهُ ... وَقُمْ مُنْذِراً فِي النَّاسِ يَا خَاتَمَ الرُّسُلْ

○ ○ ○

أَغَـارَ حِـرَاءٍ فِي حَنَــايَـاكَ مَعْبَــدٌ ... كَـرِيمٌ لِخَيْـرِ الْمُـرْسَلِينَ وَمُعْتَـزَلْ
عَلَىٰ ضِيقِكَ الْبَادِي اتَّسَعْتَ لِمُرْسَلٍ ... هِدَايَةُ كُلِّ النَّاسِ مَقْصِدُهُ الْأَجَلْ
بِـرَبِّـكَ قُـلْ عَنْ مَـوَاطِىءِ أَحْمَـدٍ ... أَصُبُّ بِهَا ذَوْبَ الْجَوَانِحِ والْمُقَلْ
إِذَا بُعِثْتُ يَوْمَ الْحِسَابِ تَكُونُ لِي ... شَهَـادَةَ دَمْعٍ عِنْـدَ مَوْطِئِـهِ الْأَجَلّ

○ ○ ○

أَغَارَ حِرَاءٍ مَا الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِـي ... مِنَ النُّورِ يُلْقِي هِزَّةً فِيَّ مَا اتَّصَلْ
أَغَــارَ حِـرَاءٍ وَقْــدُ نُــورِكَ مَسَّنِي ... أَحُلْماً أَرَىٰ أَمْ مَا الَّذِي حَوْلِيَ اشْتَعَلْ؟
أَهَــازِلَــةٌ تَنْتَـابُـنِي ثُـمَّ تَخْـتَفِـيْ ... تُدَاعِبُ قَلْبِـي أَمْ مِنَ الْجِدِّ مَا هَزَلْ؟

كَـأَنَّ فُؤَادِي يَرْشُفُ السَّعْـدَ والْهَنَا وَيُمْتِعُـهُ عَرْفٌ مِنَ الْغَـارِ مُخْتَـزَلْ
تُرَىٰ هِيَ أَنْفَاسُ الـرَّسُولِ بِـطِيبِهَا تَعَلَّقَ صَخْرٌ. إِنَّ فِي الصَّخْرِ مَا عَقَلْ
أَيَا سَعْدَ قَلْبِـي هَا هُوَ السِّتْرُ يَنْجَلِي وَيَا وَيْحَ قَلْبِـي رَفْرَفَ السِّتْرُ وانْسَدَلْ

**بومبي في ٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية** **(١٩ بيتاً)**

# ٢٧

في هذه القصيدة توجيه نظر اُلْمؤمِنْ إلى أن الله رقيبه وحسيبه، وأنّه معه يسمع ويرى، في كلّ أحواله، إن كان في حالة معصية، أو في حالة طاعة، وهي بعنوان:

**«إنيّ معكم أسمع وأرى»**

# إنيّ معكم أسمع وأرى

يَـا مَـنْ هِـمْـتُـمْ فِـي نَـادِيـكُـمْ    إِنَّ الـرَّحْـمَـنَ يُـنَـادِيـكُـم
إنْ تَـسْـتَـتِـرُوا بِـمَـعَـاصِـيـكُـمْ    أَوْ تَـسْـتَـخْـفُـوا بِـمَـسَـاوِيـكُـمْ
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أسْـمَـعُ وَأَرَىٰ

يَـا مَـنْ سَـكِـرَتْ فِـي غُـرْفَـتِـهَـا    يَـا مَـنْ عَـبِـثَـتْ فِـي عِـفَّـتِـهَـا
يَـا مَـنْ غَـرِقَـتْ فِـي مِـحْـنَـتِـهَـا    قَـالَ الْـقَـهَّـارُ يُـبَـكِّـتُـهَـا
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ

يَـا مَـنْ أَرْدَتْـهُ شَـهْـوَتُـهُ    واسْـتَـشْـرَتْ فِـيـهِ شِـقْـوَتُـهُ
وَأَوَىٰ تَـحْـمِـيـهِ عُـصْـبَـتُـهُ    قَـالَ الْـجَـبَّـارُ يُـبَـكِّـتُـهُ
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وأَرَىٰ

يَـا مَـنْ صَـلَّىٰ فِـي بُـنْـيَـانِـهِ    عَـبَـدَ الـرَّحْـمَـنَ بِـأَرْكَـانِـهِ
تَـهْـدِيـهِ دَوَافِـعُ إِيـمَـانِـهْ    قَـالَ الـرَّحْـمَـنُ بِـوِجْـدَانِـهْ
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وأَرَىٰ

يَـا مَـنْ زَكَّىٰ يَـا مَـنْ صَـامَـا    يَـا مَـنْ بِـالْأَسْـحَـارِ قَـامَـا
يَـا مَـنْ بِـالـرَّحْـمَـنِ هَـامَـا    قَـالَ الـلَّـهُ لَـكُـمْ إِكْـرَامَـا
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ

يَـا مَـنْ فِـي تَـوْبَـتِـهِ ضَـرَعَـا    وَدَعَـا ولِـمَـوْلَاهُ خَـشَـعَـا
طَـلَـبَ الْـغُـفْـرانَ لِـمَـا صَـنَـعَـا    يَـدْعُـوكَ الْـمَـوْلَىٰ: زِدْ طَـمَـعَـا
إِنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ

بومبي في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية    (١٢ بيتاً)

# ٢٨

تعرّضت لمزعجات قاسيات، فلم أجد ملجأً ألجأ إليه إلاّ الخلوة بربـي، والسعادة بمناجاته، والذّل في أعتابه، ودعاءه بتضرع وانكسار.

وحضر في تصوري أن يوسف عليه السلام، ما وصل إلى ما وصل إليه من مجد عظيم إلاّ بعد حسدٍ من إخوته، وإلقائهم إياه في الجبّ المظلم الموحش المخيف، وبعد استرقاق، وفتنة من قبل امرأة العزيز، وسجن بتهمة كاذبة.

ومع هذه الخواطر في الخلوة السعيدة، كتبت هذه القصيدة، بعنوان:

**«سعادة القلب في مناجاة الربّ»**

وكان ذلك في ربيع الثاني من سنة **١٣٩٠** هجرية.

# سعادة القلب في مناجاة الرب

أَجَــلُّ سَعَــادَتِي عِلْمٌ وَتَـقْـوىٰ ... لَهَـا مَـا بَيْنَ أَضْـلاَعِي وَجِيبُ[1]
وَخَيْــرُ مَباهِــجِ الـدُّنْيَـا لِنَفْسِي ... مُنَــاجَـاتِي لِمَنْ هُــوَ لِي قَــرِيبُ
إِذَا نَــادَيْـتُ يَـا رَبّي أَجِبْـنِـي ... وَجَــدْتُ اللَّـهَ فِي قَـلْبِي يُجِيبُ
أَأَطْـمَــعُ أَنْ يُـغَـلِّفَـنِـي رِضَــاهُ ... وَذُلِّـي عِـنْـدَهُ عِـنْــدِي حَـبِـيـبُ
أَكُـونُ لَـدَيْــهِ سَـاعَــاتٍ فَـرِيـداً ... إِلَيْــهِ جَمِيــعُ وِجْــدانِي يَـثُــوبُ
أَعِـي أُنْسِـي بِنُــورِ الـلَّـهِ حِيـنـاً ... وَفِـي سُبُـحَــاتِـهِ حِيـنــاً أَغِيــبُ
أُنَــادِيــهِ وَأَدْعُــوهُ بِــذُلٍّ ... فَيَعْــطِفُ بِــالْـعَـطَاءِ وَيَسْـتَجِيبُ
وَيَغْمُــرُنِي الْخُشُـوعُ فَمَــا أُبَالِي ... إِذَا مَــا هِمْتُ أَوْ كَثُــرَ النَّـحِيـبُ
أَأَقْــطَعُ عَنْــهُ أَسْبَــابَ اتِّصَــالِي ... بِـهِ. وَهْـوَ الـرَّحِيمُ بِنَـا الـرَّقِيبُ
وَمَنْ لم يَـتَّصِـلْ بِــاللَّـهِ حِيـنــاً ... فحِيناً فَهْوَ ذُو الْبُؤْسِ الْغَــرِيبُ
فَــلاَ اللَّذَاتُ تُسْعِدُ مِنْـهُ رُوحـاً ... ولاَ الْخِــلُّ الْــوَفِيُّ وَلاَ الْقَــرِيبُ

○ ○ ○

لَئِنْ كَثُــرَتْ ذُنُـوبِـي فِي حَيَــاتِي ... فَـلِي مِنْ عَـفْــوِهِ أَمَــلٌ رَحِيـبُ
مَتَىٰ صَـدَقَ الْمَتَـابُ بِـذُلِّ نَفْسٍ ... غَـدا ذُو الـذَّنْبِ لَيْسَ لَـهُ ذُنُـوبُ
ولِلْإِيــمَــانِ خَــيْــرَاتٌ حِـسَــانٌ ... نَـدِيَّــاتٌ وَإِنْ فُـقِـدَ الـرَّطِيـبُ
وَأَكْــرَمُ مُـسْعِــدٍ يَـحْــوِيــهِ قَلْبٌ ... رِضَــاً يَـغْــذُوهُ إِيـمَــانٌ وَطِـيـبُ
إِذَا بَـصُــرَ الْـفُـؤَادُ بِــمَـنْ بَــرَاهُ ... أَتَـتْــهُ سَعَــادَةٌ لَـيْـسَـتْ تَـغِـيـبُ
وَيَسْعَـدُ ذُو السَّعَـادَةِ حِينَ يَـرْضَىٰ ... وَإِنْ كَثُـرَتْ بِسَـاحَتِـهِ الْخُـطُوبُ

---

(١) الوجيب: الخفقان، ووجيب القلب خفقانه.

يَــرَىٰ الْحِكَمَ الْجَلِيلَةَ مُشْرِقَـاتٍ يُغَـطِّي وَجْهَهَـا الْقَـدَرُ الْعَجِيبُ
أَمَـا أَمْجَادُ يُـوسُفَ شَاهِـدَاتٌ وَكَـانَ طَـرِيقَهَـا الْجُبُّ الـرَّهِيبُ
وَيَشْقَـىٰ مَنْ تُـعَـذِّبُـهُ الْأَمَـانِي وَلَيْس لَـهُ مِنَ التَّقْـوَىٰ نَـصِيبُ
إِذَا هُـوَ لَـمْ يُحَـقِّقْ مَـا تَـمَنَّىٰ كَـوَتْـهُ فِي لَـوَاذِعِهَـا الْكُـرُوب
وَكَمْ تَهْفُـو النُّفُوسُ لِمُغْـرِيَـاتٍ وأَمْتَـعُ مَـا بِهَـا كَـزٌّ جَـدِيـبُ

○ ○ ○

أَمَـانِي النَّفْسِ لَيْسَ لَهَـا حُـدُودٌ وَيَـأْتِي دُونَهَـا الْأَجَـلُ الْقَـرِيبُ
فَيَجْتَثُّ الْـمُنَـىٰ سَيْفُ الْمَنَـايَـا فَيَـطْرَحُهَـا وَيَـنْـطَفِىءُ اللَّهِيبُ
عَـدَا مَنْ جَـازَتِ الـدُّنْيَا مُنَـاهُ إِلَىٰ دَارٍ بِهَـا الْخَيْـرُ الْخَصِـيبُ
إِلَىٰ حَيْثُ الْخُلُودُ بِفَضْـلِ رَبِّي وَحَيْثُ إِلَيْـهِ ذُو التَّـقْـوَىٰ يَـؤُوبُ

مكة المكرمة ــ أواخر شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هجرية (٢٦ بيتاً)

# ٢٩

في موسم حـجّ عام ١٣٩٤ هجرية، وفي ظروف أحداث الأمة الإسلامية القاسيات، ازدحمت خواطر كثيرة حول عبادة الحج، والجهاد في سبيل الله، والأمة الإسلامية المظفرة في غابر عصورها، والمآسي التي نكتوي الآن بنارها، وآمال الخلاص، وشروط الرجعة إلى إيماننا وإسلامنا الصحيح، وتمخّض الشعر فولد هذه القصيدة، بعنوان:

**«نفحات من الموسم العظيم»**

وجاء فيها إلماح لحرب رمضان التي استرجعنا فيها القنال وشيئاً من سيناء من دولة إسرائيل التي استولت عليها في حرب حزيران ١٩٦٧ ميلادية.

وأشير إلى أنني أجريت فيها هنا تعديلات، وحذفت منها بعض الأبيات.

وقد سبق أن أنشدتها في جموع من أعيان الحجاج بمبنى رابطة العالم الإسلامي في منى.

# نفحات من الموسم العظيم

فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وُفُودُ سَادَةٌ مُسْلِمُونَ بِيضٌ وَسُودُ
سَادَةٌ مُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ قَدْ تَسَاوَوْا فَلَيْسَ فِيهِمْ مَسُودُ
أُمَّةٌ مُؤْمِنُونَ سَادُوا جَمِيعاً إِذْ هُمُو فِي رِحَابِ رَبِّي عَبِيدُ
إِخْوَةٌ شَدَّهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ حَبْلٌ هُوَ بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ مَمْدُودُ
كُلُّ قَلْبٍ لِلَّهِ أَسْلَمَ فِيهِ سَبَبٌ مِنْهُ نَاظِمٌ مَعْقُودُ

○ ○ ○

فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ صَلَاةٌ وَطَوَافٌ ومَنْسَكٌ مَحْشُودُ
فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِقَاءٌ أَخَوِيٌّ مُحَبَّبٌ مَحْمُودُ
هَهُنَا مِنْ فُيُوضِ رَحْمَةِ رَبِّي هَاطِلَاتٌ وَمَنْبَعٌ مَوْرُودُ
هَهُنَا الْأَمْنُ. هَهُنَا نَفَحَاتٌ كُبْرَيَاتٌ بِالْمُسْعِدَاتِ تَجُودُ

○ ○ ○

فِي صَعِيدِ الدُّعَاءِ فِي عَرَفَاتٍ رَحْمَةُ اللَّهِ والرِّضَىٰ والْجُودُ
هَهُنَا تُسْكَبُ الدُّمُوعُ بِذُلٍ هَهُنَا يَعْذُبُ الْخُضُوعُ الرَّشِيدُ
لَهَوَاتٌ تَجْأَرْنَ: لَبَّيْكَ رَبِّي أَنْتَ أَنْتَ الْمَدْعُوُّ وَالْمَعْبُودُ

○ ○ ○

فِي سَنَىٰ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِلَيْلٍ طَابَ ذِكْرُ الرَّحْمٰنِ والتَّرْدِيدُ
فِي مَسِيرِ الْحَجِيجِ هَامَتْ قُلُوبٌ وَعُيُونٌ وأَدْمُعٌ وَحُشُودُ

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ ــ والْمُنَىٰ تَزَاحَمْنَ ــ عِيدُ هُوَ لِلْعُمْرِ وَالْمُنَىٰ تَجْدِيدُ

مَنْ أَتَاهَا فِي حَجَّةٍ بَرَّ فِيهَا فَهْوَ مُسْتَأْنِفُ الْحَيَاةِ وَلِيدُ
مُسِحَتْ صَفْحَةُ الْمَعَاصِي لَدَيْهِ وَأَتَىٰ عُمْرُهُ النَّقِيُّ الْجَدِيدُ
فُرْصَةٌ فِي الزَّمَان مَنْ يَهْتَبِلْهَا فَهْوَ فِي الْعُمْرِ غَانِمٌ وسَعِيدُ

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ فَرْحَةُ الْقُلُوبِ الرَّوَاضِي بِرِضَىٰ رَبِّهَا وَفِيهَا الْجُدُودُ[1]

○ ○ ○

الْأَضَاحِي رَمْزُ النُّفُوسِ كِرَاماً وَهْيَ لِلَّهِ بِالْغَوَالِي تَجُودُ
هِيَ طُعْمٌ لِلْبَائِسِينَ. وَفِيهَا رُبَّمَا ازْدَانَ بِالشَّهِيِّ الْعِيدُ
هِيَ طُهْرٌ لِأَنْفُسٍ بَازِلَاتٍ وَهْيَ بِرٌّ ثَوَابُهُ مَمْدُودُ

○ ○ ○

ذَكَّرَتْنِي هٰذِي الْأَضَاحِي بِأُخْرَىٰ ذَاتِ جُودٍ مَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ جُودُ
بِنُفُوسٍ عَلَىٰ الثُّغُورِ اسْتَعَدَّتْ لِلِقَاءٍ بِالرُّوحِ فِيهِ تَجُودُ
كُلُّ أَشْوَاقِهَا بَوَاعِثُ بَأْسٍ لِلِقَاءِ الْعِدَا وَعَزْمٌ شَدِيدُ
قَدْ دَعَاهَا دَاعِي الْجِهَادِ فَلَبَّتْ وَأَرَادَتْ مَا الدِّينُ مِنْهَا يُرِيدُ
لَوْ حَوَتْ فَوْقَ عُمْرِهَا بَذَلَتْهُ فَلَدَيْهَا مِنَ الْعَطَاءِ مَزِيدُ
بَاذِلُ الْعُمْرِ غَايَةَ الْوُسْعِ أَعْطَىٰ وَلِهَذَا فَهْوَ الشَّهِيدُ السَّعِيدُ
يَمْلِكُ الْعَزْمَ لَا يُمَكِّنُ خَصْماً مِنْهُ إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْمُرِيدُ
هُوَ فِي بَأْسِهِ حَرِيصٌ وَلَكِنْ يَطْلُبُ الْمَوْتَ حِينَ يَرْضَىٰ الْمَجِيدُ
مَنْ يَكُنْ يَبْذُلُ الْحَيَاةَ لِيَرْضَىٰ رَبُّهُ عَنْهُ فَالرَّضِيُّ الرَّشِيدُ
تَتَلَقَّاهُ بِالنَّعِيمِ جِنَانٌ وَحِسَانٌ ومُسْعِدٌ وَرَغِيدُ
مَا تَمَنَّىٰ الرُّجْعَىٰ لِيُقْتَلَ أَيْضاً ثُمَّ أَيْضاً إِلَّا السَّعِيدُ الشَّهِيدُ
هُوَ حَيٌّ فِي بَرْزَخٍ لَا نَرَاهُ إِنَّ إِدْرَاكَ حِسِّنَا مَحْدُودُ

---

(١) الْجُدُوْد: جمع مفردُه جَدّ، وهو الحظُّ.

هُـوَ حَيٌّ يَقْتَـاتُ مِنْ ثَـمَـرَاتٍ أَيْنَعَتْ فِي الْجِنَـانِ وَهْيَ حُشُـودُ
نَبَأٌ جَاءَ فِي الكِتَـابِ صَرِيـحٌ صَـدَقَ اللَّهُ رَبُّنَـا الْـمَعْبُـودُ[1]
وأَتَـىٰ شَـرْحُـهُ بِقَـوْلِ رَسُـولٍ هُـوَ فِينَـا الْمُصَـدَّقُ الْمَحْـمُـودُ

○ ○ ○

الشُّجَاعُ الرَّشِيدُ يُصْمِي[2] وَيُنْكِي وَبِقَلْبٍ مِنَ الْحَدِيدِ يَعُـودُ
يَقْـذِفُ الـرُّعْبَ لِلْعَـدُوِّ فَيُـوهِي عَـزْمَـهُ ثُـمَّ يَنْبَـرِي وَيَصِيـدُ
لَيْسَ يَأْتِي إِلَىٰ الرَّدَىٰ دُونَ كَيْدٍ إِنَّـهُ فَـوْقَ كُـلِّ كَيْـدٍ يَكِيـدُ

○ ○ ○

كُلَّمَـا عَـادَ فَيْلَقُ النَّصْـرِ قُلْنَـا: عَـوْدَةُ الْفَيْـلَقِ الْمُـظَفَّـرِ عِيـدُ
هُـوَ مَا نَـرْتَجِيهِ فِي كُلِّ حَرْبٍ نَتَصَـدَّىٰ لَهَا عَلَىٰ مَـا نُـرِيـدُ
كَـفَـلَ اللَّـهُ أَنْ يُـمِـدَّ بِنَـصْـرٍ نَـاصِرِيـهِ إِنْ يَصْـدُقُـوا وَيُجِيـدُوا
لَمْ نُحَارِبْ بِهَدْيِ ذِي الْعَرْشِ إِلاَّ جَـاءَنَـا مِنْـهُ نَصْـرُهُ الْمَـوْعُـودُ
لفظة «اللَّـهِ» وَحْـدَهَـا نَصـرَتْنَـا بَعْضَ نَصْرٍ حَيْثُ الْعَدُوُّ حُشُـودُ
فِي الْقَرِيبِ الْقَرِيب شَاهِدُ صِدْقٍ[3] لَـيْتَنَـا مِنْ زَمَـانِنَـا نَسْتَفِيـدُ
كَيْفَ لَـوْ نَنْصُرُ الْإِلَـهَ بِصِـدْقٍ وَثَبَـاتٍ. وَالكَيْـدُ مِنَّـا شَـدِيـدُ؟!

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ مَنْسَـكٌ عَجِيبٌ وَلَـكِنْ دَلَّ أَنَّ الْإِسْـلَامَ دِيـنٌ سَـدِيـدُ
مَنْسَـكٌ نَـرْجُمُ الشَّيَـاطِينَ فِيـهِ ضَـابِطَاهُ التَّحْـدِيـدُ والتَّسْـدِيـدُ
مِثْلَمَـا نَسْتَعِيـذُ بِـاللَّهِ. نَـرْمِي حَصَيَـاتٍ رَمْـزاً لِمَـا لَا نُـرِيـدُ

---

(١) هو قول الله عزّ وجل في سورة (آل عمران): ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون(١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١٧٠)﴾.

(٢) يُصمي: يَرْمِي فَيَقْتُل من رَماه في مَكانه.

(٣) إشارة إلى حرب رمضان التي استرجعنا فيها قناة السويس من دولة إسرائيل.

وَكِــلاَ الْمَــظْهَــرَيِنِ عَبَّــرَ عَمَّــا ... يَحْتَــوِيــهِ إِيمَــانُنَــا الْـمَحْـمُــودُ
لاَ يَــتِمُّ الْإِيــمَــانُ إِلاَّ بِــأَخْــذٍ ... وَبِــرَدٍّ فَــالْـبَــاطِـلاَتُ رُدُودُ(١)
آمَـنَ الْـمُـؤْمِـنُــونَ بِــاللَّــهِ رَبّــاً ... فَهْــوَ فِيـهِمْ لاَ غَـيْـرُهُ الْمَعْبُــودُ
وَأَحَـبُّــوهُ واسْـتَــذَلُّــوا نُـفُــوســاً ... لِعُــلاَهُ فَهْــوَ الْحَمِيــدُ الْمَجِيــدُ
وَاسْتَـجَــابُــوا لِـهَــدْيِــهِ وَدَعْــوَهْ ... هُــوَ أَنَّىٰ تَــوَجَّهُــوا الْـمَقْـصُــودُ

○ ○ ○

وَالشَّيَــاطِيـنُ قَــادَةُ الشَّــرِّ كُــلٌّ ... مِنْهُمُــو مُفْسِــدٌ وَبَــاغٍ مَــرِيــدُ
هُــمْ عَــدُوٌّ لِلْمُؤْمِنِيـنَ جَمِيـعــاً ... لَيْسَ فِيهِمْ إِلاَّ اللَّعِيـنُ الـطَّرِيــدُ
كَــرِهَ الْـمُـؤْمِـنُــونَ كُــلَّ لَـعِـيـنٍ ... فَــاسْتَعَــاذُوا بِــاللَّـهِ مِمَّــا يَكِيــدُ
فَتَــوَالَىٰ رَجْـمُ الْحَصَىٰ فَتَنَــاهَـىٰ ... عِنْــدَ هَــذَا إِبْعَــادُهُ الْـمَقْـصُــودُ
فَهْــوَ فِعْــلٌ مُـعَبِّــرٌ عَـنْ مَعَــانٍ ... ضَمَّهَــا فِي الشَّهَــادَةِ التَّــوْحِيــدُ

○ ○ ○

فِي مِنىٰ فَــرْحَــةٌ وَأَكْــلٌ وَشُــرْبٌ ... وَمَبِيــتٌ وَمُـلْتَـقـىً فِيــهِ عِيــدُ
فِي مِنَى فَـرْحَـةُ التَّهَــانِي بِنُسْـكٍ ... فِي نَـدَاهُ ابْيَضَّتْ صَحَائِفُ سُودُ

○ ○ ○

يَا أَخِي الْأَسْوَدَ الَّذِي أَنْتَ مِسْكٌ ... فَبَيَــاضُ الْإِسْـلاَمِ فِيــكَ يَسُــودُ
يَــا أَخِي الْأَحْمَرَ الَّـذِي أَنْتَ وَرْدٌ ... فَجَمَــالُ الْإِيمَـانِ فِيـكَ الْحَمِيـدُ
يَا أَخِي الْأَبْيَضَ الَّذِي أَنْت زَهْـرٌ ... لَــوْنُ تَقْـوَاكَ لَــوْنُـكَ الْمَحْمُــودُ
يَا أَخِي الْأَصْفَرَ الَّذِي أَنْتَ شَمْسٌ ... نُــورُ إِيمَـانِـكَ السَّنَىٰ الْمَمْــدُودُ
يَــا أَخِي الْأَسْمَرَ الَّـذِي أَنْتَ طَوْدٌ ... لَـكَ مِنْ دِينِكَ الْمَقَامُ الْـوَطِيــدُ
أَنْـتَ إِنْ تَنْـصُــرِ الْإِلَــهَ بِصِــدْقٍ ... وَثَبَــاتٍ عَنَتْ إِلَيْــكَ الـصِّيــدُ
أَنْتَ أَنَّىٰ أَقَمْتَ فِي أَرْضِ رَبِّي ... صِنْــوُ نَفْسِي النَّصِيــرُ والْمَــوْدُودُ
كُــلُّ فَــرْعٍ لَنَــا عَلَىٰ أَيِّ أَرْضٍ ... هُــوَ فَــرْعٌ مَــعَ اتِّصَــالٍ مَـدِيـدُ

---

(١) رُدود: أي مردودة. من استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، كقول الرسول ﷺ: «كلُّ ما ليس عليه أمرنا فهو رَدّ» أي: مردود.

أَصْلُنَــا غَـرْسَــةُ السَّمَـاءِ وَسُقْيَـا ... ذَلِـكَ الْغَرْسِ دِينُ رَبِّي الْفَـرِيـدُ
جَـمَـعَ اللَّـهُ بَيْنَنَـا فِي إِخَـاءٍ ... نَحْنُ جِسْمٌ لَمْ تَحْتَبِسْـهُ حُـدُودُ
نَحْنُ طَـوْدٌ مِنَ التَّـآخِي رَفِيـعٌ ... رَاسِخُ الْأَصْلِ مُثْمِـرٌ وَشَـدِيـدُ
مَنْ يُـرِدْهُ بِـالسُّـوءِ ظُلْمـاً وَبَغْيـاً ... فَـسَيَـرْتَـدُّ قَـرْنُـهُ مَـحْـصُـودُ
مِشْعَـلُ النُّورِ فِي يَـدَيْنَـا كِتَـابٌ ... هُـوَ فِي أَرْضِنَـا الكِتَـابُ الْمَجِيـدُ
رَاوَدَتْـهُ بِـالنَّفْـخِ أَفْـوَاهُ مَكْـرٍ ... خَـائِبَـاتٌ أَصْـحَـابُـهُـنَّ قُـرُودُ

○ ○ ○

فِي مِنًى نَسْتَعِيـدُ ذِكْـرَىٰ لِقَـاءٍ ... أَمْرُهُ ـ مَا مَضَىٰ الزَّمَانُ ـ جَدِيدُ
دَوْلَـةُ الْحَقّ فِي مِنًـى أَسَّسَتْهَـا ... بَيْعَـةُ النَّصْـرِ، وَالْحُشُـودُ رُقُـودُ
بَيْعَــةُ النَّصْـرِ بَيْعَـةٌ شَـهِـدَتْهَـا ... وَهْـدَةٌ فِي مِنًىٰ جَـلَاهَـا الْخُلُودُ
بَـيْعَـةٌ أَسَّـسَـتْ وَزَادَتْ نَـدَاهَـا ... عَنْ مَـدَاهَـا وَالْخَيْـرُ نَـامٍ يَـزِيـدُ
بَيْعَـةُ الْمُصْـطَفَىٰ وَيَثْـرِبَ تَمَّتْ ... فِي مِنًىٰ فَـاسْتَقَـامَ أَمْـرٌ رَشِيـدُ
وُلِـدَ النَّصْـرُ بَـعْـدَهَـا وَفُتُـوحٌ ... وَتَـوَالَتْ إِلَىٰ الـضِّيَـاءِ الْـوُفُـودُ
أُسِّسَتْ دَوْلَـةُ الكِتَـابِ لِـتَـرْعَىٰ ... بِـاسْمِ رَبِّ الْعِبَـادِ وَهْـوَ شَهِيـدُ
فَـإِذَا الـدَّوْلَـةُ الْـفَـتِـيَّـةُ طَـوْدٌ ... شَـامِـخُ الْـمَجْـدِ ظِـلُّهُ مِمْـدُودُ
ظِلُّهُ امْتَـدَّ فِي الْعَـوَاصِمِ حَتَّـىٰ ... نَـاطَحَ الْمَشْـرِقَيْنِ وَهْـوَ وَطِيـدُ
وَسُفُـوحٌ لَـهُ تَـطَاوَلْنَ شَـرْقـاً ... ثُـمَّ غَـرْبـاً وَبِـالْعَـطَاءِ تَـزِيـدُ
ثُمَّ زَادَتْ فَالسَّفْحُ فِي الْأَمْسِ طَوْدٌ ... فِي ضُحَىٰ الْيَوْمِ وَالْمَزِيـدُ مَزِيـدُ
وَمَشَىٰ نُـورُ دَوْلَـةِ الْحَقِ يَهْـدِي ... فَـإِذَا الْأَرْضُ جُـلُّهَـا تَـوْحِيـدُ

○ ○ ○

مُبْتَـدا الـنَّصْـرِ بَـيْعَـتَـانِ وَلَكِـنْ ... خَبَـرُ الْمُبْتَـدا شُـمُـوخٌ فَـرِيـدُ
إِنْ كَبَـوْنَـا بِتَـرْكِ نَهْجِ عُـلَانَـا ... لَـمْ يَـفُـتْنَـا تَـوَثُّـبٌ وَصُـعُـودُ

**مكة المكرمة في ذي الحجة ١٣٩٤ هجرية** ... **(٩٠ بيتاً)**

# ٣٠

بدأ كثير من شبابنا وشيوخنا وكهولنا يردّدون كلمات تشعر بوصولهم إلى مرحلة اليأس من الخلاص بعد توالي النكبات، وتراكم الخائبات من الآمال، وضياع الأعمال التي كانت مناط الرجاء.

وغفل هؤلاء اليائسون عن السبب الحقيقي لذلك كلّه، وهو أننا لم نسلك بَعْدُ طريق الخلاص، ولم نأخذ بالأسباب الصحيحة للنجاة مما نحن فيه، فطريق الخلاص هو عودتنا لمنهج كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ، والأسباب الصحيحة للنجاة هي اتباع سنن الله التكوينية في الخلق، وسنن الله التشريعية في الدين.

ورأيت أن خطبنا بحلول اليأس في كثير من أمتنا هو أجلّ الخطوب وأكبرها، وفي التعبير عن ذلك كتبت هذه القصيدة بعنوان:

**«اليأس أكبر خطوب الشعوب»**

# اليأسُ أكبر خطوب الشعوب

لَا تَسَلْنِي عَنْ هُمُومِي لَاتَسَلْ
لَا تَقُلْ لي: أَيُّ شَيْءٍ قَدْ حَصَلْ؟
مِنْ صُرُوفٍ فَوْقَ مَا قَدْ يُحْتَمَلْ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلْ؟
أَيُّ خَطْبٍ هُوَ فِي الدَّهْرِ جَلَلْ؟
وَابِلٌ مِنْهُ تَوالَىٰ بَعْدَ طَلّ
فِي بِلَادِ الشَّمْسِ والْخُضْرَةِ حَلّ
فِي بِلَادِي نَبْعِ أَمْجَادِي الْأُوَلْ
حَيْثُ مَثْوَىٰ كُلِّ نَجْمٍ وبَطَلْ
قَلْعَةِ الْقُرآنِ وَالدِّينِ الْأَجَلّ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلْ
فِي دِيَارِي وَبِقَوْمِي لَا تَقُلْ
فِي رُبُوعِي. حَيْثُ سَهْلٌ وَجَبَلْ
حَيْثُ مَاءٌ. حَيْثُ شَمْسٌ. حَيْثُ ظِلّ
حَيْثُ ظَبْيٌ. حَيْثُ صَقْرٌ وَجَمَلْ
حَيْثُ بُنْيَانٌ عَلَا. حَيْثُ طَلَلْ

حَيْثُ قَصْرٌ وَصَنَادِيدُ تُجَلّ[1]
حَيْثُ سُوقٌ وَصَعَالِيكُ تُذَلّ
فِي الْخَبَايَا. فِي الرَّوَابِي، فِي الْقُلَلْ
أَيْنَ تَلْقَىٰ مَسْجِداً. أَنَّىٰ تُطِلّ
حَيْثُ تَلْقَىٰ بَشَراً. حَيْثُ تَحِلّ
أَيْنَ يَمَّمْتَ إلَىٰ أَقْصَىٰ مَحَلّ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: كَمْ عُثُورٍ. كَمْ زَلَلْ
كَمْ هُبُوطٍ. كَمْ سُقُوطٍ. كَمْ خَطَلْ
كَمْ تَرَىٰ مِنْ خَيْبَةٍ بَعْدَ عَمَلْ
كَمْ تَرَىٰ مِنْ نَكْسَةٍ بَعْدَ أَمَلْ
وَلَكَمْ نَجْمٍ رَجَوْنَا فَأَفَلْ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: مَا بِقَوْمِي مِنْ عِلَلْ
مَا بِتَرْكِيبِ بِلَادِي مِنْ خَلَلْ
وَفُلَانٌ فِي الْخَبَايَا كَمْ فَعَلْ
كَمْ خَبِيثٍ مُفْسِدٍ فِينَا أَضَلّ
وَفُلَانٌ عَنْ حِمَى الدَّارِ ارتَحَلْ
وَفُلَانٌ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ ضَلّ
وَزَعِيمٌ كَمْ تَجَنَّىٰ وأَخَلّ
وَزَعِيمٌ فِي يَدَيْهِ أَلْفُ غُلّ
وَرَئِيسٌ كَمْ تَعَدَّىٰ وَقَتَلْ
وَرَعَانَا الذِّئْبُ فِي جِلْدِ حَمَلْ

(١) الصنديد: السيد الشجاع.

وَأَتَىٰ الْخَائِنُ فِي ثَوْبِ بَطَلْ
وَأَصَابَ النَّاسَ مِنْ كَدٍّ كَلَلْ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: كُلُّ هَذا قَدْ حَصَلْ
فَجَوَابِي لَكَ عَنْ هَذَا: أَجَلْ
بَيْدَ أَنَّ الْخَطْبَ أَدْهَىٰ وأَجَلّ
كُلُّ خَطْبٍ وَلَوِ اشْتَدَّ وَجَلّ
رُبَّمَا هَانَ وَمَا اجْتَثَّ الْأَمَلْ
وَلَهُ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ حَلّ
غَيْرَ خَطْبِ الْيَأْسِ إِنْ حَلَّ قَتَلْ
وَفَرَىٰ الْعَزْمَ وَأَرْدَىٰ وَأَذَلّ
شَرُّ مَا فِي الْخَطْبِ أَنَّ الْيَأْسَ حَلّ
فَدَهَىٰ النَّاسَ مِنَ الْيَأْسِ شَلَلْ
وَرُكُودٌ وَذُهُولٌ وَخَبَلْ

○ ○ ○

سَبَبُ النَّكْبَةِ يَا مَنْ قَدْ عَقَلْ
أَنَّ دِينَ اللَّهِ عُودِيَ وَعُزِلْ
وَفَتَاهُ الصِّدْقَ أُقْصِيَ أَوْ قُتِلْ
وَغَدَا الْإِسْلَامُ رَسْماً دُوْنَ ظِلّ
وَكَلَاماً مَا لَهُ فِينَا عَمَلْ
هَذِهِ النَّكْبَةُ والْخَطْبُ الْجَلَلْ

○ ○ ○

وَمَتَىٰ عُدْنَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ هَلّ

قَـمَـرُ الْبُـشْـرَىٰ بِتَـحْقِـيـقِ الْأَمَـلْ
وَظَـلَامُ الْـيَـأْسِ وَلَّـىٰ وَارْتَـحَـلْ
وَأَتَـىٰ الْـغَـيْـثُ بِـخَـيْـرٍ وَهَـمَـلْ
وأتـىٰ الـنَّـصْـرُ بِـبَـذْلٍ وَعَـمَـلْ
وَأَتَـىٰ رِضْـوَانُ ذِي الْـعَـرْشِ الْأَجَـلّ
واسْـتَـعَـدْنَـا مَـجْـدَنَـا فَـوْقَ الْـقُـلَلْ

مكة المكرمة في ربيع الثاني سنة ١٣٩٨ هجرية (٦٣ بيتاً)

# ٣١

دعيت إلى المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الذي دعت إليه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حرسها الله، والذي انعقد بعد تأجيل موعده الأول، خلال المدة من يوم الثامن والعشرين إلى الثلاثين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٤ هجرية، وقد أعددت له بحث «الأمة الربانية الواحدة» إذ كان الموضوع الأكبر لهذا المؤتمر بحث «التضامن الإسلامي»، وهذا البحث نشرته في كتاب مستقل.

وفي اليوم الأول من أيام انعقاد المؤتمر المذكور نظمت هذه القصيدة، بعنوان

**«الأمة الإسلامية الواحدة»**

وكان لي رغبة في أن أجد فرصة لإلقائها في المؤتمر، لكنّ هذه الفرصة لم تتيسر، وهذه هي مع بعض التعديلات.

## الأمة الإسلامية الواحدة

سَائِلِي عَنْ أُمَّتِي أُمَّتِي خَيْرُ الْأُمَمْ
كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ صِدْقاً هُوَ مِنْهَا لَا جَرَمْ
أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمْ
هِيَ كَالْأَنْجُمِ فَوْقَ الْأَرْضِ بَثٌّ مُنْتَظِمْ
فَنِظَامُ الدِّينِ والدُّنْيا بِهَا ضَمَّ وعَمّ

○ ○ ○

أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمْ
عِقْدُهَا ـ ما امْتَدَّ فَوْقَ الْأَرْضِ ـ عِقْدُ مُلْتَئِمْ
مَا تَرَامَىٰ مِنْهُ فِي نَائِي بِلَادٍ. أَوْ فُصِمْ
فَهْوَ مَوْصُولٌ بِعِرْقٍ جِذْرُهُ قَلْبُ الْحَرَمْ
وَلَهُ فِي الكَعْبَةِ الْغَرَّاء أَزْكَىٰ مُلْتَزَمْ

○ ○ ○

أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمْ
ذَاتُ دُسْتُورٍ بِهِ أَهْدَىٰ الْهُدَىٰ أَسْمَىٰ الْكَلِمْ
هُوَ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ بِهِ الْخَيْرُ الْأَعَمّ
هُوَ حَبْلٌ. مَنْ بِهِ اسْتَمْسَكَ. بِاللَّهِ اعْتَصَمْ
ذاتُ دِينٍ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ عُرْبٍ وَعَجَمْ
لَمْ يُفَضِّلْ بَيْنَ أَعْرَاقٍ وَأَلْوَانِ النَّسَمْ
كُلُّهُمْ فِي مَصْدَرِ الْخَلْقِ سَوَاءٌ فِي الْقِيَمْ

وَسَــوَاءٌ فِــي انْـتِـمَــاءٍ وَسَــوَاءٌ فِــي الــذِّمَــمْ
وَمَــجَــالُ الــسَّــبْــقِ بِــالــتَّــقْــوَىٰ وَمَــبْــذُولِ الْــهِــمَــمْ
كُــلُّهُــمْ مِــنْ آدَمٍ وَالْــجِــسْــمُ مِــنْ لَــحْــمٍ وَدَمْ
أَصْــلُهُ الْأَرْضُ وَيَــنْــحَــلُّ لَــهَــا بَــعْــدَ الــرِّمَــمْ[1]

○ ○ ○

دِيــنُــهَــا الْإِسْــلَامُ لِــلْخَــالِــقِ رَحْــمَــانِ الْأُمَــمْ
مَــنْ إِلَــيْــهِ الْــخَــلْقُ فِــي أَكْــوَانِــهِ مُــنْــذُ الْــقِــدَمْ
هُــوَ رَبٌّ خَــالِــقٌ يَــخْــلُقُ مِــنْ بَــحْــرِ الْــعَــدَمْ
فَــلَهُ الْأَمْــرُ جَــمِــيــعــاً وَهُــوَ ذُو الْفَضْــلِ الأَعَــمّ
فَــمَــنِ اسْــتَــعْــصَــمَ بِــالــلَّــهِ بِــتَــقْــوَاهُ الْــتَــزَمْ
مَــلَكَ الْــعَــيْــشَ رَضِــيــاً وَخُــلُوداً فِــي الــنِّــعَــمْ
وَمَــنِ اسْــتَــكْــبَــرَ عَــنْ طَــاعَــتِــهِ بَــاءَ بِــذَمّ
عَــاشَ فِــي دُنْــيَــاهُ لَا يَــخْــرُجُ مِــنْ هَــمٍّ وَغَــمّ
وَهْــوَ فِي الْأُخْــرَىٰ شَقِيٌّ بِــهَــوَانٍ وَأَلَــمْ

○ ○ ○

أُمَّــتِــي مَــبْــدَؤُهَــا الْــحَــقُّ وَتَــحْــطِــيــمُ الــصَّــنَــمْ
أُمَّــةٌ تَــحْــمِــي الْــهُــدَىٰ أُمَّــةٌ تَــرْعَــىٰ الــذِّمَــمْ
أُمَّــةٌ مَــنْــهَــجُــهَــا الْــعَــدْلُ وَقُــدْسِــيُّ الْــقِــيَــمْ

○ ○ ○

أُمَّــتِــي الآلَــةُ فِــيــهَــا سَــيْــفُ عَــدْلٍ وَقَــلَمْ
وَأَخِــي فِــيــهَــا أَخِــي الْــمُــسْــلِمُ مَــا شَطَّ[2] الــرَّحِــمْ

○ ○ ○

(١) الرِّمم: جمع مفرده «رِمّة» وهي العظام البالية.
(٢) شَطَّ: بَعُد.

أُمَّتِي فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْتُمو خَيْرُ الْأُمَمْ
فَاجْمَعُوا أَشْتَاتَ أَنْهَارِكُمُو فِي غَمْرِ يَمّ
تَنْشُرُوا الْخَيْرَ الأَعَمّ تَبْلُغُوا الْعِزَّ الْأَشَمّ
وَتَكُونُوا سَادَةَ الدُّنْيَا وفُرْسَانَ الْقِمَمْ

المدينة المنورة في ٢٨/٣/١٤٠٤ هجرية (٣٩ بيتاً)

# ٣٢

هذه القصيدة تعالج تمزّق الأمة الإسلامية إلى أجـزاء شتّى فكريـة، وعنصرية، وإقليمية، وغيرها، وتشير إلى بعض أسباب هذا التمزّق، وهي الأسباب التي ولّدها في هذه الأمة كيد أعدائها من الغرب والشرق.

وكنت نشرتها في جريدة «أخبار العالم الإسلامي» التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» في عددها (٣٨٤) الصادر في يوم الاثنين غرّة رجب ١٣٩٦ هجرية بعنوان:

«قصة مأساة أمتي»

وفي بيان هذه القصة دعوة إلى استبصار مكايد الأعداء، ومعرفة بعض أسباب الداء، وتوجيه للأخذ بأسباب العودة إلى وحدة الأمة الإسلاميـة، واستعادة مركز القيادات والسيادة في العالم، واغتنام مرضاة الله.

وهذه هي مع بعض إضافات.

## قِصَّةُ مأسَاةِ أُمَّتي

أُمَّتِي كَـانَـتْ عَـلِيَّـةْ وَعَلَىٰ الْبَـاغِي عَـصِيَّـةْ
عَـالَـمِـي كَـانَ سَـمَـاءً وَنُـجُـومـاً دُرِيَّـةْ
عَـالَـمِي كَـانَ جِـنَـانـاً وَشُـعُـوبـاً مَـدَنِـيَّـةْ
وَحُصُـونَـاً وَقِـلاَعـاً وَبِـلاَدَاً حَـضَـرِيَّـةْ
عَـالَـمِـي كَـانَ كَـمَـا يَـكْـرَهُ أَعْـدَاءُ الْـبَـرِيَّـةْ
عَـالَـمِي كَـانَ عُـلُومـاً وَعِـبَـادَاتٍ سَـنِـيَّـةْ
وقُـصُـوراً شَـامِـخَـاتٍ وَعَـطَاءَاتٍ سَـخِـيَّـةْ

○ ○ ○

أُمَّـتِي فِـي عَـصْـرِهَـا الْـحَـاضِـرِ قَـدْ عَـاشَـتْ غَـبِـيَّـةْ
وَهْـيَ فِـي أَفْـرَادِهَـا الأَشْـتَـاتِ أَشْـتَـاتٌ ذَكِـيَّـةْ
إِنَّـهَـا لَـمْ تَـنْـعَـدِمْ مِـنْـهَـا أُصُـولُ الْـعَـبْـقَـرِيَّـةْ
غَـيْـرَ أَنَّ الإِثْـمَ والـتَّـشْـتِـيـتَ أَسْـبَـابُ الْـبَـلِيَّـةْ

○ ○ ○

أُمَّـتِي مِـنْ بَـعْـدِ طُـولِ الـنَّـوْمِ صَـارَتْ غَـفْـلَوِيَّـةْ(١)
صَـدَّقَـتْ كُـلَّ خِـدَاعٍ مِـنْ غَـوِيٍّ وَغَـوِيَّـةْ
صَـدَّقَـتْ مَـا قَـالَـهُ الـذِّئْـبُ لَـهَـا وَهْـيَ عَـلِيَّـةْ

---

(١) غَفْلويّة: أي منسوبة إلى الغفلة، وعدم استبصار أعدائها.

فَـاسْـتَـكَـانَـتْ لِـخِـدَاعِ الـذِّئْـبِ مِـنْ غَـيْـرَ رَوِيَّـةْ
نَـزَلَـتْ مِـنْ حِـصْـنِـهَـا الْـعَـالِـي إلَـى أَرْضٍ دَنِـيَّـةْ
لِـتَـرَىٰ مَـاذَا لَـدَىٰ الـنَّـا صِـحِ مِـنْ دُنْـيَـا هَـنِـيَّـةْ

○ ○ ○

تَـرَكَـتْ أَبْـوَابَـهُ مَـفْـتُـوحَـةُ حَـتَّـى الْـعَـشِـيَّـةْ
فَـلَـهَـتْ فِـي سَـاحَـةِ الـذِّئْـبِ سُـوَيْـعَـاتٍ طَـرِيَّـةْ

○ ○ ○

ثُـمَّ جَـاءَ الـذِّئْـبُ فَـانْـقَـضَّ بِـأَنْـيَـابٍ قَـوِيَّـةْ
وَرَأَىٰ إسْـلَامَـهَـا سِـرَّ قُـوَاهَـا الْأَبَـدِيَّـةْ
وَكِـتَـابَ الـلَّـهِ يَـهْـدِيـهَـا بِـرُوحٍ أَزَلِـيَّـةْ
وَرَآهَـا أُمَّـةً واحِـدَةً لَا عُـنْـصُـرِيَّـةْ
عَـقَـدَ الـدِّيـنُ عُـرَاهَـا فَـالْـتَـقَـتْ فِـي الْـعَـالَـمِـيَّـةْ
بِـصِـلَاتٍ عَـقَـدِيَّـةْ وَصِـلَاتٍ أَخَـوِيَّـةْ
شَـدَّهَـا الـلَّـهُ إلَـيْـهِ وَرَعَـاهَـا فِـي الْـبَـرِيَّـةْ
وَحَـمَـاهَـا مِـنْ أَعَـادِيـهَـا قُـرُونـاً ذَهَـبِـيَّـةْ
وَحَـبَـاهَـا الـنَّـصْـرَ والـتَّـأْيِـيـدَ مُـذْ كَـانَـتْ فَـتِـيَّـةْ

○ ○ ○

نَـظَـرَ الـذِّئْـبُ إلَـيْـهَـا وَتَـمَـادَىٰ فِـي الـرَّوِيَّـةْ
أَمْـعَـنَ الْـفِـكْـرَ تَـقَـصَّـىٰ كُـلَّ أَطْـرَافِ الْـقَـضِـيَّـةْ

○ ○ ○

كَـيْـفَ يَـنْـقَـضُّ عَـلَـيْـهَـا؟ كَـيْـفَ يَـرْمِـيـهَـا ضَـحِـيَّـةْ؟
كَـيْـفَ تُـمْـسِـي بِـخَـبِـيـثِ الْـمَـكْـرِ لُـقْـمَـاتٍ هَـنِـيَّـةْ؟

○ ○ ○

فَـرَأَىٰ تَـقْـسِـيـمَ أَوْصَـا لِ لَـهَـا بِـالْـجَـاهِـلِـيَّـةْ

فَغَذَا أَوْصَالَهَا الكُبْرَىٰ بِأَرْجَاسِ الْحَمِيَّةْ
وَرَمَىٰ أَقْوامَها الْكُثْرَ بِدَاءِ الْعَصَبِيَّةْ
وَبِأَفْكَارٍ زُيُوفٍ مُحْدَثَاتٍ زُخْرُفِيَّةْ
وَبِأَنْوَاعٍ مِنَ الْفُرْقَةِ. قَالُوا: عَقَدِيَّةْ

○ ○ ○

أَنْتِ طُورَانِيَّةُ الأَصْلِ. وَأَنْتِ عَرَبِيَّةْ
أَنْتِ ذَاتُ الْمَحْتِدِ الأَسْمَىٰ وَذَاتُ الْعَبْقَرِيَّةْ
أَنْتِ إِفْرِيقِيَّةُ الأَعْرَاقِ. أَنْتِ بَرْبَرِيَّةْ
أَنْتِ مِنْ أَعْرَاقِ آرا مٍ.. وَأَنْتِ كِسْرَوِيَّةْ
أَنْتِ ذَاتُ الْمَجْدِ فِي التَّا رِيخِ أَنْتِ فَارِسِيَّةْ
أَنْتِ ذَاتُ الْبَأْسِ مِنْ كُرْ دٍ. وَأَنْتِ شَرْكَسِيَّةْ
أَنْتِ تَاجُ الْهِنْدِ يَرْعَا كِ بِأَمْجَادٍ غَنِيَّةْ

○ ○ ○

بَقِيَ الحِصْنُ ولا حُرَّاسَ يَحْمُونَ الرَّعِيَّةْ

○ ○ ○

دَاهَمَ اللَّيْلُ.. وَجَاءَ الذِّئْبُ كَيْ يَفْرِي فَرِيَّةْ[1]
دَخَلَ الحِصْنَ بِمَكْرٍ وَبِأَحْقَادٍ خَفِيَّةْ
وَسَعَىٰ فِيهِ فَسَاداً هَادِماً كُلَّ بَنِيَّةْ
هَكَذَا أَوْصَاهُ أَجْدَا دُ لَهُ يَوْمَ الْبَلِيَّةْ
يَوْمَ رَدَّتْهُمْ سُيُوفُ الْحَقِّ ذُؤبَاناً[2] شَقِيَّةْ
يَوْمَ جَاءُونَا وُحُوشاً بِجُيُوشٍ هَمَجِيَّةْ

○ ○ ○

---

(١) يَفري فَرية: يَصنع الأعمال الخطيرة العجيبة، ويأتي بافتراءاته.

(٢) ذؤباناً: الذُّؤبان: اللصوص والصَّعاليك.

تَـابَـعَ الـذِّئْبُ بِـمَـكْـرٍ ثَـعْـلَـبِيٍّ وأَذِيَّـةْ

○ ○ ○

عَـادَ لِـلأَوْصَـالِ يَـفْـرِيـهَـا لِأَجْـزَاءٍ ضَـنِـيَّـةْ[٣]

○ ○ ○

أَنْـتِ فِـرْعَـوْنِـيَّـةُ الأَصْـلِ وَذَاتُ الأَقْـدَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ أُمُّ الأَرْضِ فِـي الـتَّـارِيـخِ عُـظْـمَـىٰ هَـرَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ تَـاجُ الـشَّـرْقِ سُـورِيَّـةُ كُـبْـرَىٰ أَلْـمَـعِـيَّـةْ
أَنْـتِ فَـخْـرُ الـشَّـرْقِ يَـا شَـامُ. وَأَنْـتِ فِـينِـيـقِـيَّـةْ
أَنْـتِ أَصْـلُ الْـعَـرَبِ الأَقْـحَـاحُ أَنْـتِ يَـمَـنِـيَّـةْ
أَنْـتِ آرَامِـيَّـةُ الأَعْـرَاقِ عُـلْـيَـا وَقَـوِيَّـةْ
أَنْـتِ ذَاتُ الْـبَـأْسِ والـشِّـدَّةِ وَالـنَّـفْـسِ الأَبِـيَّـةْ
أَنْـتِ لِـيـبِـيَّـةُ عِـرْقٍ أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ تُـونُـسِـيَّـةْ
أَنْـتِ ذَاتُ الْـعِـلْـمِ والأَمْـجَـادِ فُـضْـلَىٰ مَـغْـرِبِـيَّـةْ
أَنْـتِ مِـنْ أَعْـرَاقِ نَـجْـدٍ أَنْـتِ عُـلْـيَـا قُـرَشِـيَّـةْ
أَنْـتِ بَـحْـرَانِـيَّـةُ الْـعِـرْ قِ. وأَنْـتِ قَـطَـرِيَّـةْ
أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ مِـنْ عُـمَـانٍ أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ حَـضْـرَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ بَـدَوِيَّـةْ أَنْـتِ عُـظْـمَـىٰ حَـضَـرِيَّـةْ

○ ○ ○

أَنْـتِ إِلْـحَـادِيَّـةُ الْـفِـكْـرِ. وَأَنْـتِ اشْـتِـرَاكِـيَّـةْ
أَنْـتِ سِـيـرِي لِـيَـمِـيـنٍ أَنْـتِ سِـيـرِي يُـسْـرَوِيَّـةْ
أَنْـتِ قُـومِـي بِـانْـفِـصَـالٍ أَنْـتِ كُـونِـي وَحْـدَوِيَّـةْ
أَنْـتِ فِـي الـسَّـلْـبِ تَـمَـادَيْ أَنْـتِ زِيـدِي فِـي الْـعَـطِـيَّـةْ

---

(٣) ضنية: أي مريضة.

أَنْتِ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ احْكُمِي والْعُنْجُهِيَّةْ[1]
أَنْتِ مِنْ أَجْلِ رَخَاءِ الشَّعْبِ كُونِي فَوْضَوِيَّةْ
لَا يَكُنْ فِيكُمْ تَقِيٌّ كَيْفَ كُنْتُمْ أَوْ تَقِيَّةْ
لَا تَكُونُوا أُمَّةً مُسْلِمَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةْ
ثُمَّ كُونُوا بَعْدَهَا أَيَّ وُحُوشٍ بَشَرِيَّةْ

○ ○ ○

ضَحِكَ الْبَاغِي عَلَيْهَا بِأَخَادِيعَ ذَكِيَّةْ
فَاسْتَجَابَتْ بِغَبَاءٍ عَمَلَ الشَّاةِ الضَّحِيَّةْ
سَاقَهَا الْجَزَّارُ لِلذَّبْحِ إِلَىٰ أَرْضٍ قَصِيَّةْ
وَشَقِيقَاتٌ لَهَا أَمْسَيْنَ لِلْبَاغِي مَطِيَّةْ
وَلَدَىٰ الْمَذْبَحِ نَادَىٰ لِلْمَطَايَا هَيَّا. هَيَّهْ
فَالْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ فِي حَرْبٍ غَبِيٌّ وَغَبِيَّةْ
وارْتَمَىٰ حَشْدُ الضَّحَايَا مِنْ أَيَادٍ أَخَوِيَّةْ
وَغَدَتْ أَشْلَاؤُهَا تَمْضَغُ آلَامَ الْمَنِيَّةْ

○ ○ ○

وَقَفَ الْبَاغِي يُنَادِي الْقَوْمَ: هَلْ ثَمَّ بَقِيَّةْ؟
أَنْتُمُو الْأَعْدَاءُ لَا غَيْرُكُمُو: هَيَّا إِلَيَّهْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُ مِنْكُمْ أَيَّ دَاعٍ لِقَضِيَّةْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُ فِي أَرْضِكُمُو أَرْضاً غَنِيَّةْ
سَوْفَ لَا أُبْقِي لِأَحْفَادِكُمُو فُرْشاً طَرِيَّةْ
أَوْ بَسَاتِينَ وأَنْهَاراً وَآبَاراً ثَرِيَّةْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُكُمْ إِلَّا شَقِيّاً وَشَقِيَّةْ

---

(١) العُنْجهيّة: الكبر والعظمة، والجهلُ والحمق.

سَــوْفَ أَرْضَــاكُمْ عَبِيــدِي إِنْ رَضِيتُـمْ بِـالـدَّنِيَّـةْ
أَوْ فَمُــوتُـوا وَاتْــرُكُـوا لِي كُــلَّ خَــيْــرَاتِ الْبَــرِيَّــةْ

○ ○ ○

هــذِهِ رُوحُ الْــقَــضِــيَّــةْ نَحْنُ - وَاللَّهِ - الضَّحِيَّةْ
هَـلْ وَعَيْنَـا؟. هَــلْ رَأَيْنَـا؟ هَــلْ سَنَصْحُــو لِلْبَـلِيَّــةْ؟
هَــلْ سَيَـأْتِينَا رَشِيــدُ الْـفِـعْـلِ ذُو نَـفْسٍ أَبِـيَّــةْ
زَانَــهُ الْإِيــمَــانُ بِـالــلَّـهِ وَأَخْــلاَقٌ زَكِــيَّــةْ
قَــائِــدٌ يُــرْجِــعُ مَـجْـدَ الْأُمَّــةِ الْـكُـبْـرَى الْـعَــلِيَّــةْ
بِــكِــتَــابِ الــلَّـهِ والــسُّــنَّــةِ وَالْأَيْــدِي الْـقَــوِيَّــةْ
بِـجُـيُــوشٍ تَــهْــزِمُ الْبَــا غِي وَتَـسْقِيــهِ الْـمَـنِـيَّــةْ
هَـلْ؟؟ نَعَمْ فَـالصُّبْــحُ آتٍ والْــبَــلاَيَــا زَمَــنِــيَّــةْ

مكة المكرمة في شهر جمادى الثانية ١٣٩٦ هجرية (١٠٠ بيت)

في أوّل شهر محرم من سنة (١٤٠٠هـ) احتلّ الحرم المكّيّ مجموعة مسلحة، كانت قد أعدت عدتها، ودبّرت مؤامرتها للقيام بفتنة أو ثورة ضد حكم المملكة العربية السعودية، تنطلق من الحرم المكّيّ الشريف، وكانت قد سربت ما تحتاج إليه من أسلحة وذخيرة وغذاء خفية إلى داخل الحرم، وأخفتها في غرف طابق القبو المسماة «خلاوي» أي: لخلوة المتعبدين المعتكفين في الحرم، من ذوي العلم والفضل.

وكان لهذه الحركة ذيول وجذور، ورأى المخططون لها من أعداء الإسلام استغلال الدين لتحريكها وإثارتها، فاستغلوا بعض الناقمين من متدينين حقّاً، واستغلوا حاقدين ممن لهم مطامع بالحكم والسلطان، وأغراراً كثيرين، وجنّدوهم ليستخدموهم وقوداً.

وصلّى إمام الحرم المكي بالناس صلاة الفجر، وفيهم وافدون كثيرون للحج، لم ينصرفوا بعد إلى بلدانهم، وقام الثائرون فاستلم بعضهم جهاز الإذاعة، ليذيع خطاب الثورة، وأسرع أكثرهم إلى أبواب الحرم لإقفالها، واحتجاز الناس رهائن داخل الحرم، ثم رأى الثائرون أن يفرجوا عن الوافدين من الحجاج والوافدات، وأن يحتفظوا بالسعوديين والمقيمين في المملكة للعمل، وكان بين المحتجزين نساء وفتيات.

وتوزع الثائرون داخل الحرم الذي هو بمثابة قلعة محصنة لا نظير لها، وصاروا يتصيّدون برصاص بنادقهم من النوافذ والمآذن كل من يشاهدونه خارج الحرم من جنود وعساكر ورجال أمن وغيرهم.

وقتل على أيديهم خلق كثير، واستمرت فتنتهم أكثر من أسبوعين، وهم محتلون الحرم المكي، وينتظرون قيام الثورة العارمة في كل أنحاء البلاد.

وأَطلَقُوا مزاعم، زعموا فيها أن بينهم المهديّ المنتظر، وجمعوا أحاديث عن المهدي، أوهموا بها أتباعهم أن الجيش الذي يأتي لمحاربتهم يخسف به، وأنهم لا محالة منتصرون، أما أدلة انطباق المهدي المنتظر على رجلهم القحطاني فقد كانت فيما زعموا رؤى منامية شهدها عدد منهم، وهي جميعها متطابقة، وتحدّد أنه هو رجلهم.

وكان على الحكومة السعودية الرشيدة أن تأخذ الأمر بالحكمة، وأن تتفادى اقتحام الحرم بالأسلحة الآلية، وصبرت صبراً كبيراً كان محل تقدير الجميع.

ولما نفد صبرها، وطالت عليها المدة، وجدت أنه لا سبيل لقمع هذه الفتنة، إلا باقتحام جزئيّ محدود، واستفتت العلماء فأفتوها، واستخدمت القوة الآلية بقدر محدود جداً، وتم لها القضاء على الفتنة.

وفي رأيي ــ استناداً إلى أمارات كثيرة ــ أن هذه الفتنة قد كانت مؤامرة كبيرة جداً، ذات صلة بمخططين من خارج البلاد، هدفها استخدام حاقدين ومهووسين أغرار، للقيام بثورة غايتها اتخاذ الدين جسراً مرحلياً، يدمّر تماماً عند نجاح الثورة، وعندئذٍ يجري في البلاد نظير ما جرى في بعض البلاد العربية التي قامت فيها الانقلابات العسكرية، فالثورات الاشتراكية. ثم يجرّ ذلك ما يجر من بلايا ونكبات، منها التجزئات والتقسيمات والإفقار، وتبديد الطاقات والثروات، وهدم الصناعات، ومطاردة ذوي العقول الحصيفة، وتهجير الخبرات.

وإذا لم تنجح الثورة قامت الفجوة والجفوة، بين الدولة وبين علماء المسلمين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويتصور المخططون أن الدولة ستأخذ منعطفاً آخر مجافياً للدين، ولدعاته وحماته، وهو الأمر الذي لم يحدث بحمد الله رغم فشل الثورة، لأن الحكومة السعودية كانت على بصيرة، فلم

تستدرج لهذا الأمر، ففصلت ما بين الفتنة والقيادات الدينية الحكيمة، وظلّت حامية لقاعدتها الدينية، ومحافظة على العقيدة الإسلامية.

لقد تأكد عندي أن هدف المخططين من وراء الحدود لتحريك هذه الفتنة، هو الإجهاز على بقايا القاعدة الإسلامية التي حافظت عليها المملكة العربية السعودية، وتحطيمها وتجزئتها وتقسيمها. وأن المستثمر لذلك هم أعداء الإسلام، وفي مقدمتهم دولة إسرائيل واليهودية العالمية.

وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة ونشرتها في حينها بجريدة «الندوة»، وهي بعنوان:

**«فتنة الحرم وعظاتها»**

# فِتْنَةُ الْحَرَمِ وَعِظَاتُها

فِتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ فِي الظُّلُمَـاتْ لانْتِهَـاكِ الْحُرُمَـاتِ الْكُبْـرَيَـاتْ
حُرُمَاتِ الْبَيْتِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامْ فِي رِحَابِ الْأَمْنِ بُسْتَانِ التُّقَـاةْ
فِي رِحَـابِ الطَّائِفِينَ الْعَـاكِفِينْ وَرِحَابِ الطَّائِفَـاتِ الْعَـاكِفَـاتْ
فِي رِيَاضِ الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينْ وَرِيَاضِ الراكِعَاتِ السَّاجِدَاتْ
فِي جِنَانِ الْمُخْبِتِينَ[1] الْعَابِدِينْ وجِنَـانِ الْمُخْبِتَـاتِ الْعَـابِدَاتْ

○ ○ ○

فِتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ خَلْفَ الْحُدُودْ حَيْثُ يَغْلِي بالْخَنَىٰ[2] مَكْرُ الْيَهُودْ
فِي جَحِيمٍ يَتَلَظَّىٰ حِقْدُهَـا وَعَلَىٰ أَبْـوَابِهَـا كُـلُّ حَـقُـودْ
تَقْـذِفُ الشَّرَّ شُـوَاظاً لَا يُـرَىٰ مِثْلَمَـا تَقْـذِفُـهُ عَيْـنُ حَسُـودْ
سَـاقَ شَـيْـطَانُ يَـهُـودٍ بَـقَـراً حَمَلَتْ أَنْفُسُهَـا حِقْـدَ الْجُـدُودْ
وَعَـلَىٰ أَرْؤُسِـهَـا أَثْـقَـالُـهَـا مِنْ عَتَادِ الْحَرْبِ والْبَأْسِ الشَّدِيدْ

○ ○ ○

فِـتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ لِـلْمُسْلِمِيـنْ لاصْطِيَادِ الْأَمْنِ فِي البيت الْأَمِينْ
أُطْـلِقَـتْ نِـيـرَانُـهَـا آثِـمَـةً فِي رِحَابِ الطُّهْرِ فِي الصَّرْحِ الْحَصِينْ
مِـنْ مِنَـارَاتٍ سَـمَـتْ شَـاهِـقَـةً تَتَحَـدَّىٰ الكُفْـرَ بَيْنَ الْعَـالَمِـينْ
كَـمْ عَـلَا مِـنْـهَـا أَذَانٌ وسَـرَىٰ لِلْوَرَىٰ: كالشَّمْسِ كالنُّورِ الْمُبِينْ

---

(١) الْمُخْبِت: هو الخاشع المتواضع لله، أخذاً من الْخَبْت: وهو المتَّسعُ من بطون الأرض.
(٢) الخنىٰ: آفات الدهر ومصائبه.

أَطْلَقَ الْبَاغُونَ مِنْهَا نَارَهُمْ … مِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ والْحِقْدِ الدَّفِينْ

○ ○ ○

فِتْنَةٌ قَدْ وُضِعَتْ خِطَّتُهَا … حَيْثُ مَثْوىٰ الكُفْرِ حَيْثُ الْمُفْسِدُونْ

نَفَّذَتْهَا فِئَةٌ بَاغِيَةٌ … طَمَسَ الْجَهْلُ بِهَا نُورَ الْعُيُونْ

زَعَمُوا الْمَهْدِيَّ فِيهِمْ قَائِماً … وارْتَدَىٰ كَذَّابُهُمْ حُلَّةَ دِينْ

كِذْبَةٌ مَا فَتِئَتْ أَنْ فُضِحَتْ … إِذْ دَهَىٰ مَهْدِيَّهُمْ رَيْبُ الْمَنُونْ

قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَخْبَئِهِ … وَكَذَا تُفْضَحُ كِذْبَاتُ الْجُنُونْ

○ ○ ○

لَا تَظُنُّوا أَنَّ مَا قَدْ كَانَ مِنْ … فِتْنَةٍ شَرٌّ بَلِ الْخَيْرُ بِهَا

أَيْقَظَتْ مَنْ كَانَ مِنَّا قَدْ غَفَا … عَنْ دُهَاةِ الْمَكْرِ أَوْ كَانَ سَهَا

أَثْبَتَتْ قُوَّةَ جُنْدِ اللَّهِ فِي … قَمْعِ بَاغِي الشَّرِّ لَمَّا سَفِهَا

ذَكَّرَتْنَا أَنَّ مَا فِينَا فَشَىٰ … مِنْ ذُنُوبٍ سَبَبٌ فِيمَا دَهَىٰ

أَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْدَانَا فَإِنْ … لَمْ نَصُنْهُ حَلَّ سُوءُ الْمُنْتَهَىٰ

○ ○ ○

وَاضِعُ الْخِطَّةِ قَدْ رَتَّبَهَا … بِدَهَاءٍ بَالِغِ الْكَيْدِ خَبِيرْ

قَدْ بَنَىٰ الْجِسْرَ إِلَىٰ غَايَتِهِ … مِنْ غُلَاةٍ وذَوِي حِقْدٍ كَبِيرْ

قَصْدُهُ أَنْ يَطْعَنَ الإِسْلَامَ فِي … صَدْرِه لِلْقَلْبِ مِنْهُ للضَّمِيرْ

قَصْدُهُ أَنْ يَهْدِمَ الْبُرْجَ الَّذي … لَمْ تَزَلْ فِيهِ مَصَابِيحُ تُنِيرْ

لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ فِي هَامَتِهِ … كِلْمَةَ التَّوْحِيدِ والْحَقِّ الْمُنِيرْ

○ ○ ○

رُبَّ جِسْرٍ مِنْ رِجَالٍ زَعَمُوا … أَنَّهُمْ بِالْحَقِّ قَامُوا لِلْهِدَايَةْ

فَإِذَا مَرَّ عَلَىٰ أَكْتَافِهِمْ … وَاضِعُ الْخِطَّةِ شَيْطَانُ الْغِوَايَةْ

دَمَّرَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ جِسْرَهُ … ورَمَاهُمْ عَنْ دَهَاءٍ وَدِرَايَةْ

هُمْ وَمَنْ قَامُوا عَلَيْهِ هَمُّهُ … أَنْ يَرَاهُمْ سَقَطُوا صَرْعَىٰ الْعَمَايَةْ

أيُّهَـا الأَغْـرَارُ لاَ تَـنْـخَـدِعُـوا ... بِبِـدايَاتٍ لَهَـا هٰذِي النِّهَـايَـةْ

ο ο ο

قَصْـدُهُ أَنْ يَقْتُـلَ الإِيمَـانَ فِـي ... دَاخِـلِ الصَّـرْحِ بِنَـارٍ وحَـدِيـدْ
قَصْـدُهُ أَنْ يُحْدِثَ الثَّـوْراتِ فِي ... دَاخِـلِ الصَّـرْحِ بِأَوْبَـاشٍ عَبِيـدْ
قَصْـدُهُ أَنْ يُحْـدِثَ الْفَجْـوَةَ مَـا ... بَيْنَ مَبْنَىٰ الْبُـرْجِ والرُّكْنِ الشَّـدِيدْ
فَـإِذَا مَـا انْفَصَـلَ الْبُـرْجُ وَهَىٰ ... وَارْتَمَىٰ فِي كَفِّ ذِي كَيْـدٍ مَرِيـدْ
إنَّ رُكْنَ الدِّينِ في الصَّرْحِ هو الرُّ ... كْنُ لِلْبُـرْجِ لَدَىٰ الـرَّأْيِ السَّدِيـدْ

ο ο ο

لُـعْبَـةُ الـشَّيْـطَانِ مَـا أَخْـبَثَـهَـا ... تَقْـطَعُ الْقَـادَةَ عَنْ أَوْفَىٰ الْجُنُـودْ
تُـفْـسِـدُ الْـوُدَّ لِـيَـزْوَرَّ هَـوَىٰ ... سَيِّـدِ الْغَـابَـةِ عَنْ حُبِّ الأُسُـودْ
فَـإِذَا مـا انْـقَـطَعَ الْـوُدُّ أَتَـىٰ ... يَخْـدَعُ السَّيِّـدَ ذُو مَكْـرٍ حَقُـودْ
وَمَـعَ الْـمَـاكِـرِ فَـخٌّ قَـاتِـلٌ ... لِحُمَاةِ الصَّرْحِ مـا اشْتَدَّ الصُّمُـودْ
خَـيَّـبَ الْـجَـبَّـارُ مَـسْـعَـاهُ بِـنَـا ... وحَمَىٰ الصَّرْحَ بِذي بَأْسٍ رَشِيدْ

ο ο ο

قِيـلَ: أَيْنَ الطَّيْـرُ تَحْمِي الْحَرَمَـا ... وَتُـذِيقُ الْخَـارِجِينَ الْـحُمَـمَـا؟
قُـلْتُ: لاَ حَـاجَـةَ لِـلطَّيْـرِ إِذَا ... جَـاءَ جُنْدُ الْحَقِّ يَحْمُـونَ الْحِمَىٰ
حِينَ أَمَّ الْـبَـيْـتَ بَـاغٍ كَـافِـرٌ ... يَقْصِـدُ الْـهَـدْمَ مُبِينـاً مُعْلِمَـا
لاَ لأَمْـرٍ غُـلِّـفَـتْ غَـايَـاتُـهُ ... بِـدَعَـاوَىٰ تَـسْتَبِيـحُ الْـحُـرَمَـا
وَوَهَىٰ حُـرَّاسُ هَـذَا الْبَيْتِ عَنْ ... حِفْـظِهِ جَاءَتْ تَـدابِيـرُ السَّمَـا

ο ο ο

يَـا حُـمَـاةَ الـدِّينِ مِـنْ أُمَّتِـنَـا ... أَبْصِـرُوا لاَ تَغْفُلُوا عَـمَّـا يُكَـادْ
إنَّـكُـمْ بَـيْـنَ الْـبَـرَايَـا هَـدَفٌ ... إنَّـكُـمْ بَـيْـنَ يَـدَيْ أَمْـرٍ يُـرَادْ
رُبَّ مَـنْ آلَـمَـهُ الْـفِـعْـلُ أَتَـىٰ ... مِنْ رُدُودِ الْفِعْـلِ مَـا دَكَّ الْبِـلاَدْ
فَـغَـدا مِنْ حُـمْقِـهِ فِيمـا أَتَـىٰ ... ضِـمْـنَ أَكْـوَامِ حُـطَامٍ ورَمَـادْ

وَبِــهِ حَــقَّــقَ مَــنْ قَــدْ كـادَهُ ... كُــلَّ أَوْ بَعْضَ الَّــذِي مِنْــهُ أَرَادْ

○ ○ ○

يَـا رُعَـاةَ الْأَمْـرِ زِيـدُوا الْحَـرَسَـا ... مِنْ حُمَاةِ الدِّينِ أَهْلِ الْمَكْرُمَـاتْ

مَـا أصَـابُـوا مِنْ قَبِيـحٍ دَنَسَـا ... لَمْ تُخَـرِّبْـهُمْ مَـفَـاهِيـمُ الْغُـلَاة

لَمْ يَمَسَّ الكَيْـدُ مِـنْهُمْ أَنْفُسَـا ... فِي بِـلَادِ الكُفْرِ أَرْضِ الْمُـوبِقَاتْ

خيْـرُ من نَجْعَـلُ مِنْهُمْ عَسَـساً ... يَحْفَـظُونَ الْأَمْنَ مِنْ بَغْيِ الطُّغَـاةْ

حِينَـمـا نَبْـحَثُ عَـنْهُـمْ غَـلَسَـا ... نَـلْقَـهُـمْ بَـيْـنَ دُعَـاءٍ وصَـلَاةْ

مكة المكرمة في ١٤٠٠/١/٢٢ هجرية ... (٦٠ بيتاً)

# ٣٤

في شهر ربيع الأول من سنة ١٤٠١ هجرية مطلع القرن الخامس عشر الهجري، تـمَّ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة، وكان ذلك في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز رحمة الله عليه.

ورأت القيادة السعودية يومئذٍ أن تفتتح الجلسة الأولى من جلسات هذا المؤتمر في الحرم المكّيّ الشريف، عند الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، أوَّل بيت وضع للناس. استعطافاً لقلوب قادة المسلمين وزعمائهم، من أجل إنقاذ القدس الشريف، من تسلّط الصهيونيَة الآثمة.

وكان لا بدّ أن يسهم أدب الدعوة إسهاماً ما في هذه المناسبة.

فكتبت هذه القصيدة بعنوان:

**«عِنْـدَ المنصـةِ فِي الحـرمْ أقـطابُ مُـسْـلِمَـةِ الأمـمْ»**

إذْ كانت الدولة السعودية قد أعدت منصة للمدعوّين لحضور جلسة الافتتاح، في مواجهة باب الكعبة، وقد نشرت في جريدة «الندوة» إبان انعقاد المؤتمر.

وهذا العنوان هو أحد أبيات هذه القصيدة.

ولا بد أن يلاحظ القارىء أن القصيدة فيها حكمة مواجهة الزعماء، مع ما فيها من جرأة، وبيان للمقصود، وهو الأسلوب الذي علّمه الله موسى عليه السلام.

# عِنْدَ المنصة في الحرم أقطاب مسلمة الأمم

مَـرَّتْ قُـرُونٌ عَـشْـرَةٌ قُـرِنَـتْ بِـأرْبَـعَـةٍ أُخَـرْ
مِنْ عَـامِ هِجْـرَةِ أَحْمَـدٍ خَـيْـرِ الـنَّـبِـيِّـيـنَ الأَبَـرّ
مَـنْ عِـنْـدَهُ انْـتَـهَـتِ الـرِّسَـالاَتُ الْـمُـنَـزَّلَـةُ الـكُـثُـرْ
لَـمَّـا اصْـطَـفَـاهُ الـلَّـهُ لِـلـدِّيـنِ الْـعَـظِـيـمِ الْـمُـدَّخَـرْ
دِيـنِ الْـهِـدَايَـةِ كُـلِّهَـا لِجَمِيـعِ أَصْنَـافِ الْـبَشَـرْ

○ ○ ○

هَــذِي الْقُــرُونُ السَّــالِفَــاتُ بِمَــا عَــلاَ وبِمَــا انْحَــدَرْ
فِيمَـا صَفَـا مِنْهَـا لَنَـا أَوْ مَـسَّـنَـا مِـنْـهُ كَـدَرْ
فِـيـمَـا تَـقَـدَّمَ وَازْدَهَـىٰ أَوْ مَـا تَـغَـيَّـرَ وانْـحَـسَـرْ
تَـارِيـخُنَـا فِيـهَـا سُـطِرْ فِيـهِ الْمَفَـاخِـرُ والْعِبَـرْ
فِيـهِ الْـعِـظَاتُ الـصَّـالِـحَـاتُ لِـمَـنْ تَـفَـكَّـرَ واعْـتَـبَـرْ
تَـارِيـخُنَـا يَـرْوِي لَـنَـا فِيمَـا تَحَقَّقَ مِنْ خَـبَـرْ
مَـهْـمَـا تَـمَـسَّـكْـنَـا بِـدِيـنِ الـلَّـهِ حَـالَـفَـنَـا الْـقَـدَرْ
وَإِذَا تَـنَـكَّـبْـنَـا صِـرَاطَ الـلَّـهِ دَاهَـمَـنَـا الْـخَـطَرْ
وَعَــدَتْ عَـلَيْـنَـا الْـعَـادِيَـاتُ وَأَنْـزَلَـتْ فِـيـنَـا الـضَّـرَرْ
إِمَّـا بِـمَـسٍّ مِـنْ شَـرَرْ أَوْ بِـالْقَـذَائِفِ مِنْ سَقَـرْ
وَلَـرُبَّـمَـا اسْـتَـوْلَـىٰ عَـلَىٰ بُـلْدَانِـنَـا الـنَّـذْلُ الأَشِـرْ

○ ○ ○

وَالْـيَـوْمَ مِـنْ بَعْـدِ الْقُـرونِ الـسَّـالِـفَـاتِ بِـمَـا غَـبَـرْ

فِي مَـطْلِعِ الْقَرْنِ الْمُضِي ءِ بِمَـا يُبَشِّـرُ بِـالـظَّفَـرْ
فِـي رَجْـعَـةٍ مَـبْـرُورَةٍ لِـصِـرَاطِنَـا بَـيْنَ الْـبَشَـرْ
فِي صَحْـوَةٍ مَـشْكُـورَةٍ فِيهَـا الْـبَصِـيـرَةُ والْحَـذَرْ
هٰـذِي أَمَـارَاتٌ بِـهَـا بُـشْـرَىٰ بِغَيْـثٍ مُنْهَـمِـرْ
يَـأْتِي لَنَـا بَـعْـدَ الْجَـفَـا فِ فَـنَـسْـتَـمِـدُّ وَنَـزْدَهِـرْ

○ ○ ○

الْيَـوْمَ مِنْ بَعْـدِ الْقُـرُو نِ السَّـالِفَـاتِ بِمَـا غَبَـرْ
يَـدْعُـو حُـمَـاةُ الْـبَـيْـتِ لِـلْإِسْـلَامِ وَالْـمَـجْـدِ الْأَغَـرّ
وَإِلَىٰ الْجِهَـادِ وَكُـلِّ تَـدْ بِـيـرٍ بِـهِ خَـيْـرٌ وَبِـرّ

○ ○ ○

رَفَـعُـوا الْـمِـنَـصَّـةَ فِـي الْـحَـرَمْ
بَـيْـنَ الـصَّـفَـا والْـمُـلْتَـزَمْ
عِـنْـدَ الْـمَـقَـامِ الْـمُـحْـتَـرَمْ
والـرُّكْـنِ ذِي الْـمَـجْـدِ الْأَشَـمّ
وَدَعَـوْا لِأَمْـرٍ ذِي عِـظَمْ

○ ○ ○

عِـنْـدَ الْـمِـنَـصَّـةِ فِـي الْـحَـرَمْ
أَقْـطَابُ ، مُـسْـلِمَـةِ الْأُمَـمْ
مِـنْ كُـلِّ عُـرْبٍ أَوْ عَـجَـمْ
واسْـتَـوْثَـقُـوا بِـعُـرَىٰ الـذِّمَـمْ
وَأَجَـلِّ أَقْـدَاسِ الْـحُـرَمْ

وَتَعَـاطَفُوا . وَتَـدَالَفُوا . وتَـآلفـوا . وتَكَـاتَفُـوا . وتَحَـالَفُـوا
وَتَـوَادَدُوا . وَتَسَانَـدُوا . وتواعَـدُوا . وتَعَاقَـدُوا . وتَعَاهَـدُوا

١ ـ أَنْ يَنْصُرُوا الْأَقْصَىٰ السَّلِيبْ
مِنْ ظُلْمِ ذِي كَيْدٍ عَجِيبْ
خُدِعَتْ بِهِ دُوَلُ الصَّلِيبْ

٢ ـ أَنْ يَغْسِلُوا الْقُدْسَ الْحَبِيبْ
والتَّابِعَاتِ مِنَ الدُّرُوبْ
مِنْ رِجْسِ فَاجِرَةِ الشُّعُوبْ

٣ ـ أَنْ يَدْعَمُوا الشَّعْبَ الشَّرِيدْ
مِنْ بَغْيِ رُوسٍ أو يَهُودْ
أَوْ أَيِّ جَبَّارٍ عَنِيدْ

٤ ـ أَنْ يَلْزَمُوا الرَّأيَ السَّدِيدْ
أَنْ يَسْلُكُوا النَّهْجَ الرَّشِيدْ
وَيُبَاشِرُوا الْعَمَلَ الْمَجِيدْ

٥ ـ أَنْ يَبْرَؤوا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدْ

○ ○ ○

- يَا رَبِّ . مَاذَا بَعْدَ هَذَا يَفْعَلُونْ؟
أَفَهُمْ بِحَقٍّ يَصْدُقُونَ وَيُخْلِصُونْ؟
يَا رَبِّ . هَذا المرتَجَىٰ مِنْ جَمْعِهِمْ

- هَلْ هُمْ يَفُونَ بِعَهْدِهِمْ؟
هَلْ يَصْدُقُونَ بِوَعْدِهِمْ؟
هَلْ يُخْلِصُونَ بِوُدِّهِمْ؟

وَيُجَاهِدُونَ لِرَبِّهِمْ؟
لاَ يَبْخَلُونَ بِجَهْدِهِمْ؟
وشُعُوبُهُمْ جُنْدٌ لَهُمْ؟
يَا رَبِّ . هٰذَا الْمُرْتَجَىٰ مِنْ جَمْعِهِمْ

○ ○ ○

إِنْ يُؤْمِنُوا:
إِنْ يَصْدُقُوا:
إِنْ يُخْلِصُوا:
إِنْ يَعْمَلُوا:
إِنْ يَبْذُلوا:
فَاللَّهُ مُوثِقُ عَهْدِهِمْ
وَهْوَ الْحَلِيفُ لِحِلْفِهِمْ
وَهْوَ النَّصِيرُ لِجَمْعِهِمْ
وَسَيَبْلُغُونَ لِقَصْدِهِمْ

○ ○ ○

وَإِذَنْ . فَيَا بُشْرَىٰ لَهُمْ
بِفَخَارِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ
وَمَثُوبَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
وَلَهُمْ بِنَا . وَلَنَا بِهِمْ

مكة المكرمة في ١٤٠١/٣/١٩ هجرية (٦٩ بيتاً)

# ٣٥ و ٣٦

بعد النزعة القومية، والتبعيّات العمياء في استيراد المبادىء الزيوف من الغرب والشرق، التي صنعت الهزائم، والانهيارات الاجتماعية، وألوان التجزئة والتمزيق في شعوب الأمة الإسلامية، قَامَت نزوات انفعالية تسخر من ميراث أمتها، لأنهّا أمست لا تُشاهد من هذا الميراث جوهره الحقيقي، بعد أن عزلته عن الفكر والسلوك، إنّما تشاهد تقاليد شكلية، ليست هي في حقيقتها من جوهر هذا الميراث، بل هي عوالق زمنية، لها سيما الأزياء التي تتغيّر مع الزمن، ولها طبيعة الآثار المتحفية المادّية.

ورأيت هذه النزوات الساخرة المحتقرة لهذا الميراث، مشيرة بأصابعها إلى هذه المادّيات المتحفية، ومطلقة عبارات التعميم الشاملة لجوهر الميراث الذي هو ميراث علم وخلق ونظام وتشريع، وميراث بناء أُمَّةٍ قوية قائدة رائدة.

ومن هؤلاء الساخرين فسّاق وملاحدة مرتمون في أحضان مواخير الغرب يَجْتَرّون الأوبئة، ومنهم ملاحدة مجرمون، مسوقون على زحّافات كلاب ثليج الشرق البارد، إلى حتوفهم وحتوف أمتهم.

وهؤلاء وهؤلاء يشتمون ميراث أمتهم، ويتبرؤون منه ومن أمجاد أجدادهم الذين صنعوا أو حملوا هذا الميراث العظيم.

وهاتان القصيدتان تعالجان نزوات هذا الصنف الساخر من ميراثنا العظيم.

**الأولى:** بعنوان «التراث العظيم».

**الثانية:** بعنوان «الجدّ يتبرأ».

# التراث العظيم

إنّ مَجْـدِيَ كَنْـزٌ مَلِيءُ الْبُـطُونِ ... بِـنَفِـيسِ الْمَكِـيـلِ والْـمَـوْزُونِ
بِفَـرِيـدِ الْهُـدَىٰ. بِكُـلِّ جَلِيـلٍ ... مُسْعِـدٍ لِلْوَرَىٰ. عَـزِيـزٍ مَصُـونِ
بِبَـدِيـعِ الْعُلُومِ مِنْ كُـلِّ حَقٍّ ... عَـبْقَـرِيٍّ. يَـبُـزُّ كُـلَّ الْفُـنُـونِ
لَيْسَ إِرْثِي مَأْكُولَ عَصْفٍ قَدِيمٍ[1] ... مِثْـلَ غَيْـرِي. وَلاَ هُـرَاءَ مُجُـونِ

○ ○ ○

يَا فَخَارِي. لَا تَأْسَ إِنَ هَرَّ كَلْبٌ[2] ... مِنْ بِـلَادِي عَلَيْـكَ بَعْـدَ قُـرونِ
فَبِـلَادِي كِـلاَبُـهَـا مِـنْ قُـرُونٍ ... هُجِّنَتْ مِنْ لِقَـاحِ بَـاغٍ خَـؤُونِ
لاَ يَـرَىٰ فِيكَ أَحْـوَلُ الْـفِـكْـرِ إِلاَّ ... لَمْلَمَـاتٍ مِنَ التَّقَـالِيـدِ جُـونِ[1]
عَلِقَتْ فِيَّ. حَـظُّهَـا مِنْ تُـرَاثِي ... كَبَقَـايَا الْقَتَـامِ[2] فَوْقَ الْـحُصُونِ
جَلَبَتْهَـا الـرِّيَـاحُ مِنْ كُـلِّ قَفْـرٍ ... وَرَمَاهَا الإِهْمَـالُ فَوْقَ الْجُفُـونِ[3]

○ ○ ○

مَنْ لِهَـذَا الْقَتَـامِ يَنْفِيـهِ عَنِـي ... بِـطَهُـورٍ غَيْثٍ مُـغِيْـثٍ هَتُـونِ؟
لِتَـرَىٰ هَـدْيِـيَ الْمُضِيءَ بِمَجْـدِي ... وشُمُوخِي فِي الدَّهْـرِ كُلُّ الْعُيُـونِ

**مكة المكرمة في ١٤٠٥/٤/٩ هجرية** — **(١١ بيتاً)**

---

(١) العصف: بقل الزرع، والمأكول منه هو ما أكل حبّه وبَقي تبنه، وداسته الأنعام بأرجلها.
(٢) هَرَّ الكلب: صاح صياحاً ضْعيفاً دون النباح.
(١) جُون: بضم الجيم جمع مفرده «جَوْن» بفتح الجيم، وهو الأسود. وقد يطلق على الأبيض فهو من الأضداد.
(٢) القتام: الغبار الضارب إلى سواد.
(٣) أي فوق المشرفات من الحصن التي تشبه الجفون.

# الجـدُّ يتبـرأ

إِنَّــهُ لَـيْسَ حَــفِـيــدِي
هُــوَ فِــكْــرٌ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
وَاعْــتِــقَــادٌ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
وَسُــلُوكٌ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
فَــأَنَــا مِــنْــهُ بَــرِيءْ

○ ○ ○

إِنَّــهُ لَـيْسَ حَــفِـيــدِي
إِنَّــنِــي لِــلَّــهِ مُــسْــلِمْ
وَهْــوَ بَــيْــنَ الــنَّــاسِ مُــجْــرِمْ
قَــلْبُــهُ بِــالــكُــفْــرِ مُــظْلِمْ
وأَنَــا قَــلْبِــي وَضِــيءْ

○ ○ ○

إِنَّــهُ لَـيْسَ حَــفِـيــدِي
أَنَــا بَــانٍ فِــي حَــضَــارَةْ
ذَاتِ عِــزٍّ وَنَــضَــارَةْ
ذَاتِ عِــلْمٍ وَطَــهَــارَهْ
كَــنْــزُهَــا طَــوْدٌ مَــلِيءْ

○ ○ ○

أَنَــا مِنْ قَــوْمٍ بَنَــوْ عِــزّاً وَمَجْــدا
نَشَــرُوا فِي النَّــاسِ أَخْــلاَقَــاً وَرِفْــدا

وَبِنُـورِ اللَّـهِ مَـدُّوا الْـعِلْمَ مَـدًّا
وأَقَـامُـوا الْـعَـدْلَ إِيعَـاداً وَوَعْـدا
وَبَنَـوْا مِنْ دُونِ جُنْـدِ الشَّـرِّ سَـدًّا

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
هُـوَ بِـالْـهَـدْمِ شَـغُـوفُ
وَعَـنْ الْـخَـيْـرِ عَـزُوفُ
وَلِأَعْـدَائِـي حَـلِـيـفُ
وَعَـلَىٰ الْإِثْـمِ جَـرِيءْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
مُـنْـذُ صَـادَتْـهُ الْـقُـرُودْ
وَنَـأَىٰ خَـلْفَ الْـحُـدُودْ
بَـرِئَـتْ مِـنْـهُ الْـجُـدُودْ
فَـهْـوَ فِـي الـنَّـاسِ قَـمِـيءْ

○ ○ ○

هُـوَ مِمَّنْ قَـدْ أَتَىٰ الْمَجْـدَ فَهَـدَّمْ
وَعَـلَىٰ الْأَنْـقَـاضِ غَـنَّـىٰ وَتَـرَنَّـمْ
سَـاءَه الْإِسْـلَامُ إِذْ لِلْفِسْقِ أَسْلَمْ
غَـيْـرَ إِغْـوَاءٍ وَفُـحْشٍ مَـا تَـعَـلَّمْ
هُـوَ يَـهْـذِي أَوْ بِـفُـحْشٍ يَـتَـكَـلَّمْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
قَـاطِـعُـوهُ يَـا بَـنِـيَّـهْ
إِنَّـهُ خَـالِـي الْـهُـوِيَّـةْ
إِنَّـهُ عَـبْـدُ الْـغَـوِيَّـةْ
طَـالِـبُ كُـلِّ دَنِـيءْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
قَـاطِـعُـوهُ وَذَرُوهُ
وَانْـبِـذُوهُ واحْـقِـرُوهُ
وَبِـجُـحْـرٍ فَـاحْـصِـرُوهُ
فَـأَنَـا مِـنْـهُ بَـرِيءْ

○ ○ ○

قُـوتُـهُ الْخِنْـزِيـرُ والْخَمْـرُ شَـرَابُـهْ
طَارَ «بِالـوِيسْكِي وَبِالفُـودْكَا» صَـوَابُهْ
وَصَبَـايَـا الْغَـرْبِ وَالشَّـرْقِ طِـلاَبُـهْ
فَـأَغَـانِـيـهِ لَـهُـنَّـهْ
وَكِـلاَبٍ عِـنْـدَهُـنَّـهْ
بَـلْهَ نَـاسٍ أَهْـلِهِـنَّـهْ
ولِقَبْـرِي وَتُـرَاثِي. بَعْـدَ أَجْيالٍ سِبَـابُـهْ
مِثْـلُ هَذَا فَلْتُجَـرْجِرْهُ إِلَى الْخِـزْيِ كِـلاَبُـهْ
فَـأَنَـا مِـنْـهُ بَـرِيءْ

○ ○ ○

هَمُّـهُ الأَكْبَـرُ بَيْنَ النَّـاسِ خَمْـرٌ ونِسَـاءْ
واللَّيَـالِي الْحُمْـرُ وَالسُّـودُ وتَـرْنِيمٌ غُثَـاءْ

هَجَرَ الزَّيْتُونَ لَا يَدْرِي لِمَنْ يُعْطِي الْوَلَاءْ
رَكِبَ الْأُرْجُوحَةَ الكُبْرَىٰ عَلَىٰ غَيْرِ حَيَاءْ
فِي أَقَاصِي الشَّرْقِ لَيْلاً عِنْدَ أَحْضَانِ الشَّقَاءْ
وَهْوَ فِي الْغَرْبِ عَلَىٰ حَانَاتِهِ عِنْدَ الْمَسَاءْ
وَلِسَانٌ مُقْذِعٌ يَحْلُو لَهُ شَتْمُ الْعَلَاءْ
وَسِبَابُ الطُّهْرِ فِي النَّاسِ وَطَعْنُ الْأَتْقِيَاءْ

○ ○ ○

فَدَعُوهُ هُوَ فِيكُمْ. إِنْ أَتَىٰ السَّيْلُ جُفَاءْ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
لَسْتُ مِنْهُ لَيْسَ مِنِّي
هَانَ فِيكُمْ إِنْ يُهِنِّي
أَبْعِدُوا الشَّيْطَانَ عَنِّي
فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءْ

○ ○ ○

أَوَ حَقاً يَا خَبَاثِ
لَسْتَ تَدْرِي مِنْ تُرَاثِي
غَيْرَ عُكَّازٍ وَسُبْحَةْ؟!
حِينَ وَزَّعْتَ أَثَاثِي
بَعْدَ أَنْ هَدَّمْتَ صَرْحَهْ
لَمْ تُصَادِفْ مِن تُرَاثِي
غَيْرَ مَا أُوثِرُ طَرْحَهْ

○ ○ ○

قَــاطِــعُــوهُ يَــا بَــنِــيَّــهْ
إِنَّــهُ خَــالِــي الْــهُــوِيّــهْ
إِنَّــهُ عَــبْــدُ الْــغَــوِيَّــةْ
طَــالِــبٌ كُــلَّ دَنِــيءْ

○ ○ ○

شَــأْنُــهُ إِذْ رَامَ كَــيْــداً
شَــأْنُ مَــنْ أَوْقَــدَ وَقْــداً
أَحْــرَقَ الْــمُــصْــحَــفَ عَــمْــداً
وَسَــعَــىٰ يَــبْــحَــثُ كَــدًّا
عَــنْ كِــتَــابٍ كَــانَ مَــجْــداً

○ ○ ○

فَــرَأَىٰ الْــكِــيسَ الْــمُــطَرَّزْ
فَــاحْــتَــواهُ وَتَــحَــرَّزْ
ثُــمَّ قَــالَ الْــكِــيسُ خَــالٍ
هُــوَ شَــيْءٌ لَــيْــسَ يُــحْــرَزْ
فَــاطْــرَحُــوا عَــنِّــي تُــراثِــي
أَنَــا مِــنْــهُ أَتَــقَــزَّزْ

○ ○ ○

قَاطِعُوهُ يا بَنِيَّهْ.
قَاطِعُوهُ ـ هُو للطُّوفَانِ ـ في الكُفْرِ مُقِيمْ
وَأَثِــيــمٌ وأَشِــرْ
وَوَرَاءَ الْهُلْكِ بالطُّوفَانِ خِزْيٌ في الْجَحِيمْ
وَعَــذَابٌ مُــسْــتَــمِــرّ

وَإِذَا الطُّوفَانُ لَمْ يَأْتِ أَتَىٰ الْوَعْـدُ الْعَظِيمْ

وَلَـبِئْسَ الْـمُـسْـتَـقَـرّ

فِـي جَـحِـيـمٍ وَسُـعُـرْ

○ ○ ○

وَإِذَا اسْتَغْفَرَ وَاطَّهَّرَ بِـالْفِعْلِ الكَـرِيمْ

وَجَفَا مَا كَانَ فِيهِ مَـعَ شَيْطَانٍ رَجِيمْ

واسْتَعَادَ الْأَصْلَ لَا يَعْدُوعَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمْ

وأَتَى يَسْتَعْطِفُ الرَّحْمٰنَ ذَا الْفَضْلِ الرَّحِيمْ

وَعَـنِ الآثَـامِ كَـفَّـرْ

فَـأَخُـوكُمْ قَـدْ تَـطَهَّـرْ

غَـسَـلَ الْقَـلْبَ وَأَبْصَـرْ

وَرَأَىٰ الـرَّحْـمَنَ يَـغْفِـرْ

مَـرْحَبـا. وَاللَّهُ أَكْـبَـرْ

وَهْـوَ مِنْكُـمْ وَحَفِـيـدِي

تركيا ــ شوك شدرة غرّة شوال ١٤٠٢ هجرية　　　　(٥١ بيتاً)

# ٣٧

على الداعي الصادق في دعوته أن يعظ نفسه أوّلاً قبل أن يعظ الآخرين، وحين يعظ الآخرين فعليه أن يتصوّر نفسه واحداً من الذين يدعوهم.

عندئذٍ يكون كلامه بمثابةِ سلاحٍ ذي حدّين يؤثّر في السّامع والمتكلم معاً، لأنه عندئذٍ يكون صادراً من القلب، وما كان صادراً من القلب وصل إلى القلوب.

وهذه القصيدة أخاطب بها نفسي بعنوان:

« يــا أنــا »

واعظاً ناصحاً موجّهاً لها، ولعلّ المطلع عليها يخاطب بها نفسه كما خاطبت بها نفسي.

وعسى أن يكون هذا الأسلوب أسلوباً حسناً غير مباشر من أساليب الدعوة.

وهذه القصيدة نشرت في جريدة المدينة المنورة في شهر محرم ١٤٠٥ هجرية، وفيها هنا بعض التعديل والإضافة.

# يـا أنـا

لَـكَ الـنِّـدَاءُ يَـا «أَنَـا» تُـرَاكَ مَـنْ أَنْتَ هُـنَـا؟
هَـلْ أَنْـتَ إِلَّا عَـابِـرٌ مِنَ الْفَنَـا إِلَىٰ الْـفَنَـا؟
وأنْـتَ مَـا بَـيْـنَـهُـمَـا صَـيْـدُ غُـرُورٍ بـالـدُّنَى
هَـلاَّ عَـمِـلْتَ لِـلْبَـقَـا ءِ فِي النَّعِيمِ والْـهَنَـا
ولِـلنَّـجَـاةِ مِـنْ شَـقَـاءٍ وَعَـذَابٍ وَعَـنَـا
أَلَـسْـتَ بِـالـلَّهِ وَيَـوْمِ الـدِّيـنِ عَـبْـدَاً مُـؤْمِـنَـا؟
أَلَـيْسَ فِـي الْـقُـرْآنِ مَـا يَـطْرُدُ عَـنْـكَ الْـوَسَـنَـا؟
أَلاَ تَـرَىٰ فِـي سُـنَّـةِ الْـمُـخْـتَـارِ هَـدْيـاً بَـيِّـنَـا؟

○ ○ ○

هـذا صِـرَاطُـكَ الْـقَـويـمُ كُـلُّهُ فَـيْضُ سَـنَـىٰ
فَـامْشِ عَـلَىٰ هُـداهُ واحْـذَرْ أَنْ تَـزِلَّ فِـي الْـخَـنَىٰ
أَوْ أَنْ تَـتِـيـهَ فِـي الـضَّـلاَلِ واتِّـبـاعِ مَـنْ جَـنَـىٰ

○ ○ ○

إِيَّـاكَ والـنَّـفْسَ وشَـيْـطَانَ الْـهَـوَىٰ والْـوَهَـنَـا
إِيَّـاكَ أَنْ تَـطْغَـىٰ وأَنْ تَـشْـعُـرَ يَـوْمـاً بِـالْـغِـنَىٰ

○ ○ ○

مَـنْ يَـهْـجُـرُ الـصِّـرَاطَ يَـقْـفُـو وَثَـنـاً فَـوَثَـنَـا
كَـمْ خُـطْوَةٍ فَـخُـطْوَةٍ لَـفَّـتْ عَـلَيْـكَ الـكَـفَـنَـا
أَوْ جَـلَبَـتْ لَـكَ الْـعَـذَابَ والـشَّـقَـا وَالْـحَـزَنَـا

○ ○ ○

تُـرَاكَ: هَـلْ حَـاسَبْتَ نَـفْسَـكَ الَّتِي تَـقْـفُـو الْـمُـنَىٰ
كَـمْ تُـنْـفِـقُ الـسِّـنِـيـنَ لِـلْآمَـالِ تَـنْـشُـدُ الْـهَـنَـا
تَـجْـرَعُ كَـدّاً دَائِـبـاً وَأَلَـمـاً مُـزَيَّـنَـا
وَبَـعْـدَ طُـولِ الـكَـدِّ لَا تَـمْـضَـغُ إِلَّا الـشَّـجَـنَـا
وَلَا تَـرَىٰ إِلَّا سَـرَا بـاً بَـعْـدَ كَـدٍّ وَضَـنَـىٰ
وَتَـجِـدُ الـلَّـهَ لَـدَيْـهِ كُـلَّ عَـدْلٍ يَـا «أَنَـا»

مكة المكرمة في ٣ محرم ١٤٠٥ هجرية (٢٢ بيتاً)

# ٣٨

خرجنا إلى نزهة بجبل «الشَّفَا» قرب الطائف وهو جبل مرتفع كثير المتنزهات الطبيعية ذات أشجار السرو، بصحبة لفيف من أساتذة «كلية الشريعة والدراسات الإسلامية» بمكة المكرمة، فيهم سعوديون ومصريون وسوريون.

وكان ذلك يوم الثلاثاء في ١٣٩٥/٦/١ هجرية، وقد كتبت في هذه النزهة قصيدة أنشدتها على زملاء رحلة هذه النزهة، وكان في ضيافتنا ذلك اليوم فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف حفظه الله.

في هذه القصيدة خاطبت فيها بعد الترحيب بالضيوف نفسي واعظاً ناصحاً، رجاء أن يعظ بها نفسه كلُّ زميلٍ من الأخوة المشاركين في هذه النزهة، وهي من أساليب التوجيه غير المباشر، وهي بعنوان:

**«ذكريات في الشفا»**

# ذكريات في الشَّفا

يَا ضُيُوفاً فِي الشَّفَا زِدْتُمونَا شَرَفَا
لَكُمو مِنَّا دُعَاءٌ بِهَنَاءٍ وَشِفَا
قَدْ سُرِرْنَا وَسَعِدْنَا بِصِحَابٍ شُرَفَا
أَوَلَسْتُمْ عُصْبَةَ الْحَقِّ وَإِخْوَانَ صَفَا
نَحْنُ فِي مَجْمَعِ أُنْسٍ وَإِخَاءٍ ووفَا
هَلْ وَجَدْتُمْ هَهُنَا إلَّا فُؤاداً قد هَفَا
وَجَنَاحاً مِنْ سُرورٍ بِالتَّلَاقِي رَفْرَفَا

○ ○ ○

إنَّ لِي مِنْ بَعْدِ تَرْحِيبِي لَدَيكُمْ مَوْقِفَا

○ ○ ○

قِصَّةٌ أَعْرِضُهَا عَرْضَ إخَاءٍ عُرِفَا
قِصَّةٌ فِي بَحْرِ عُمْرِي جَعَلَتْنِي مُرْهَفَا
كَمْ بِهَا مِنْ تَافِهَاتٍ تَتَرَاءَى طُرَفَا
إنَّهَا لِي مُبْكِيَاتٌ مُضْنِيَاتٌ أَسَفَا
بِتُّ لَيْلِي أَتَلَوّىٰ فِي فِرَاشِي مُدْنَفَا

○ ○ ○

عَاصِفٌ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ وَعِظَاتٍ . عَصَفَا
هَاتِفٌ فِي عُمْقِ صَدْري بِحَنَانٍ هَتَفَا
قَالَ لِي: يَا شَيْخُ أَكْثَرْتَ بِجَهْلٍ سَرَفَا

مَـنْ يُـجَـازِفْ فَـيُـقَـارِفْ فَـلْيُـحَـاذِرْ تَـلَفَـا

○ ○ ○

أَوَ مَـا يَـكْـفِـيـكَ أَنَّ الْـقَـرْنَ فِـيـكَ انْـتَـصَـفَـا
مَـرْكَـبُ الْـعُـمْـرِ إلـى سَـاحِـلِهِ قَـدْ أَزِفَـا

○ ○ ○

بَيْنَ عَيْنَيْكَ ـ إِذَا أَبْصَرْتَ ـ نَهْجُ الْمُصْطَفَىٰ
لِـمَ تَـمْـشِي فِـي الـزَّوايَـا مَـائِـلاً مُـنْـعَـطِفَـا؟
إنْ تَـجِـدْ فِـي الْـحَـرْفِ مَـا تَـهْـوَىٰ تَـكُـنْ مُـنْـحَـرِفَـا
أَوْ يُـصَـادِمْـكَ هَـوىٰ الـنَّـفْسِ تَـكُـنْ مُـنْـجَـرِفَـا
هَـمُّـكَ الـدُّنْـيَـا وَأَهْـوَاءٌ بِـهَـا لَـنْ تَـقِـفَـا
كُـلَّـمَـا أَعْـطَـيْـتَـهَـا جَـدَّ بِـهَـا مَـا أَلْـحَـفَـا
تُـهْـمِـلُ الْـجَـيِّـدَ إِذْ تَـعْـلَقُ مِـنْـهَـا الْـحَـشَـفَـا
تَـحْـسَـبُ الْـمُـسْـعِـدَ أَنْ تُـكْـثِـرَ مِـنْـهَـا الـتَّـرَفَـا

○ ○ ○

أَيْـنَ أُخْـرَاكَ وَمَـا قَـدَّمْـتَـهُ مُـسْـتَـعْـطِفَـا
ثَـمَـنُ الْـجَـنَّـةِ لَا يُـدْفَـعُ إِلَّا سَـلَفَـا
كُـلُّ مَـا تَـجْـمَـعُ تَـمْـضِـي عَـنْ ثَـراهُ أَسِـفَـا
سَـوْفَ لَا تَـلْقَـىٰ لَـهُ يَـوْمَ الْـحِـسَـابِ مَـصْـرِفَـا
سَـتَـرَىٰ أَنَّـكَ قَـدْ أَدْرَكْـتَ فِـيـهِ الْـخَـرَفَـا
حِـيـنَ عَـلَّقْـتَ بِـهِ الْـقَـلْبَ وَزِدْتَ الـشَّـغَـفَـا
إِنَّ مَـنْ أَهْـمَـلَ أُخْـرَىٰ عُـمْـرِهِ مَـا أَنْـصَـفَـا
خَـاسِـرُ الْـعُـمْـرِ الَّـذِي ضَـيَّـعَـهُ أَوْ أَتْـلَفَـا
دُونَ أَنْ يَـغْـرِفَ فِـيـه مِـنْ جِـنَـانٍ غُـرَفَـا

○ ○ ○

عِـنْـدَهَـا أَدْرَكْـتُ تَـقْـصِـيـرِي . وَدَمْـعِـي وَكَـفَـا
عِـنْـدَهَـا نَـادَيْـتُ رَبِّـي يَـا لَـطِـيـفـاً لَـطَفَـا
عَـوْنَـكَ الـلَّهُـمَّ رَبِّي أَنْـتَ حَـسْـبِـي وَكَـفَـىٰ

○ ○ ○

قَـالَ لِـي الْـهَـاتِـفُ: جِـدَّ السَّـعْـيِ يَـا مَـنْ أَسْـرَفَـا
رُبَّـمَـا عَـوَّضْـتَ مَـا ضَـيَّـعْـتَ فِـيـمَـا سَـلَفَـا
إِنَّـمَـا الْـمُـؤْمِـنُ مَـنْ إِنْ خَـرَقَ الـثَّـوْبَ رَفَـا
وعَـنِ الـتَّـقْـصِـيـرِ والآثَـامِ خَـوْفـاً عَـزَفَـا
ولِـفِـعْـلِ الْـخَـيْـرِ والإِخْـلَاصِ فِـيـهِ انْـعَـطَفَـا

○ ○ ○

إِنَّ رَبِّـي عَـرَّفَ الْـجَـنَّـةَ لَـمَّـا عَـرَّفَـا
وَدَعَـانَـا مِـنْ طَـرِيـقِ الـصَّـبْـرِ حـتَّـىٰ نَـشْـرُفَـا

○ ○ ○

هٰـذِهِ قِـصَّـةُ نَـفْـسِـي يَـا صِـحَـابِـي الْـحُـنَفَـا
هَـلْ أَرَىٰ فِـيكُـمْ لِنَفْسِـي فِـي حَـيَـاتِـي مُـسْـعِـفَـا
قِـصَّـتِـي قِـصَّـةُ جُـلِّ الـنَّـاسِ يَـا مَـنْ عَـرَفَـا

الشفا ــ في غرة جمادى الثانية ١٣٩٥ هجرية (٤٩ بيتاً)

# ٣٩

بمناسبة المجاعة العظيمة التي حدثت في إفريقية القارة السوداء هذه الأيام، وقيام لجان جمع التبرعات، لمساعدة المنكوبين والمتضررين، في هذه المجاعة التي يتساقط فيها عشرات الألوف موتى من الجوع، كتبت هذه القصيدة، ودفعت بها إلى جريدة «الندوة» عن طريق الصحفي الأديب الأستاذ محمد أحمد الحساني، ثم نشرت في جريدة «رابطة العالم الإسلامي»، وهي بعنوان:

**«المجاعة والواجب»**

# المجاعة والواجب

الـرُّزُّ وَاللَّحْمُ فِي الْقُمَامَـةْ ... وَأُمَّـةٌ لَا تَـرَىٰ الْقُمَـامَـةْ
تَـمُـرُّ أَرْتَـالُ جَـائِعِـيهِـمْ ... يَـجُـرُّ كُـلٌّ مِنْـهُـمْ حُـطَامَـهْ
يَشْتَـدُّ فِي الْبَـحْثِ عَنْ طَعَـامٍ ... يُـقِـيـمُ فِـي سَـفِّـهِ قِـوَامَـهْ
يَـعْبُـرُ مِـنْ جُـوعِـهِ الْفَيَـافِي ... يَـرْقُبُ فِي زَحْفِـهِ حِمَـامَـهْ[1]
وأُمِّ طِـفْـلٍ مَـاتَـتْ تَـرَاهُ ... شَـدَّ عَـلَىٰ ثَـدْيِهَـا خِصَـامَـهْ
وآكِـلٍ لَـحْـمَـهُ تَـرَاهُ ... يَـجُـرُّ فَـوْقَ الثَّـرَىٰ عِـظَامَـهْ
يَـقْـضَـمُ أَظْـفَـارَهُ عَـسَـاهَـا ... تَـسُـدُّ مِـنْ جُـوعِـهِ قُـلَامَـهْ
وَوَاهِـنٍ خَـلْفَـهُ تَـهَـاوَىٰ ... رِتْـلٌ . وَرِتْـلٌ هَـوَىٰ أَمَـامَـهْ
أُلُـوفُـهُـمْ يَـسْـقُـطُونَ مَـوْتَـىٰ ... فَـأَيْـنَ يَـا عَـالَمُ الشَّـهَـامَـةْ

○ ○ ○

لَا لَـوْمَ فِي الـرِّزْقِ فَهْـوَ جَـمٌّ ... لَـكِنْ على فِـعْـلِنَـا الْـمَـلَامَـةْ
الـرِّزْقُ فِـي أَرْضِـنَـا وَفِـيـرٌ ... وفِـعْـلُنَـا يُـفْـسِـدُ اغْـتِـنَـامَـهْ
وشُـحُّـنَـا يَـصْـنَـعُ الـتَّـجَـنِّي ... وظُـلْـمُـنَـا يُـفْـسِـدُ اقْـتِـسَـامَـهْ
يَـا أَيُّـهَـا الـنَّـاسُ أَيْـنَ أَنْـتُـمْ ... مِنْ ذا؟ . فَهَـلْ قَـامَتِ القِيَـامَةْ؟
كَـمْ أَتْلَفَ الْـغَـرْبُ مِـنْ ثِـمَـارٍ ... وَكَـانَ شَـيْـطَانُـهُ إِمَـامَـهْ
ضَـنُّـوا بِـهِ أَنْ يَـقِـلَّ سِـعْـراً ... إِذَا هُـمُـو أَفْـلَتُـوا زِمَـامَـهْ
يُـفِـيضُ رَبِّـي وَيَـبْـتَـلِيـهِـمْ ... لَـكِـنَّـهُـمْ حَـلَّلُوا حَـرَامَـهْ
وَمَـا اسْتَجَـابُـوا لِمَـا هَـدَاهُـمْ ... لَـهُ. وَلَـمْ يَـسْـمَـعُـوا كَـلَامَـهْ

---

(١) حِمامه: الحِمامُ الموت.

كَمْ بَـدَّدَ الشَّـرْقُ جُهْـدَ شَعْـبٍ	كَيْ يَصْنَـعَ الْمَوْتَ بَـلْ زُؤَامَـهْ[1]
واسْتَـورَدَ الْـقَـمْـحَ مِـنْ بِـلَادٍ	قَـدْ حَـارَبَتْ فِي الْـوَرَىٰ نِـظَامَـهْ
فِي الشَّـرْقِ وَفْـرٌ. لَـكِنْ نِـظَامٌ	شَـدَّ عَـلَىٰ شَـعْـبِـهِ لِـجَـامَـهْ
الشَّـرْقُ أَضْنَىٰ الْحَـيَـاةَ بَـأْسـاً	فَـالْبُـؤْسُ فِيـهِ أَرْخَىٰ ظَـلَامَـهْ

○ ○ ○

يَـا قَـوْمَـنَـا رَاقِـبُـوا إِلَـهـاً	حَـبَـاكُـمُـو الْخَيْـرَ والكَـرَامَـةْ
مِنْ فَضْـلِ أَفْـرَاحِكُمْ أَفِيضُـوا	عَـلَىٰ أَخٍ لَـمْ يَـجِـدْ طَـعَـامَـهْ
بَـعْضُ الَّـذِي تُهْـرِقُـونَ كِـبْـراً	إِنْ تَـبْـذُلُـوهُ يُـرْوِي أُوامَــهْ[2]
بَـعْضُ الَّـذِي تُـسْـرِفُـونَ فِيـهِ	يُشْبِـعُ شَعْباً. يَشْفِي ارْتِـطَامَـهْ
إِنْ تَـبْـذُلُـوهُ تُحْيُـوا نُـفُـوسـاً	وتَـغْـنَـمُـوا بَـعْـدَهُ الـسَّـلَامَـةْ
تَـذَكَّـرُوا غَـابِـرَ الـلَّيَـالِـي	وَرَاقِـبُـوا الـلَّـهَ وانْـتِـقَـامَـهْ
أَلَا ارْحَمُـوا تُـرْحَمُـوا. وأَرْضُـوا	رَبَّ الْـبَـرَايَـا بِـالاسْـتِـقَـامَـةْ
وَحَـاذِرُوا قَـوْمَـنَـا عِـقَـابـاً	فِـي يَـوْمٍ لا تَنْـفَـعُ النـدامَـةْ
وَحَـاذِرُوا دَوْرَةَ الـلَّيَـالِـي	وَلَا تَـظُنُّـوا الـدُّنْـيَـا سَـلَامَـةْ

مكة المكرمة في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية	(٣٠ بيتاً)

---

(١) زُؤامه: الموت الزؤام هو الموت الكريه.
(٢) أوامه: الأُوام العطش.

# ٤٠

طلبت مني زوجتي السيدة عائدة الجراح أستاذة الثقافة الإسلامية والغزو الفكري بقسم الطالبات في جامعة «أم القرى» قصيدة تصلح للإلقاء في احتفال نسائي بقسم الطالبات في الجامعة، لترغيب المدعوات إلى هذا الحفل وهنّ فضليات نساء مكة، للتبرع لصندوق البرّ، وهو صندوق خيـري أسس في القسم، تشرف عليه «جمعية البرّ» وهي جمعية من عضوات هيئة التدريس والإداريّات، وزوجتي إحداهن، لمساعدة الطالبات الفقيرات وأسرهن، وسائر منسوبات الجامعة من ذوات الحاجة، وغيرهن من خارج الجامعة.

فكتبت لها هذه القصيدة في السادس من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هجرية، وألقتها في الحفل الذي أقيم لهذه المناسبة، وكان لها تأثيرها الحسن في اللواتي حضرن هذا الحفل الخيري الميمون، وهي بعنوان:

«صندوق البرّ»

# صندوق البرّ

لَنَـا أَرْضٌ بِـرَابِيَـةٍ خَصِيبَـةْ حِسَـانٌ ثِمَـارِهَـا مِنَّـا قَـرِيبَـةْ
فَمَنْ يَـزْرَعْ بِهَـا شَجَـراً يُصِبْهَـا جِنَـانـاً ذَاتَ فَـاكِهَـةٍ عَجِيبَـةْ
وَمَنْ يَـزْرَعْ بِهَـا حَبّـاً وعُشْبـاً يَجِـدْ وَفْـرَ الْحَصَـادِ بِهَـا نَصِيبَـهْ
يُضَـاعِفْ حَبَّـهُ سَبْعِيـنَ ضِعْفـاً بِعَشْـرٍ قَدْ ضُـرِبْنَ عَـدا الـرَّطِيبَـةْ
هَـلُمَّ ادْخُـلْنَ جِنَّـتَـكُنَّ فِـيهَـا تَـرَيْنَ ثَـوَابَكُـنَّ بِهَـا. وَطِيبَـهْ
وَبَـابُ الْبِـرِّ مَـدْخَلُكُنَّ فِيهَـا وَمَـا تَبْـذُلْنَ مِنْ دُنْيَـا قَشِيبَـةْ[1]
وَفِـي يَـدِكُنَّ مِفْتَـاحٌ صَغِيـرٌ بِـهِ تَمْلِكْنَ خَيْـرَاتٍ خَـبِيبَـةْ
بِـهِ تَسْعَـدْنَ فِـي جَنَّـاتِ خُـلْدٍ بِمَـا تَـطْلُبْنَ مِنْ مُتَـعٍ رَغِـيبَـةْ
وَمَـا مِفْتَـاحُـهَـا السِّـحْـرِيُّ إِلاَّ عَـطَاءٌ يُسْعِـدُ الْكَفَّ الْجَـدِيبَـةْ
عَـطَاءٌ يَجْعَـلُ الْمَكْـرُوبَ فَقْـراً يُـدَاوِي مِنْ بَلاَسِمِـهِ كُـرُوبَـهْ

○ ○ ○

لَنَـا أَرْضٌ بِـرَابِيَـةٍ خَصِيبَـةْ حِسَـانٌ ثِمَـارِهَـا مِنَّـا قَـرِيبَـةْ
فَتَحْنَـا «بَنْـكَ» الاسْتِثْمَـارِ فِيهَـا فَمَنْ يُسْهِمْ بِـهِ يَمْـلأْ جُيُـوبَـهْ
وَيَـمْلِكْ فَـارِهـاً ثَـمَـراً وَظِـلاًّ وَيَبْنِي كُـلَّ شَـامِخَـةٍ رَحِيبَـةْ
أَيَـا أَخَـوَاتِنَـا اسْتَثْمِـرْنَ فِـيهَـا فَخَيْـرَاتُ السَّمَـاءِ بِهَـا صَبِيبَـةْ[2]

○ ○ ○

يَـدُ الْمِسْكِيـنِ سَـائِلَةٌ فَـهَـلاَّ مَسَحْتُمْ بُؤْسَـهَـا بِيَـدٍ مُجِيبَـةْ

---

(١) القشيب: الجديد، ثوب قشيب: أي جديد، وقديم خَلَق فهو من الأضداد.
(٢) صبيبة: الصبيب العسلُ الجيد.

فَمَنْ يَمْسَحْ دُمُوعاً سَاخِنَاتٍ وَقَاهُ اللَّهُ أَيَّاماً عَصِيبَةْ
وَمَنْ يَبْخَلْ وَيَقْبِضْ راحَتَيْهِ فَوَجْهُ الدَّهْرِ يُعْطِيهِ قُطُوبَهْ
وَإِنْ تَمْسَسْهُ فِي يَوْمٍ خُطُوبٌ فَمَا أَحَدٌ يُزِيلُ لَهُ خُطُوبَهْ
وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ لِغَدٍ ثَوَاباً أَتَتْهُ مِنْ يَدِ الْعَدْلِ الْعُقُوبَةْ

○ ○ ○

وَلِلْفِرْدَوْسِ مِنْ جَنَّاتِ خُلْدٍ دُرُوبٌ فَاتَّخِذْنَ لَهُ دُرُوبَهْ
وَراحِلَةُ الْعَطَاءِ بِهَا رَكُوبٌ كَرِيمٌ. عَزَّ مَنْ أَغْنَىٰ رَكُوبَهْ

○ ○ ○

هُنَا مَنْ شَاءَ الاسْتِثْمَارَ نَمَّىٰ «بِبَنْكِ» الْبِرِّ مِنْ رِبْحٍ نَصِيبَهْ

مكة المكرمة في ١٤٠٣/٥/٦ هجرية (٢٢ بيتاً)

# ٤١

في هذه القصيدة بيان أنّ السَّفيه ناقصَ العقل هو الذي يعرّض نفسه لعقوبة الله وهو يعلم، وذلك بارتكاب المعاصي وكبائر الإثم، اتباعـاً لهواه أو شهوته، مهما كان في أمور دنياه ذكيّاً.

فإبليس بسفهاهته قال على الله شططاً كما ذكر عقلاء الجنّ، والمنافقون سفهاء ناقصو العقول، كما وصفهم الله بقوله في سورة (البقرة: ٢):
﴿ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ (الآية ١٣).

وعلماء اليهود في المدينة إبّان تحويل القبلة، وصفهم الله بأنهم سفهاء، فقال عز وجل في سورة (البقرة: ٢):

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ (الآية ١٤٢).

والسبب في ذلك تجرّؤهم على الله بالمعاصي.

وإذْ كان المتجرّىء على الله بالمعاصي وارتكاب كبائر الإثم سفيهاً كان من المناسب أن يسهم الشعر في بيان هذه الحقيقة بصورة أدبية، مع تحليل يكشف سبب سفاهته، وقد وضعت لهذه القصيدة المشتملة على ذلك عنوان:

**«سفاهة الأثيم»**

## سفاهة الأثيم

نَـطَقَـتْ نَـزْوَةُ الأَثِـيـمِ بِـفِـيـهِ　　فَـرَمَـىٰ الْعَـاقِـلِينَ بِـالـتَّسْـفِـيـهِ
فِيـهِ دَاءُ الْهَـوَىٰ لِكُـلِّ شَهِـيٍّ　　وَمُـبَـاحُ الـلَّذَاتِ لَا يَـكْـفِـيـهِ
دَاؤُهُ سَـاقَـهُ إِلـىٰ كُـلِّ إِثْـمٍ　　زَاعِـمـاً أَنَّ إِثْـمَـهُ يَـشْـفِـيـهِ
هُــوَ هَيْمَـانُ ظَـامِىءُ لِلْمَعَـاصِي　　وَبُـحُـورُ الْآثَـامِ لَا تُـرْوِيـهِ

○ ○ ○

إِنْ يَغِبْ عَنْكَ سَاعَةً فَهْوَ لِصٌّ　　فِـي خَـوَافِـي آثَـامِـهِ تُـلْفِـيـهِ
يَتَـوَارَىٰ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ظَنّـاً　　مِـنْـهُ أَنَّ اسْتِـخْـفَـاءَهُ يَـحْـمِـيـهِ
زَيَّنَتْ نَـفْسُـهُ إِلَيْـهِ الْمَعَـاصِي　　بِخِـدَاعِ التَّخْيِـيـلِ والتَّمْـوِيـهِ
هُـوَ إِنْ لَمْ يَشْهَـدْ رَقِيبـاً عَلَيْـهِ　　ظَنَّ مَـا فِيـهِ مِنْ عَمىً يُخْفِيـهِ
يَـتَعَـدَّىٰ فِـي دَهْـرِهِ كُـلَّ حَـدٍّ　　دُونَ خَوْفٍ. أَنْ كَانَ مِنْ مُتْـرَفِيهِ

○ ○ ○

أَيُّـهَـا الآثِمُ الْجُـهُـولُ تَـبَـصَّـرْ　　كُـلُّ كَـسْـبٍ جَـزَاؤُه قَـافِـيـهِ
لَا تَقُـلْ غَفْلَةٌ مِنَ الدَّهْـرِ جَاءَتْ　　لَـكِ يَـا نَفْسُ بِـالْهَـنَا فَـارْشُفِيـهِ
غَـفَـلَ الـدَّهْـرُ يَـا صَفِيَّـةُ عَنَّـا　　وَجَنَىٰ الْحُبِّ قَدْ دَنَـا فَـاقْـطِفِيـهِ
الْمَقَـادِيـرُ رَاصِـدَاتُـكَ مَـهْمَـا　　أَسْكَـرَتْـكَ الْحَيَـاةُ بِـالتَّـرْفِيـهِ
وَلَئِـنْ كُنْتَ صَـاحِيـاً تَـتَخَـفَّىٰ　　ضِمْنَ غَـارٍ فَـرَاصِـدَاتُـكَ فِيـهِ
أَنْتَ فِي الْبَحْـرِ هَـارِبٌ فِيـهِ مِنْـهُ　　فِي سِجِـلِّ الْأَرْصَـادِ مَـا تُخْفِيـهِ
أَنْتَ فِي عَـالَمِ امْتِحَـانٍ وَمَهْمَـا　　تَجْنِ شَيْئـاً فَـرَاصِـدٌ يَقْتَفِيـهِ

○ ○ ○

فَاصْحُ وَاعْقِلْ وَاعْمَلْ لِأُخْرَاكَ واعْلَمْ أَنَّ زَادَ التَّقْــوَىٰ نَـعِيـمُــكَ فِيــهِ

عَمَــلٌ مِنْكَ تَــزْرَعُ الْخُلْدَ فِيــهِ بِـرِضَـا اللَّـهِ خَيْـرُ مَـا تَصْــطَفِيـهِ

○ ○ ○

وَمَتَــاعٌ تَجْنِي بِــهِ سُــوءَ عُـقْبَىٰ تَنْتَـقِي بِــاخْـتِيَــارِهِ اسْـمَ سَفِيــهِ

مكة المكرمة في ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥ هجرية (١٩ بيتاً)

# ٤٢

قامت الخلافة الإسلامية التركية العثمانية أكثر من أربعة قرون، حاملة راية الجهاد والفتح الإسلامي، بقوة أرهبت الشرق والغرب.

ثم دبّ إليها الضعف بعوامل الشيخوخة، والبعد عن جوهر الإسلام، والاكتفاء بالمظاهر. وتسلل اليهود والنصارى إلى داخلها بأشكالٍ كثيرة من المكر والكيد والنفاق، حتى بلغ شياطين منهم مبلغ البطانة المستأمنة، العالمة بالأسرار وخفايا القوى، وبلغ آخرون منهم إلى احتلال مراكز خطيرة في الأجهزة العسكرية والسياسية، وفي المنظمات الاجتماعية والسياسية التي تتذرع بالديمقراطية، وصاروا في مواضع تسمح لهم بأن يكيدوا وهم آمنون.

وصدّر الغرب إلى شعوب الأمة الإسلامية فكرة القوميّات التي مزّقت الوحدة الإسلامية، وأخذ الترك والعرب منها نصيباً كبيراً كافياً لهدم الخلافة الإسلامية وتمزيقها.

وتطلع المتنورون إلى الحضارة الغربية الحديثة مندفعين إلى استيرادها بخيرها وشرها، وغرق المستوردون لهذه الحضارة في استيراد فسقها وفجورها أكثر من استيراد علومها المادّية.

وتطورت الأحداث، وحقّق الأعداء مخطّطاتهم الكيديّة ضدّ المسلمين، فمزّقوا السلطنة العثمانية، واقتسموا تركتها، وأسقطوا الخلافة الإسلامية، واستعمروا معظم العرب.

واتجه الترك الكماليّون شطر العلمانية بعنفٍ وإسراف، ثم لم يجن الترك من هذه العلمانية بعد ستين سنة تقدّماً حضاريّاً، ولا قوة مادّية أو اقتصادية.

وأخذت الصحوة الإسلامية تنبعث رويداً رويداً، بعد ليلٍ شديد الظلمة.

وإذا قضى الله واستمرّ الترك يتابعون مسيرة الصحوة بوعي وأناة، استطاعوا بتوفيق الله ومعونته أن يستعيدوا مجدهم وقوتهم في العالم.

وهذه القصيدة بعنوان:

**«اسطنبول» أو «إسلام بول»**

تشتمل على ذكريات، وعظات، ودعوة إلى استعادة الإسلام بحق وصدق، فاستعادة الأمجاد، أثارتها إجازة صيف قضيتها في تركيا بشوال ١٤٠٤ هجرية.

نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٨٧١٠) يوم ٢١ صفر (١٤٠٥) هجرية محذوفاً منها المقاطع الأخيرة، مع الإشارة إلى أنني أضفت إليها بعض الأبيات هنا.

## «اسطنبول»، أو «إسلام بول»

يَاذَا الْجَنَاحَيْنِ حُطَّ الرَّحلَ مُزْدَانَا ... إِذَا وَصَلْتَ إِلَىٰ «اسْطَنْبُولَ» نَشْوَانَا
قَدْ كَانَ يَوْماً هُنَا عِزٌّ وسَلْطَنَةٌ ... للتُّرْكِ إِذْ نَصَرُوا الإِسْلَامَ فُرْسَانَا
قَدْ كَانَ يَوْماً هُنَا قَصْرٌ أَوَامِرُهُ ... تُطَاعُ فِي الْأَرْضِ إِجْلَالاً وَإِذْعَانَا
الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ كالْقِرْطَاسِ فِي يَدِهِ ... فَلَا يَرَىٰ فِيه مُمْلِي الْخَطِّ عِصْيَانَا

○ ○ ○

مِنْ هَـٰهُنَا انْطَلَقَ التَّكْبِيْرُ فِي حِقَبٍ ... فَكَانَ فَتْحاً. وَإِصْلَاحاً. وتِبْيَانَا

○ ○ ○

مَآذِنُ الْعِزِ فِي «الْبُسْفُور» أَذْهَلَنِي ... شُمُوخُها فِي الرَّوَابِي الْخُضْرِ مُرَّانَا[1]
أَهِيَ الرِّمَاحُ بِأَكْبَادِ الْعُدَاةِ قَذىً[2] ... أَمِ الْأَذَانُ بِهَا قَدْ شَعَّ إِيمَانَا

○ ○ ○

جَوَامِعُ الْمَجْدِ حَوْلَ الْبَحْرِ قَدْ نُظِمَتْ ... كَالتَّاجِ وَالْعِقْدِ. إِيمَاناً وَبُنْيَانَا
دَلَّتْ عَلَىٰ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ ... قَدْ كَانَ يَوْمَاً يُظِلُّ الكَوْنَ سُلْطَاناً

○ ○ ○

تَسَمَّعِ النُّطْقَ فِي الآثَارِ تَلْقَ لَهُ ... أَصْدَاءَ تَحْكِينَ أَحْدَاثاً وَأَزْمَانَا
كُلُّ الْحِجَارَةِ فِيهَا سُطِّرَتْ كُتُبٌ ... تَقُصُّ عَصْراً طَوىٰ صِيداً وشُجْعَانا
تَرْوِينَ قِصَّةَ أَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ ... قَامَتْ إلى الْفَتْحِ أَشْيَاخاً وَمُرْدَانَا
وَكَانَ بُشْرَىٰ رَسُولِ اللَّهِ فَاتِحُهَا ... نِعْمَ الْأَمِيرُ وَنِعْمَ الْجَيْشُ قَدْ كَانَا

---

(١) الْمُرَّان: الرّماح اللّدنة الصُّلبة، واحدتها مُرّانة.

(٢) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب مما يؤذي.

مُحمَّدُ الْفَاتِحُ الْمِغْوَارُ مَرَّ عَلَىٰ جِبَالِ أَسْوَارِهَا شَمْساً وَبُرْكَانَا

جَاءَت لَه «آيا صُوفْيَا» تَرْتَجِيهِ نَدىً فَكَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا

أَهْدىٰ لَهَا الْعَفْوَ والتَّأْمِينَ مَكْرُمَةً وَزَادَهَا دِينُهُ عَطْفاً وَإِحْسَانَا

وَخَرَّ لِلَّهِ إِذْ جَاءَتْهُ رَاكِعَةً فِي سَجْدَةٍ حَطَّمَتْ فِي الْقَوْمِ صُلْبَانَا

فِي سَجْدَةٍ كَتَبَتْ فِي الْأَرْضِ سِفْرَتُقىً وَلَمْ تَدَعْ فِي حَوَاشِي النَّفْسِ طُغْيَانَا

يَقُولُ لِلنَّاسِ فِيهَا: إِنَّنِي بَشَرٌ عَبْدٌ. أُقَدِّمُ لِلرَّحْمَنِ شُكْرَانَا

فَهُوَ الَّذِي قَدْ حَبَانِي نَصْرَهُ كَرَماً وَهْوَ الَّذِي زَادَنِي بِالدِّينِ إِيقَانَا

○ ○ ○

هُنَا الْخِلَافَةُ كَانَتْ عِزَّةً وَهُدىً تَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا

هُنَا الْخِلَافَةُ كَانَ النَّاسُ يَرْهَبُهَا إِنْ تَرْضَ تَمْنَحْ لِأَهْلِ الْعَدْلِ تِيجَانَا

كَانَتْ قِلَاعاً وَأَجْنَاداً مُجَنَّدَةً وَحِكْمَةً وَتُقَىً تَحْمِي وَإِتْقَانَا

قَوَاعِدُ الْحَقِّ أَرْسَتْ مَجْدَهَا حِقَباً قُرُونُها قَبْضَةٌ لَمْ تَخْشَ أَقْرَانَا

○ ○ ○

ثُمَّ اسْتَكَانَتْ وَقَامَ السُّوسُ يَنْخَرُ فِي عِظَامِهَا. وَوَهَتْ رَأْساً وَأَرْكَانَا

وأَصْبَحَ الدِّينُ فِي أَرْجَائِهَا صُوَراً لَا رُوحَ فِيهَا. وَأَخْلَاطاً. وأَوْثَانَا

وَصَارَ لِلْفِسْقِ أَسْوَاقٌ تُبَاعُ بِهَا أَخْنَىٰ الرَّذَائِلِ عِصْيَاناً وكُفْرَانَا

وَسَارَ فِي جِسْمِهَا مَكْرَانِ ضَمَّهُمَا مِنْ دَاخِلِ الْجِسْمِ مَا قَدْ زَادَ خُسْرَانَا

مَكْرُ الْيَهُودِ وَمَكْرُ الْغَرْبِ قَدْ سَعَيَا لِنَسْفِهَا. إِذْ غَدَتْ ثَوْباً وَعِيدَانَا

والْفَاسِقُونَ الَّذِينَ اسْتَغْرَبُوا جَمَعُوا لِلْمَكْرِ قُوَّاتِهِمْ ظُلْماً وَعُدْوَانَا

وَانْسَاقَ فِي مَحْفِلِ «الْمَاسُونِ» ذُوبَلَهٍ أَعْمَىٰ. يُتَابِعُ زِنْدِيقاً وشَيْطَانَا

وَاسْتَجْمَعَ الْكَيْدُ أَسْبَاباً بِلَا عَدَدٍ كَيْمَا يُقَوِّضَ بُنْيَاناً فَبُنْيَانَا

○ ○ ○

وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الشَّهْمُ خَصْمَهُمُو لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي الْحَقِّ أَعْوَانَا

○ ○ ○

يَا تُرْكُ عُودُوا إلى الدِّينِ الْحَنِيفِ تَعُدْ إِلى بَلادِكُمُو أَمْجَادُ عُثْمَانَا

تركيا ــ شوك شدرة في ٣٠ شوال ١٤٠٤ هجرية (٣٤ بيتاً)

# ٤٣

بمناسبة أسبوع المساجد، وانعقاد المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وإثر حفل التكريم لأعضاء هذا المجلس الذي أقامه النادي الأدبـي بمكة المكرمة في غرة ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية، ألهمني الله هذه القصيدة حول المسجد، وهي بعنوان:

«حوار مع المسجد»

# حوارٌ مع المسجد

قَادَنِي الْخَطْـــوُ فَـانْعَـطَفْتُ لِبَيْتٍ فَــاحْتَـوَانِي بِـــرُوحِــهِ الْمُتَــوَقِّــدْ

قُلْتُ: مَـا ذَلِـكَ الْجَــلاَلُ وَهَـذَا السِّــرُّ والنُّورُ؟ قَـالَ: إِنِّيَ مَسْجِـدْ

قُلْتُ: يَا بَيْتُ. أَنْتَ بَيْتُ لِرَبِّـي؟ قَـالَ: إِنِّي لِلَّـهِ. فَـاعْبُـدْ وَوَحِّـدْ

أُدْعُــهُ وَحْــدَهُ. وَلاَ تَـدْعُ شَيْئـاً مَـعَــهُ دُونَــهُ. وَسَبِّــحْ وَمَـجِّــدْ

لاَ تَكُنْ مُشْــرِكــاً بِــهِ أَيَّ شَيْءٍ أَهْــوَنُ الشِّــرْكِ لِلْعِبَــادَةِ مُفْسِــدْ

قُمْ لَـهُ عَـابِــداً. وَرَتِّـلْ كَـلاَمـاً مِنْهُ. وَارْكَعْ مَعَ التَّضَرُّعِ واسْجُـدْ

وَتَـعَـهَّــدْ لِــقَــاءَهُ فِي رِحَـابِـي وَمِنَ اللَّيْــلِ قُـمْ لَــهُ وَتَهَـجَّــدْ

وَاتَّـخِــذْ مَجْلِســاً لَــدَيَّ لِتَـتْلُو فِـيــهِ آيَـاتِــهِ. وَرَتِّــلْ وَجَـوِّدْ

وَتَــدَبَّــرْ خِــطَابَــهُ. وَتَــفَــكَّــرْ وَاشْغَلِ الْقَلْبَ فِي مَعَانِيهِ وَاحْشِدْ

حِينَ تَتْلُو الـذِّكْـرَ الْحَكِيمَ تُنَاجِي مُنْزِلَ الذِّكْرِ. فَاسْتَزِدْ مِنْهُ وَاسْعَـدْ

○ ○ ○

أَنَــا بَيْتٌ لِـلَّـهِ يَــا عَبْـدَ رَبِّي فَــأْتِنِي طَـاهِــراً. وَطِبْ. وَتَجَـرَّدْ

طَـهِّــرِ الثَّــوْبَ وَالْـفُـؤَادَ وَأَخْلِصْ وَالْتَـزِمْ شِـرْعَـةَ الـرَّسُـولِ مُحَمَّـدْ

وَتَــطَيَّبْ حِسّــاً وَمَـعْنَـى وَحَــاذِرْ أَنْ تَسُوقَ الْأَذَىٰ إِلَىٰ أَيِّ مَسْجِدْ

وَتَــزَيَّنْ. وَكُنْ أَنِيقــاً رَفِيقــاً مَــوْرِدُ الْأَتْقِيَــاءِ أَشْــرَفُ مَـوْرِدْ

لاَ تَــرِدْهُ وَأَنْتَ تُـؤْذِي صِحَــابــاً فيـهِ جَاءُوا قُصَّـادَ أَفْضَلِ مَقْصِدْ

وَتَــعَــهَّــدْ مَــوَاطِئِـي بِـطَهُــورٍ فَعَلَيْهَــا الْجِبَـاهُ بِـالـذُّلِّ تَسْجُـدْ

وَاجْتَنِبْ فِي جَــوَانِبِي كُـلَّ لَغْــوٍ أَنْتَ فِي سُــوقِ مَـغْنَـمٍ فَتَـزَوَّدْ

○ ○ ○

فِي رِحَابِي تَرَىٰ الْجَمَاعَةَ جِسْماً وَاحِداً فِي الإِخَاءِ. لَمْ يَتَعَدَّدْ
وَتَرَىٰ كُلَّ وَاحِدٍ فِيَّ جَمْعاً بِالْهُدَىٰ. والْقُوَىٰ. وَرَأْيٍ مُسَدَّدْ
أُمَّتِي أُمَّةُ الإِخَاءِ وَعِنْدِي بَيْنَ أَفْرَادِهَا الْوَشَائِجُ تَشْتَدّ
قَادَةُ الْفَتْحِ مِنْ غِرَاسِ رِحَابِي وَنُجُومُ الْهُدَىٰ. وَأَجْنَادُ أَحْمَدْ
جَامِعَاتُ الْعُلُومِ هُنَّ بَنَاتِي ثُمَّ بَعْدَ الْبَنَاتِ كُلُّ مُوَلَّدْ
سَارِيَاتِي أَبْرَاجُ أَحْبَارِ عِلْمٍ وَرَشَادٍ. تُسْدِي. وَتَهْدِي. وَتُرْشِدْ
وَعَلَىٰ مِنْبَرِي تَصُولُ أُسُودٌ رُبَّمَا تُرْهِبُ الْبُغَاةَ. وَتُخْمِدْ

○ ○ ○

أَذِنَ اللَّهُ فِي عُلاَهُ بِأَنْ أُرْ فَعَ مَا دَامَ فِي الدِّيَارِ مُوَحِّدْ
أَنَا بِالذِّكْرِ والصَّلاَةِ وَبِالْعِلْـ ـمِ وَكُلِّ الْهُدَىٰ بِنَائِي الْمُخَلَّدْ
لاَ بِنَقْشٍ وَزِينَةٍ وَرُسُومٍ وَعَقِيقٍ. وَعَسْجَدٍ. وَزَبَرْجَدْ
بَيْدَ أَنَّ الَّذِي يُوَسِّعُ أَرْضِي وَيَشِيدُ الْبِنَاءَ مِنِّيَ يُحْمَدْ
فَجَزَىٰ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ بُنَاتِي وَحَبَاهُمْ نُعْمَىٰ الْحَيَاةِ وَسَدَّدْ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُطِيعُ لِمَوْلاَ كَ. تَجَرَّدْ. وَوَافِنِي وَتَعَبَّدْ
وابْتَغِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَضَرَّعْ وَاغْسِلِ الذَّنْبَ. وابْتَدِىءْ. وَتَجَدَّدْ
أَصْغِ عِنْدِي لِمَنْ يُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ وَيَهْدِي بِالْحَقِّ. واحْفَظْ. وارْشُدْ
وَإِذَا مَا انْصَرَفْتَ عَنِّيَ فَاذْكُرْ رَبَّكَ اللَّهَ فِي مَسَاعِيكَ تَرْشُدْ

○ ○ ○

هَهُنَا أُقْفِلَ الْحِوَارُ. وَأَرْخَىٰ بَيْتُ رَبِّي سِتْرَ الْكَلاَمِ الْمُسَدَّدْ
وَقَبِلْتُ النُّصْحَ الْجَلِيلَ وَإِنِّي سَأُنَادِي بِنُصْحِهِ. وَأُرَدِّدْ

مكة المكرمة في ٣ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية (٣٥ بيتاً)
وبعضها في ٢٨ منه.

# خاتمة

هذا ما ألهمني الله جمعه في هذا الديوان، مما كتبتُ من شعر يتعلق بمنهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

وإني أعلم أنني لم أستوف كلّ ما ينبغي بيانه في منهاج الدعوة، لأنّ ذلك يتطلب سبراً مستقصياً كلّ التوجيه التربوي القرآني، الذي وجه الله به رسوله في مجال دعوته، وتبليغ رسالة ربّه منذ مراحل التنزيل الأولى، حتى آخر آية نزلت من القرآن، مع تدبرّ قواعد هذا المنهج، وضوابط حركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لكل سيرة الرسول ﷺ، مع التأمل والتدبر لاستخلاص التطبيقات المتعلقة بمنهاج الدعوة وحركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لأقواله التوجيهية في هذا المجال.

على أنّ ما نبهت عليه في القسم الأول من هذا الديوان يعتبر مهمًا جداً، وهو يشتمل على كبرى قواعد هذا المنهج، وأمّا ما جمعته من شعر في القسم الثاني من هذا الديوان فهو نماذج مما كتبت من شعر في موضوعات الدعوة، قد يرى فيها القارىء بعض التطبيقات المناسبة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ منه في صباح يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٥ هجرية و ١٩٨٥/٣/١٧م.

عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني

# فهرس

**مجموع أبيات الديوان ٢٢٦٣ بيتاً**

# من أدب الدعوة الاسلامية

سلسلة شعرية ونثرية في الأدب الإسلامي
كتبها جميعها الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

صدر منها

١ ــ آمنت بالله (شعر)

٢ ــ ترنيمات إسلامية (شعر)

٣ ــ مبادىء في الأدب والدعوة (نثر)

٤ ــ ديوان: أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة (شعر)

(بيان وشعر)

# في سلسلة أعداد الاسلام

## سلسلة ترصد خطط أعداد الإسلام، وتفضح مكايدهم ودسائسهم، وترسم منهج النجاة من مفاسدهم

كتبها جميعها الكاتب المفضال الأستاذ عبدالرحمن حبنكة الميداني، وصدر منها:

١ ـ مكايد يهودية عبر التاريخ.

٢ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم.

٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة.

٤ ـ الكيد الأحمر.

٥ ـ غزو في الصميم.

٦ ـ كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة.